بدعمكم نتطلع إلى الريادة في خدمة تراثنا وتاريخنا الأصيل..

مدارات ونقوش

Orbits & Inscriptions

العدد (18-19) السنة الثانية - أغسطس/ سبتمبر 2019

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية | تصدر عن مركز جمال بن حويرب للدراسات

من مفكرة «أخبار دبي»

استراتيجية راشد لنهضة البلاد وتوفير العيش الرغيد

تاريخ المياه الغازية الثراء والشهرة والنجاح

«دبي للمرطبات» أول شركة مساهمة عامة في دبي

خلف بن عبد الله العتيبة تاجر اللؤلؤ ورائد التعليم الأول في أبوظبي

عرض تاريخي للحياة البرلمانية في الإمارات

خريطة «اياس عرب» ليست لقبيلة بني ياس

لمحة مبكرة عن الأحوال الصحية في الإمارات

عيسى البلوشي.. أول جندي عُماني يدخل أوغندا

بيطرة الخيل العربية ألهمت العالم

« صورة » الإمارات في « صوت البحرين »

تطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية

العدد (18-19) السنة الثانية - أغسطس/ سبتمبر 2019

تصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير

جمال بن حويرب

هيئة التحرير

حسين درويش

خليل البري

مريم أحمد

المدير الفني

أيمن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات

+97143940309

info@jbhsc.ae

عنوان المركز

الإمارات العربية المتحدة - دبي

الموقع الإلكتروني:

www.jbhsc.ae

Jbhscae | Jbhscae

Jbhscae | Jbhsc AE

أعلام من التاريخ

08 تاجر اللؤلؤ ورائد التعليم الأول في أبوظبي
خلف بن عبدالله العتيبة

ملف

12 تاريخ المياه الغازية في العالم

22 «دبي للمرطبات» أول شركة مساهمة عامة في دبي

26 الأحوال الصحية في الإمارات العربية

30 من مفكرة «أخبار دبي» أمنك بخير.. أنت بخير

مجالس:
34 الحياة البرلمانية في الإمارات
40 مؤرخون ومعماريون ومهندسون يتفقدون آثار جميرا

44 « صورة » الإمارات في « صوت البحرين »

50 خريطة «إياس عرب» ليست لقبيلة بني ياس

54 عيسى البلوشي.. أول جندي عُماني يدخل أوغندا

60 ولاة اليمامة (1)
من صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية

66 نشأة الصحافة السعودية

74 فاروق لقمان كما عرفته - د. شهاب غانم

80 بيطرة الخيل.. معارف عربية ألهمت العالم

84 أحواض سقي الدواب

86 الأهمية التاريخية والقيمة الفنية للقباب المقرنصة بجامع القرويين في مدينة فاس

الجغرافي المؤرخ الإماراتي

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

لم أجد مع طول بحثي في سِيَر أعلام الخليج العربي، وخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة منذ سنين طويلة مَن عُرِفَ بعلم الجغرافيا وله معرفةٌ تامَّةٌ برسم الخرائط الصحيحة، كما عُرِفَ بها علماءُ الإسلام الجغرافيون الأوائل في القرون الأولى الذين تابعوا جهود الجغرافيين الإغريق وأبدعوا فيها جداً، ثمَّ جاء من بعدهم الجغرافيون الأوروبيون واعتمدوا على ما خلفه العرب من «صور» كما كانت تسمّى عند الجغرافيين العرب، وهذا اسمُها منذ أيام الحجاج بن يوسف الثقفي فيقولون: «صورة الأرض»، ثمَّ شاعت مفردة «خارطة» وهي ترجمة من اللغة اللاتينية «carta» وتعني الورقة، وكان ذلك في عهد الترجمة الحديثة في زمن محمد علي، ثمَّ اعترض اللغويون عليها؛ بسبب عدمِ وجودِ أصلٍ لها واستبدلوها بمفردة «خريطة» التي لها أصل في العربية وتعني الوعاء من الجلد، ولأنها أقرب إلى مفردة «خارطة» المترجمة حرفياً من اللاتينية، ولم يَعُدْ بالإمكان العودة إلى مفردة «صورة»؛ لأنَّ العامَّة استخدمتها بمعنى الصور الفوتوغرافية بعد ذلك.

ويقال إنَّ أوَّلَ خارطةٍ تمَّ رسمُها في الإسلام كانت في زمن الحجاج، حيث طلب من قائده قتيبة بن مسلم الباهلي رسم خريطة «صورة» لبخارى، وقد طال حصارها، ليعينه برأيه عندما أرسله لفتح بلاد ما وراء النهرين؛ فأعانه برأيه وتمَّ له النصرُ. وإذا صحَّ هذا الخبر فإنَّ هذه الخريطة تكون أوَّلَ خريطةٍ رُسِمَت في الإسلام (سنة 90 هجرية) فيما ذكره الباحثون. ثمَّ توالت الخرائط بعد ذلك خاصة في عهد الخليفة العباسي المأمون، وأصبح هذا العلم يشغلُ اهتمامَ علماء المسلمين؛ لأنَّ فيه تسهيلاً لمعرفة أماكن السكّان لجمع الخراج والزكاة، وبسبب اتساع بلاد الخلافة والاهتمام الكبير بالنظام الإداري احتاجوا إلى خرائط تعينهم على تنظيم أعمالهم. ومن بين أهم العوامل التي أدّت إلى رواج حركة رسم الخرائط، معرفة الطريق إلى مكة والمدينة؛ ولأنَّ المسلمين في مساحة جغرافية كبيرة، أراد علماء الإسلام- بتكليف من الخلفاء- تسهيل سفر المسلمين لأداء مناسك الحج وكذلك لطرق التجارة العالمية، وكانت لحركة الترجمة التي قادها العباسيون دورٌ كبيرٌ في رواج رسم الخرائط؛ فطوَّروا الخرائط البدائية الإغريقية ووصلوا بها إلى القمة؛ فخرجت خريطة المأمون للأرض، والتي رسمها علماء عصره، معتمدين على النهج الإغريقي، وخريطة لنهر النيل ومصر، وُجِدَت في كتاب الخوارزمي «صورة الأرض». وجاء البلخي والاصطخري

ترجم العرب مفردة «carta» اللاتينية بـ «خارطة» ثم استبدلوها بـ «خريطة» التي لها أصل في العربية وتعني الوعاء من الجلد

خارطة الإدريسي

أول خريطة رُسِمَت في الإسلام زمن الحجاج كانت لمدينة بخارى في العام 90 هجرية

وابن حوقل في القرن الرابع الهجري وأكملوا مسيرة الخرائط التفصيلية المميزة التي ليس لها مثيلٌ في عصرها، وقد اعتمدوا الشمال في أسفل الخريطة والجنوب أعلاها والغرب يمناها والشرق يسراها، وهذا يخالف الخرائط الحديثة، ومن تعوَّد على الخرائط الحديثة يصعب عليه قراءة الخرائط العربية القديمة لهذا السبب. هذا، ويعدُّ العلّامة الإدريسي الجغرافي (560-493هـ) صاحبَ ثورة رسم الخرائط، حيث أخرج للناس خريطةً عجيبةً نقشها على قرصٍ من الفضة، بيَّن فيها الأقاليم السبعة المعروفة حينذاك، وذكر بلدانها وتفاصيلها، ثمَّ أخرج كتابه العجيب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وشرح فيه خريطته، ووصف البلدان والناس وزينه بسبعين خريطة دقيقة، ما جعل هذا العلم أقرب للناس وأسهل، وكلُّ مَن أتى مِن بعده فللإدريسي فضلٌ عليه، رحمه الله.

وإذا عرفنا الاهتمام الكبير برسم الخرائط عند العلماء الأوائل، والآن ما نشاهده من تطوُّر كبير في مجال الخرائط، حتى بلغ أدقَّ التفاصيل التي تقوم عليها أعمدة السياسة والاقتصاد والحروب والثقافة، فلماذا لا أجد هذا الاهتمام عند شبابنا الإماراتي ولا حتى الخليجي؟! هذا في الخرائط الحديثة. أمّا في الخرائط القديمة وفهمها واستخراج دررها وعدم الوصول إلى نتائج خاطئة فيها؛ بسبب الجهل أو الغفلة أو التسرُّع في الأحكام من دون دراية في علم الخرائط، فهذا ما يدعو إلى قرع ناقوس الخطر، وتنبيه القوم الغافلين لهذا العلم المهم، وتكوين خطة شاملة تشمل المدارس والجامعات ومراكز الأبحاث، لبعث علماء إماراتيين متخصِّصين في الخرائط القديمة والحديثة؛ حتى نستفيدَ منهم في مجال التاريخ والمجالات الأخرى قبل أن تكثرَ المفاهيم الخاطئة.

jamal@jbhsc.ae

أسئلة وردت إلى المؤرخ جمال بن حويرب من خلال حسابات التواصل الاجتماعي وقد أجاب عنها بما يلي:

* السؤال الأول:

ما أصل مفردة فنجال أو فنجان؟ وهل لها أصل في العربية؟ وأيهما أصحُّ: فنجان أم فنجال؟

م.ح _ دبي

** الجواب: هذه مفردة مشهورة في العامية وعزيزة على نفوس العرب خاصة، بسبب ارتباطها بالقهوة التي بيَّنا أيضاً معناها في العدد (3) من مجلة «مدارات ونقوش»، وكلمة الفنجان أو الفنجال بلا شك هي مفردة عامية محرَّفة من أصل عربي وهو «فلجان»، وهذه المفردة يقال أيضاً إنَّ أصلها الأول من السريانية. وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الكلمة تعني «القفيز» وهو مكيال معروف، ثمَّ تطوَّر فأصبح يقال للكوب الذي توضع فيه القهوة «فلجان» ثمَّ حرَّفته العامة فقالت «فنجان» بإبدال اللام نوناً ثمَّ أبدلت النون الأخيرة لاماً، ومن عادة العرب الإبدال بين النون واللام؛ فمثلاً تقول: إسماعيل وإسماعين، وهناك شواهد أخرى على هذا الإبدال. وفي فنجال يمكن أن نقول: فيها قلب موضعي.

وإن تسأل أيهما أصوب؟ فسأقول: كلاهما؛ أي فنجان وفنجال من العامية والصواب «فلجان» لكن «فنجان» أحب إليَّ.

يقول الزبيدي في تاجه:

"يقال القَفِيزُ وأصلُه بالسُّرْيانِيَّة: "فالِغَاءُ" فعُرِّبَ. قال الجَعْدِيُّ يَصِفُ الخَمْرَ:

أُلْقِيَ فيها فِلْجَان من مِسْكِ

دَارين وفِلْجٌ مِن فُلْفُلٍ ضَرِمِ

قلت: ومن هنا يُؤْخَذ قولهم للظَّرْف المُعَدِّ لشُرْبِ القَهْوَةِ وغيرِهَا «فِلْجَان» والعَامَّة تقول: فِنْجَان، وفِنْجَال «ولا يصحّانِ».

هذا وقول الزبيدي: «لا يصحان» يمكن أن نتوقَّف عند هذا الحكم اللغوي ونناقشه فيه؛ فنقول: فنجان وفنجال ممّا جرت بهما الألسن، وما دام أصل المفردة غير عربي والقلب الموضعي والإبدال من سنن العرب اللغوية، فلا مانع من إقرار هاتين المفردتين؛ إذ لا ضرر فيهما للتخفيف على الناس في لغتهم.

* السؤال الثاني:

قبيلة بني ياس، حصل جدل كبير في نسبهم في الآونة الأخيرة، ولا ندري أيّاً من هذه الأقوال نرجِّح؟

محمد عبدالله - الإمارات

** الجواب: الأرجح الذي عليه أجدادنا؛ مثل قول خال والدي عبدالله بن خلفان بن حويرب، المتوفى سنة 1995، والذي سمعه من والده الشيخ خلفان بن حويرب المولود سنة 1860 تقريباً، والمتوفى سنة 1940، رحمهم الله، إنَّ قبيلة بني ياس بن عامر نسبها يتصل بعامر بن صعصعة؛ أي هي قبيلة هوازنية، وهذا الذي ذكره غير واحد من المؤرخين العمانيين وآخرهم السالمي في كتابه «نهضة الأعيان» الذي جزم بأنَّ أبناء عم بني ياس الأقرب هم قبيلة سبيع بن عامر، القبيلة الهوازنية المشهورة في الجزيرة العربية. وكلُّ من يدَّعي غير ذلك ولم يأتِ بدليل قوي يمكننا أن نُصَدِّقَه به، فعليه أن يتجنَّب الخوض في هذا الأمر. وتبقى أنساب بني ياس على ما هي كما رواها الأجداد، ولن تتغيَّرَ بأدلة ضعيفة كتشابه أسماء أو شواهد من أبيات حديثة أو مجهولة. أمّا ما جاء في نسبة بعض الشعراء لبني ياس إلى قحطان؛ فهذا على المعلومة الشائعة عند الناس منذ القدم بأنَّ اليمن هي أصل العرب كما يقولون، وهذا القول - وإن شاع - فإنه بلا شك مردود على أصحابه؛ فاليمن بعض من العرب الكرام ولعلَّنا نفصِّل ذلك في بحث منفصل.

* السؤال الثالث:

هل يمكن أخذ الأنساب البعيدة من الحمض النووي (DNA)؟

محمد-الرياض

** الجواب: الحمض النووي له استخدامات متعدِّدة؛ منه ما يفيد الأمن والقضايا والصحة وعلوم أخرى، وهناك ما أولع به الناس لمعرفة أصولهم البعيدة، وهذا فيه تفصيلٌ وسأشير فقط إلى الباحثين فيه من العرب.

عندما لم يجد الباحثون عن تاريخ الأنساب العربية أجوبة عن أسئلتهم؛ بسبب عدم وجود التدوين في علم الأنساب وانقطاعه منذ القرن الثامن تقريباً، واختفاء أسماء القبائل القديمة لأسباب نجهل أكثرها، وتشكّل مسمّيات جديدة للقبائل العربية لم تكن معروفة في كتب الأنساب الأولى، واختلاط الأسر والأفخاذ، والتغيُّر الجغرافي الكبير لها، ممّا يدخل أيَّ باحث في الأنساب في مرحلة الإحباط، وهذا الذي ذكره كثيرٌ من الباحثين ومنهم الشيخ حمد الجاسر، الذي نشر في مجلته كثيراً من البحوث والردود عليها، ورماه بعض الباحثين بأنَّ بضاعته في الأنساب مسجاة، والحقيقة أنَّ عدم وجود التدوين والدلالات القوية على الأنساب القديمة تجعل بضاعة جميع من دخل في هذا العلم الضعيف أصلاً مسجاة.

ولهذا السبب وغيره وجد الباحثون في الأنساب في علم الحمض النووي (DNA) ضالتهم، وبدؤوا يفتون فيه ويؤصِّلون ويفرِّعون، ثمَّ وصلوا إلى طرق مسدودة فغيَّروا وبدَّلوا خلال السنوات الماضية، فكلما خرج شيءٌ جديدٌ غيَّروا.. وهكذا، وإن سألت أحدهم: هل درست علوم الحمض النووي؟ أو هل لديك شهادة فيه؟ فسيقول لك: لا! فكيف لأناسٍ لا علمَ لهم ولا دراسَة في هذا المجال ينصبون أنفسهم مراجع فيه، ويفتون في أنساب القبائل باليقين، ولا يغمض لهم جفنٌ من الثقة التي يعيشون فيها! والأغرب في هذا الموضوع عندما نسأل علماء الحمض النووي يقولون: إنَّ نسبة معرفة المجموعات العرقية الكبرى تصل إلى 80 و90 %، وهنا نسبة الخطأ 10%، أمَّا الأصول والأنساب الأقرب فنسبة الخطأ فيها مرتفعة جداً.

كذلك قام برنامج أمريكي قديم ومشهور يسمّى «ستون دقيقة» بعمل تجارب في هذا الموضوع، وأرسل عينة لامرأة إلى ثلاث شركات تعمل في مجال الحمض النووي، وكانت النتيجة صدمة لهم، حيث كانت النتائج الثلاث مختلفة!

وعلى هذا، فمختصر القول: إنَّ الحمض النووي لا يمكن أن يكونَ بديلاً للمشجرات، أو ما تعارف عليه الناس شرعاً وعلماً، وإنَّ الذين ابتلوا به وأصبحوا يفتون فيه بغير علم ولا دراسة جامعية محقّقة فيه، عليهم أن يتركوه لأهله ولا يفتنوا الناس ويبنوا أحكاماً على قواعدَ من الجهل، فإذا قام العلماء المتخصّصون فيه، ولم يكونوا تجاراً مثل هذه الشركات، وطوروا في هذا العلم واقتربوا من الصواب، هنالك يمكن أن يستأنس فيه فقط في علم الأنساب، ولا يؤخذ على سبيل القطع واليقين.

نستقبل أسئلتكم عبر البريد الإلكتروني info@jbhsc.ae

تاجر اللؤلؤ ورائد التعليم الأول في أبوظبي

خلف بن عبدالله العتيبة

كثيرون هم التجار الذين عاشوا على وجه البسيطة ثمَّ رحلوا وكأنهم لم يمشوا عليها، ولا يتذكَّرهم الناس بعد جيلين أو حتى جيل واحد، ولكن هناك قلَّة منهم عرفوا حقَّ الله في أموالهم، وعلِموا أنَّ الفناءَ هو المصيرُ المحتم؛ فتداركوا أمرهم وبنوا جسوراً بهذه الأموال توصلهم إلى الآخرة، فعمروا المدارس والمساجد، وأوقفوا الأوقاف عليها، فبارك الله في أموالهم وأعمارهم، وخلَّد التاريخُ أسماءَهم في سجله الذهبي؛ فهم باقون إلى ما شاء الله، وكما قال أسطورة الشعراء المتنبي:

لولا المشقَّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ

الجودُ يفقرُ والإقدامُ قتّالُ

ومن هؤلاء التجار الكرام الوجيه خلف بن عبدالله بن عتيبة، رحمه الله تعالى، فدعونا نتعرَّف إلى بعضٍ من سيرة حياته.

لم يكن والد خلف - وهو من أهالي إمارة أبوظبي- ذا تجارة ولا صاحب أموال، بل كان من عامة الناس المجتهدين في طلب الرزق الحلال من سعيهم، وليس لدينا معلوماتٌ كثيرةٌ عنه ولكن الغالب على آل عتيبة الكرم وحسن الأخلاق ودماثتها، ولا بدَّ أن يكونَ هذا الأمر قد توارثته العائلة منذ عهدٍ بعيد.

في هذا البيت الكريم وُلِدَ خلف بن عبدالله في سنة 1840 تقريباً، وتربى كما يتربى أهل ذلك الزمان على الاجتهاد والصبر على الشدائد منذ صغرهم، فلم تعرف الإمارات المدارس الدينية التي تشبه قليلاً المدارس النظامية حتى بداية القرن العشرين؛ مثل المدرسة الأحمدية في دبي، ولم تكن هناك مواردُ للرزق واضحة المعالم إلا تجارة اللؤلؤ، وهي التجارة الكبرى في الخليج العربي، ومن أثرى من أهلها فإنما أثرى بسببها.

تعلَّم خلف العلم في الكتاتيب القديمة التي ساعدت المجتمع الأمي قليلاً على تخطّي مرحلة الجهل المطبق؛ فكانوا يتعلَّمون مبادئ القراءة والكتابة وبعض أجزاء القرآن، والمحظوظ منهم مَن يوفّقه الله فيتعلَّم شيئاً من الحساب وطريقة كتابة الرسائل على النموذج القديم.

عمل مبكر

لم يكن التعليم كما ترونه طويلاً من الروضة إلى المرحلة الثانوية، ثمَّ إلى سنوات الجامعة، بل كان لسنواتٍ معدودةٍ، ثمَّ ينصرف الرجل إلى أعماله أو مساعدة والده في تجارته، ولا تسعفنا المصادر عن بداية خلف العملية ولكنها كانت مبكِّرة؛ فاشتغل في أعمال اللؤلؤ وتدرَّج فيها حتى ظفر بلؤلؤة نادرة حوَّلته إلى تاجر، بل من أكبر التجار بعد ذلك وكما قيل:

ومـا يـدري الـفقيـرُ متـى غنـاهُ

ومـا يـدري الغنـيُّ متـى يعيـلُ

هكذا بدأت تجارة خلف العتيبة تزدهر، وأظنُّها بدأت في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر؛ لأنَّ سمعته بين الناس أخذت تنتشرُ في هذا الوقت، ثمَّ ازدهرت جداً في مطلع القرن العشرين. ومن يقرأ عن سوق اللؤلؤ العالمي يجده مزدهراً جداً في هذه الحقبة، وكانت أسعاره تزداد بشكل كبير، ما دفع باليابان أن تخترعَ اللؤلؤَ الصناعيَّ فيما بعد، والذي قضى على سوق اللؤلؤ الطبيعي تدريجياً خلال ثلاثين سنة.

لما منَّ الله على خلف بن عبدالله العتيبة بالمال الوفير، لم يكنزه ولم يخَفْ عليه من الضياع كما يفعل بعض الأغنياء الذين عاشوا الفقر، بل أنفقه في سبيل الله حيث قام بشراء أرض قرب منطقة «الظهر» في إمارة أبوظبي، ثمَّ حوَّلها إلى مدرسة مكوَّنة من مجموعة خيام محاطة بجدار من سعف النخيل، وقد عُرِفَت هذه المدرسةُ بمدرسة العتيبة.

ولو تفكَّرنا قليلاً عن علوِّ همَّة هذا الرجل المحسن، لعلمنا أنّه لم ينسَ نفعَ أهله وقومه بأهمِّ شيءٍ في الدنيا؛ ألا وهو العلم والصحة كما سيأتي.

جاء في بعض المصادر أنه بنى المدرسة في أواخر القرن التاسع عشر، ولا أظنُّه يقارب الصحة، بل بدأت المدرسة تقريباً في وقت مقارب للمدرسة الأحمدية في دبي، والذي أرجحه أنها بدأت بعد سنة 1905 تزيد أو تنقص قليلاً؛ لأنَّ الشيخين عبدالعزيز بن حمد المبارك افتتح التدريس في الأحمدية، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم المبارك افتتح التدريس في مدرسة العتيبة، وقد قَدِما في الفترة نفسها كما ذكر ذلك الشيخ أحمد المبارك، رحمه الله، ولأنَّ القاضي الشيخ مجرن من أوائل من درسوا فيها وهو مولود سنة 1903.

بقيت هذه المدرسة الفريدة من نوعها

سعيد بن أحمد العتيبة

بنى خلف العتيبة مساجد في أبوظبي ودبي أبرزها مسجد الشندغة

في أبوظبي تُعلِّمُ الطلبة الذين يزيد عددهم على عشرين طالباً في السنة، وكانت مناهجها تتكوَّن من مناهج المدارس الدينية كالقرآن والفقه المالكي وتعليم القراءة والكتابة والنحو وعلوم اللغة، وأضاف عليها خلف تعلُّم السالمية، وهي تعليم مسك دفاتر الغوص، وقد تفرَّدت به هذه المدرسة عن غيرها.

درسوا فيها علماء كبار من أمثال الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم المبارك، والشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك، والشيخ عمر السالك الشنقيطي، والشيخ راشد المبارك، والشيخ محمد الكندي وغيرهم من العلماء الذين يحضرون لزيارة أبوظبي على فترات متقطعة.

ومن أبرز من تخرَّج فيها الشيخ مجرن بن محمد الكندي، وعبدالله بن غنوم وسلطان بن يوسف، رحمهم الله تعالى.

مجلس العلماء

كان العلماء لا ينقطعون عن مجلس خلف، بل يَفِدون إليه من الشرق والغرب ومن مكة ومن الأحساء ومن إيران، وهو يجلُّهم ويُكْثِرُ من تقديرهم وإكرامهم، وهذا هو واجب أهل المال والسلطة، فمن لم يدرك العِلْمَ منهم فأقلُّ حقِّ العِلْمِ أن يُقَدِّروا أهلَه.

في سنة 1909 وبينما كان خلف في رحلة إلى دبي، حيث لم يكن ينقطع عنها بسبب تجارته، تعرَّضت دبي إلى هجوم ظالم من قِبَل المدمرة «هيانست» التابعة للقوات البريطانية بحجة وجود السلاح عند بعض الأهالي، يقول حفيده السيد سعيد بن أحمد:

«كان جَدي خلف في دبي عندما أغار الإنجليز عليها؛ فتصدّى لهم شيوخ آل مكتوم وعامَّة بني ياس، ولم يتخلَّف جَدي خلف عنهم، بل ساعد بما يستطيع في ذلك الوقت».

وتصديقاً لهذه القصة يقول الشاعر الكبير سعيد بن عتيج الهاملي مادحاً خلف، وذاكراً قصة الحرب التي نسميها حرب السلوجر:

شروى خلف ما ريت مثله حدي

لى بالكرم ما له قياس وحدّي

يوصل بعزمٍ ماضيات الحدّي

يثقل ومن ثقله يثقّل غيره

الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان يتوسط عمه الشيخ خليفة بن زايد الأول والوجيه أحمد بن خلف العتيبة أثناء توقيع أول اتفاقية للبترول في الثلاثينيات

يوم النصارى شب نار ورايه

ما سار في شور الخفيف ورايه

لين الكفر ذلت وشلوا رايه

حتى المشاوي عفّت البنديره

هذا مثالٌ ضربته لكم، وله مواقفُ أخرى تدلُّ على صدق هذا الرجل وعزمه، رحمه الله.

إسهامات وطنية

وقد شارك أيضاً في عهد الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان في بعض الحروب، وأبلى مع قومه بلاءً حسناً في الدفاع عن بلاده، وشارك بماله وأولاده لكبر سِنّه حينئذ، وعن ذلك يقول الشاعر الأحسائي السيد عبدالله بن السيد أحمد الهاشم رحمه الله:

فسل عنه فرسان الجحافلِ في الوغى

وسلْ عنه في نادي الكرامِ تجد خبرا

بأصدقهم قولاً وأمنعهم حمى

وأوسعهم رفداً وأكثرهم فخرا

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة.

مساجد

أمّا المساجد في حياة خلف فلها شأنٌ عظيمٌ؛ فقد كان من الطبيعي أن يبنيها خلف أينما حلَّ، فبنى في أبوظبي المسجد الجامع في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، والذي حلَّ مكانه

استدعى العتيبة طبيباً من البحرين ليقوم بمعالجة الناس على حسابه

مسجد خلف العتيبة

مسجد الشيخ خليفة فيما بعد، وكذلك بنى المسجد الجامع في دبي، والذي يسمّى مسجد «بو منارة» في منطقة الجميرا، وسميت المنطقة عليه. وبنى مسجداً آخر صغيراً سنة 1914 في منطقة الشندغة، ولا أعلم عن مشروعاته الأخرى الخيرية، ولكن من كان هذا حرصه، فلا غرو أن يكون عمل أعمالاً صالحة كثيرة.

في سنة 1926 استدعى خلف بن عبدالله طبيباً من البحرين اسمه محمد محمود بهزاد، ليعالج الناس على حسابه، يقول هذا الطبيب في كتابه الوجهة الذهبية: «في عام 1926 استدعاني خلف العتيبة إلى أبوظبي لعلاج الناس، وهو أحدُ الفضلاء ومحبٌّ للعلماء، وهو رجلُ دينٍ وعملٍ ودنيا، عسى الله أن يتوّجَه تاجَ الجنة والمغفرة».

بقي مجلس خلف عامراً بالضيوف من كلِّ مكان؛ علماء وأعيان وشعراء ومن عامة الناس، لأنه كان يجلُّ الناسَ ويحترمهم ويقف بجانبهم، مثله مثل التاجر أحمد بن دلموك في دبي، فهما شجرتان مثمرتان سُقِيَتا بماء الجود والدين والمعالي.

في سنة 1929 عمَّ العالَم ما يسمّى «الكساد الكبير» حيث بدأ بانهيار الأسهم الأمريكية في 29 أكتوبر من العام نفسه، ثمَّ شمل الأرض فكان تأثيره مدمراً في الدول الغنية والفقيرة، ومنطقة الخليج لم تسلم منه؛ لأنها كانت في ذلك الوقت تعيش على تجارة اللؤلؤ، وعلى تجارات أخرى صغيرة. ومن يقرأ قصيدة الشاعر الأحسائي السيد عبدالله الذي وجهَّها لخلف العتيبة فسوف يحزن لأوضاع الناس في تلك السنوات الصعبة.

وفي الوقت نفسه كان اللؤلؤ الصناعي يهدِّد الخليج من جهة أخرى، فقبيل سنة 1930 بدأت تجارة اللؤلؤ في الخليج بالانهيار التدريجي؛ بسبب اكتشاف اليابان اللؤلؤ الصناعي، الذي اكتشفه «ميكيموتو كويتشي» سنة 1893، وعرض أول لؤلؤة منه في النرويج سنة 1897، ولكنه لم ينجح في الوصول إلى الشكل المطابق للؤلؤ الطبيعي حتى سنة 1920؛ إذ بدأت اليابان تبيعه بكميات تجارية.

يقول السيد عبدالله عن حالة الخليج سنة 1930:

الناس في حال منحل العرا وانكد
في عيشة الضيق لا مالٍ ولا حالِ
ضعفٍ تدانى فلا تلقى حدٍ مستد
ولا ذبيـــلٍ لكـــدّادٍ وعمّـــالِ
التاجـر العـود آزم ضايـعٍ منضـد
والنوخذه الدون ماله عنده اقبالِ
وملازم الغوص لا يعطى ولا ينرد
لا حي يرجى ولا من ميت يعزا لي
والغوص راعيه لو يعطا منَهْ يود
مـا مـدّ يـومٍ ولا بشّـــر بقفـالِ

وبعد أن ذكر معاناة الناس ومآسيهم استنجد بصاحبه «أبوأحمد»، خلف العتيبة فقال له:

ما أشوف إلا غياث الدار بو أحمد
خلف حليف الوفا لى ضاق لميالِ
للسيف والضيف للتدريس والمسجد
وصفطان ما حاز من جودٍ وما نالِ

لم ينشد هذه القصيدة السيد عبدالله في مدح خلف، إلا لمعرفة الشاعر بأنَّ خلف أهلٌ لأن يقومَ بمساعدة الناس على مصائب الدهر، وطلب منه أن يساعد على كفِّ الناس عن بعض المظاهر السلبية التي ظهرت في المجتمع آنذاك.

رُزِقَ خلف بأولاد نجباء اتبعوا طريقه في التجارة، والمعروف أكبرهم نجله أحمد الذي تابع أعمال والده وتولى عمادة الأسرة من بعده، وكانت له علاقات قوية مع الحكّام والأعيان؛ لكونه من كبار تجار المنطقة حينذاك، وتميَّزت علاقته بالشيخ شخبوط بن سلطان حاكم أبوظبي، فكانت علاقة في منتهى التقدير والود، وقد ازدادت العلاقة قوةً عندما تزوّج الشيخ شخبوط من الشيخة الكريمة حمدة بنت أحمد بن خلف، رحمهم الله. ورُزِقَ خلف أيضاً بعبدالله وراشد، رحمهما الله تعالى.

طال عمر خلف، وتقدَّمت به السِّنُ ولم تتأثَّر تجارته كثيراً بالأزمات الدولية؛ لأنَّه كان كثير الصدقات ونفع الناس، فبارك الله في ماله وعمره. وعندما تعب عن المشي إلى الصلاة حُمِل إليها من شدة حرصه على صلاة الجماعة.

وفي ثلاثينيات القرن الماضي، انتقل المحسن الوجيه خلف بن عبدالله العتيبة إلى جوار ربه بعد قرابة قرن قضاه في أعمال البر والعلم والصلاح، رحمه الله وجعل جنة الخلد مثواه.

المجد

قصائد مهداة إلى صاحب السمو الشيخ

محمد بن راشد آل مكتوم

نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي

حفظه الله ورعاه

شعر

جمال بن حويرب

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

شركاء الماء أثرياء مدى الحياة

تاريخ المياه الغازيـة في العالـــم

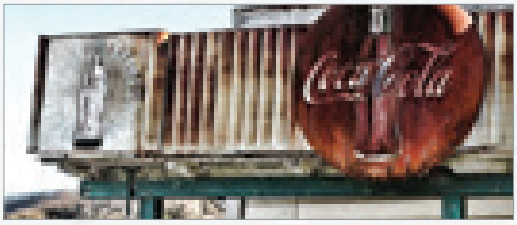

المياه الغازية مطلب الجميع

إعداد: خليل البري

دخلت المشروبات الغازية كل الدول؛ فأصبحت تُقدَّم للضيوف في البيوت، وللمسافرين في رحلات الطيران، وفي المناسبات الرسمية وغير الرسمية، وصار لها مكانٌ للبيع وأكشاكٌ خاصة بها، كما أنَّ شعار المشروبات الغازية انتشر في العالم كله، وأصبحت الأكشاك الموجودة في الشارع تُصمَّم بنفس شعار تلك المشروبات.

تُصنَّف المشروبات الغازية في المواصفات الغذائية العالمية على أنها «منتج غذائي»، وبالتالي يجب أن تتوافر الظروف الصحية السليمة لإنتاجها، وذلك للحدِّ من أية تلوُّثات أو تسمُّمات غذائية.

تعدُّ السوائل المختلفة من مياه الشرب مروراً بالمشروبات الطبيعية الطازجة، وانتهاءً ببعض أنواع الفاكهة والخضروات ذات المحتوى المائي العالي من أهمِّ الضرورات الغذائية التي يحتاج إليها الإنسان بصفة يومية، وذلك للحفاظ على المحتوى المائي للجسم وترطيبه وصيانة أعضائه للقيام بوظائفه الحيوية.

وتعدُّ المشروبات الغازية من الصناعات ذات الطابع المتنامي على مستوى العالم، وذلك لزيادة الطلب عليها، ما أدّى إلى حدوث تغييرات رئيسة في طريقة الإنتاج والتعبئة، وذلك لتلبية احتياجات السوق، أضف إلى ذلك المكاسب المادية التي أصبحت السمة الرئيسة لاقتصادات السوق في عصرنا الحالي.

وقد بدأت هذه الصناعة في منتصف الستينيات من القرن الثامن عشر عن طريق إنتاج ماء مكربن، بواسطة الدكتور «جوزيف بريستيلي» عام 1760م، وبمرور الوقت أصبح في لندن وحدها ما يقارب 50 مصنعاً لإنتاج المشروبات الغازية، ما دفع شركة «جي شويبس» إلى بيع مليون زجاجة في معرض المشروبات والأغذية الذي أقيم في لندن عام 1851م.

الماء.. الدواء

تعدُّ «شويبس» أقدم شركة مُصنِّعة للمشروبات الغازية في العالم، وهي أحد فروع شركات كوكاكولا العالمية، أسَّسها «جوهان شويب» الذي كان يعمل صائغاً في مدينة جنيف، فقدَّم أوَّلَ مشروب مياه غازية في العالم عام 1775، عندما أضاف الصودا إلى المياه وقام بتعبئتها، ووضع رسوماً رمزية عليها لبيعها، وأطلق عليها اسم «شويبس»، واشتهرت آنذاك بالمشروب الغازي المُنعِش.

ثمَّ انتقل جوهان شويب إلى لندن عام 1792، وافتتح مصنعاً للمشروبات الغازية بالعاصمة الإنجليزية، ومن خلاله انتشر منتج شويبس في باقي أنحاء العالم، فانتشرت في الأسواق مُحقِّقَةً نجاحاً كبيراً في ظل المُنافسة الشديدة بين منتجات المشروبات الغازية، وكانت أوَّل مُنتج يجمع بين الصودا وقطع الفاكهة المختلفة كاليوسفي والبُرتقال والليمون، ما جعلها مشروباً غازياً مميزاً.

خلال تلك الفترة أُستُخدِمَت المياهُ الغازيَّةُ التي أنتجها «يوهان شويب» في المجال الطبي، وكمبادرة من أجل الإنسانية جعل المخترع السويسري سعر المياه الغازية في متناول الجميع، حيث لم يتعدَّ

شركة «شويبس» أقدم شركة مُصنِّعة للمشروبات الغازية في العالم

ثمنه كلفة إنتاجه.

خلال سنة 1790، استقرَّ «يوهان شويب» في إنجلترا، وفي سعي منه لتوسيع نشاطاته افتتح رفقة كل من المهندس «نيقولا بول» والصيدلي «هنري ألبرت غوس»، ما عرف بمؤسَّسة «شويب-بول وغوس» لإنتاج المياه الغازية. وقد سجَّلت هذه المؤسَّسة بدايتها خلال سنة 1792 بمدينة لندن.

خلال السنوات الأولى عانت هذه المؤسَّسة الجديدة مصاعبَ عدة؛ بسبب الحروب النابليونية، وعلى إثر ذلك تخلّى كلٌّ من «نيقولا بول» و«هنري ألبرت غوس» عن المؤسَّسة، ليجد «شويب» نفسه وحيداً، على إثر رحيل شريكيه، لكنه لم يفقد الأمل وأعاد هيكلة مؤسَّسته وجعل اسمها «جي. شويب وشركاؤه». وخلال السنوات التالية حقَّقت شركة المياه الغازية هذه نجاحاً غير مسبوق، حيث كانت المياه الغازية تقدَّم كدواء وتُدْرَج في الوصفات الطبية من أجل معالجة أمراض الكلية والحويصلة الصفراوية وعسر الهضم، وقد حمل حينها الماء الغازي اسم «الماء-الدواء». فضلاً عن كل ذلك اعتمد «يوهان شويب» على زجاجات بيضوية الشكل من أجل حفظ مشروباته الغازية داخلها. وقد آمن هذا المكتشف حينها بأنَّ تلك الزجاجات البيضوية الشكل كانت تساعد بشكل كبير على الحفاظ على المياه الغازية لأكثر وقت ممكن. واستمرَّ اعتماد هذا النوع من الزجاجات لدى مؤسَّسة «شويب» حتى أواخر القرن التاسع عشر.

مع حلول سنة 1798، قرَّر «يوهان جاكوب شويب» التخلي عن شركته في إنجلترا والتقاعد، ولهذا أقدم على بيع ما يقدَّر بنحو 75 في المئة من أسهم هذه المؤسَّسة إلى مجموعة من الأرستقراطيين الفرنسيين الذين نجحوا مع بداية القرن التاسع عشر في توسيع نشاط مؤسَّسة «شويب»، لتشمل مناطق واسعة من المملكة المتحدة.

قوارير المشروبات الغازية

وكما تطوَّرت صناعة المشروب ذاتها، تطوَّرت بقية عناصر المنتج وفي مقدمتها تقنيات مواد التغليف والتعبئة التي لعبت دوراً مهماً في زيادة نمو هذه الصناعة على مستوى العالم. فبعد أن كان الحديد والزجاج هما المادة الخام لصناعة عبوات المياه الغازية، أصبح البلاستيك والألومنيوم هما المادتين الأوسع والأشهر لصناعة العبوات، لهما الفضل في ازدهار هذه الصناعة ونموها، حيث يقارب سعر العبوات المصنوعة من مادة البولي إيثلين تريفثاليت «Poly Ethylene Terephthalate-PET» أو العبوات المعدنية المصنوعة من الألومنيوم سعر العبوات الزجاجية المرتجعة، بل قد يكون أقلَّ منها كلفة.

ويذكر أنه منذ 20 عاماً تقريباً كان خط إنتاج الزجاجات يعطي 300 زجاجة في الدقيقة، ويحتاج إلى نحو 25 مشغلاً بين مهندس إنتاج وفني وعامل، بينما ينتج خط إنتاج عبوات الألومنيوم «Cans» أكثر من 2000 عبوة في الدقيقة الواحدة، أي أكثر من ستة أضعاف سلفه الزجاجي، ويحتاج إلى 3 مشغلين يقفون فقط لمتابعة الخط ومطالعة شاشات الحاسوب.

يوهان شويب

رحلة تاريخية لشكل الكوكا كولا

التسويق

خلال الأعوام ما بين 1920 و 1930، انتشرت إعلانات شويبس للفنان «وليام باريبال» وأدَّت إلى خلق مجموعة من الملصقات لـ«شويبس».

في العام 1945، صاغت وكالة الإعلان جارفيلد في لندن كلمة «سكويبرفزانس» التي تمَّ استخدامها لأول مرة في العام التالي، بعد ذلك تمَّ استخدامها على نطاق واسع في الإعلانات التي تنتجها «غارلاندس»، والذين باعوا حق المؤلف لهذه الكلمة لشركة شويبس، وظهرت حملة إعلانية في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي لضابط بحري مخضرم في البحرية البريطانية يُدْعَى «كوماندر وايتهيد»، الذي وصف نكهة البابن «إفيرزانس» بأنها إفلانسانس.

وفي بريطانيا ظهر الكوميدي بيني هيل في سلسلة من إعلانات شويبس التلفزيونية في الستينيات.

شويبس في مصر

ازدادت مبيعات «شويبس» في

بـدأت كوكاكـولا بمنتـج واحـد عـام 1886، ثـمَّ تطـوَّرت لتشـمل أكثـر مـن 3800 علامـة تجاريـة

الأسـواق المصريـة، خاصـة فـى فتـرة الثمانينيـات مـع انطـلاق حملتهـا مـع الفنـان الراحـل حسـن عابديـن الـذي قـدَّم إعلانـات «سـر شـويبس»، وكان يسـافر حـول العالـم لاكتشـاف سـرِّ طعـم «شـويبس» الـذي لا يقـاوم فـي إيقـاع كوميـدي، وتفاعـل المصريـون مـع الحملـة.

وعلى مدار السنوات أصبح لـ«شويبس» واحـدٌ مـن أكبـر خطـوط الإنتـاج فـى مصـر، خاصـة مـع التطـوُّرات الجديـدة التـى أدخلتهـا عليهـا بنكهـات الفاكهـة.

وخـلال العـام 2014 حقَّقـت «شـويبس» نجاحـاً هائـلاً مـن خـلال إعـادة طـرح شـويبس فـي الأسـواق المصريـة، حيـث اسـتطاعت الشـركة جـذب ثقـة المصريـين مـن خـلال تقديـم نكهـات جديـدة كالرمـان والبيناكولادا، وإعـادة فتافيـت الفاكهـة الطبيعيـة بشـكل جديـد ومميَّـز عـن طريـق واحـد مـن أكبـر خطـوط الإنتـاج بمصـر، حيـث حقَّقـت علـى سـبيل المثـال «شـويبس رمـان الجديـدة» نجاحـاً بنسـبة 400% مـن خطتهـا المتوقَّعـة خـلال عـام 2014.

ومـع بدايـة عـام 2015 أعلنـت الشـركة عـن اسـتكمال حملـة «سـر شـويبس» بعـد غيـاب دام لمـدة 30 عامـاً، وتعـدُّ الحملـة الإعلانيـة اسـتكمالاً لمـا بـدأه الفنـان حسـن عابديـن فـى الثمانينيـات مـن خـلال بطـل جديـد يقـوم باكتشـاف السـر، ليأتـى بـه إلـى المصريـين فـي شـكل مجموعـة مـن المغامـرات المثيـرة حـول العالـم، وسـيتمُّ عرضهـا عـن طريـق سلسـلة مـن الإعلانـات، مـا يخلـقُ روحـاً مـن التفاعـل بيـن المشـاهدين والبطـل خـلال رحلتـه فـي اكتشـاف السـر.

بيبسي دخلت السباق

عابرة للقارات

شـركة كوكاكـولا أكبـر موزِّع للمشـروبات فـي العالـم، ومـن خـلال بعـض العلامـات التجاريـة مثـل كوكاكـولا، وكوكاكـولا دايـت، وفانتـا، إضافـة إلـى سـبرايت، فهـي تـوزِّع أكثـر مـن 3% مـن كل المشـروبات التـي يتمُّ اسـتهلاكها علـى مـدار اليـوم، فـي جميـع أنحـاء العالـم. وقـد بـدأت الشـركة بمنتـج واحـد فقـط عـام 1886، ثـمَّ تطـوَّرت لتشـمل أكثـر مـن 3800 علامـة تجاريـة عبـر العالـم.

كان لتاريـخ اسـتقرار شـركة كوكاكـولا، وكونهـا واحـدة مـن العلامـات التجاريـة الأكثـر تميُّـزاً علـى مسـتوى العالـم، إضافـة إلـى تلبيتهـا احتياجـات عملائهـا ووفائهـم لهـا، ناهيـك عـن زيـادة الأربـاح المتتاليـة، دورٌ فـي مسـاعدة الشـركة علـى أن تحظـى بشـعبية مـن جانـب المسـتثمرين لمـدة طويلـة. ولكـن كيـف أصبحـت القـوة المحركـة التـي نراهـا اليـوم؟

بـدأ نشـاط شـركة كوكاكـولا خـلال عـام 1886، عندمـا تمكَّـن الصيدلـي الأمريكـي «جـون سـتيث بمبرتـون» صاحـب صيدليـة «جاكوبـس» بولايـة جورجيـا مـن تركيـب مشـروب غـازي عـن طريـق إضافـة ثانـي أُكسـيد الكربـون إلـى الميـاه مـع محليـات السُّـكر ومـادة الكـوك المسـتخرجة مـن ورق الكوكاييـن ونكهـة الكـولا المُشـتقة مـن بـذور نبـات الكـولا الـذي يحتـوي علـى مـادة الكافييـن، وأطلـق «فرانـك روبنسـون» المحاسـب لـدى «بمبرتـون» علـى المشـروب اسـم كوكاكـولا، وصمـم هـذا الاسـم بخـط يـده الأنيـق، ليبقـى نفـس الخـط الـذي كان ولا يـزال يُسـتعمَل إلـى اليـوم علـى المشـروب.

وفـي عـام 1900، بـدأ تسـويق «كوكاكـولا» لأول مـرة خـارج أمريـكا، ثـمَّ انتقـل إلـى العالـم كلـه، وبذلـك أصبحـت «كوكاكـولا» مـن المُنتجـات العابـرة للقـارات.

وقـد اشـترى رجـل الأعمـال «آزا غريغـز كانـدلـر» حقـوق صيغـة هـذا المشـروب عـام 1888م مقابـل 2،300 دولار أمريكـي فقـط، ثـمَّ تأسَّسـت شـركة كوكاكـولا فـي عـام 1892م، وتـمَّ بيعهـا للمـرة الأولـى مـن خـلال خزانـات للمشـروب بسـعر 5 سـنتات (3 قـروش) للكـوب، وبحلـول عـام 1913، كان واحـد مـن بيـن كلِّ تسـعة مواطنيـن أمريكييـن قـد تنـاول هـذا المشـروب.

ومـع بـدء المنافسـة فـي السـوق، بـاع «كانـدلـر» الحقـوق لتعبئـة كوكاكـولا، مـا أدّى إلـى إطـلاق «نظـام كوكاكـولا»، وهـي شـراكة امتيـاز توجـد الآن بيـن الشـركة وأكثـر مـن 250 مـن شـركات تعبئـة الزجاجـات حـول العالـم.

تـمَّ وضـع شـعار كوكاكـولا علـى الزجاجـات لمنـع تقليـد المنتـج الأصلـي سـنة 1916، وبعـد مـرور 100 عـام، أصبـح مـن الممكـن التعـرُّف إليهـا فـوراً فـي جميـع أنحـاء العالـم.

الدخول إلى البورصة

فـي العـام 1919، اشـترى مجموعـة مـن رجـال الأعمـال بقيـادة «إرنسـت وودروف» شـركة كوكاكـولا مـن «كانـدلـر» بمبلـغ 25 مليـون دولار أمريكـي، وفـي وقـت لاحـق مـن ذلـك العـام، قامـت الشـركة بالطـرح الأولـي للاكتتـاب العـام فـي بورصـة نيويـورك، مقابـل 40 دولاراً أمريكيـاً للسـهم الواحـد.

وفقـاً للتقريـر السـنوي لعـام 2016، ارتفعـت أسـهم كوكاكـولا، حيـث بلغـت القيمـة السـوقية للشـركة نحـو 180 مليـار دولار أمريكـي، إضافـة إلـى 53 زيـادة متتاليـة فـي الأربـاح. وبنهايـة عـام 2015، بلغـت قيمـة

تأسَّست بيبسي عام 1893 في شمال كارولاينا وتعدُّ من أفضل الشركات في العالم

السهم الواحد من شركة كوكاكولا التي تمَّ شراؤها عام 1919، مع إعادة استثمار الأرباح، 12.748.802 دولار أمريكي، بمعدل نمو سنوي قدره 14.11%.

الكساد الكبير

عقب مرور عام واحد فقط على الطرح الأولي للاكتتاب العام لأسهم شركة كوكاكولا، قامت الشركة بجمع 40 مليون دولار أمريكي كأصول، وبحلول عام 1929، باعت الشركة نحو 27 مليون غالون من المشروب، بزيادة تبلغ 150% منذ عام 1920، إلا أنه في أعقاب ذلك، وخلال الرابع والعشرين من أكتوبر عام 1929، انهارت بورصة «وول ستريت» ما أدّى إلى دخول الولايات المتحدة في حالة من التراجع الاقتصادي على مدى عقد من الزمان.

وعلى الرغم من انخفاض معدل المبيعات، كرَّست شركة كوكاكولا نفسها من أجل تحقيق عوائد تجارية على المدى الطويل، من خلال الاستمرار في زيادة كلف الإعلانات. وأدّى ذلك إلى وجود ولاء من المستهلك لا مثيل له، على الرغم من انخفاض قيمة الأسهم، ما أدّى إلى خروج الشركة من الأزمة الاقتصادية على نحو قوي نسبياً.

وهذا الأداء ساعد شركة كوكاكولا على الانضمام إلى مؤشر «داو جونز الصناعي»، الذي كان يقيس أداء أكبر 30 شركة في الولايات المتحدة في عام 1932، على الرغم من خروجها منه عام 1935.

وعندما دخلت الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية، قرَّرت كوكاكولا أن تتيحَ منتجاتها لجميع الجنود، أينما كانوا. وقد أدّى ذلك إلى خلق طلب عالمي على المشروب، ما أدّى إلى تضاعف عدد البلدان ذات مرافق تعبئة الزجاجات تقريباً من منتصف الأربعينيات وحتى الستينيات.

العلامة الأيقونة

صنّفت شركة «فوربس» كوكاكولا سنة 2017، باعتبارها واحدة من أفضل خمس علامات تجارية في العالم. ويعزى جزء كبير من هذا النجاح إلى حملات التسويق التي استطاعت الوصول إلى كل أرجاء العالم.

ومن خلال الحملات الإعلانية، ورعاية الأحداث الرياضية؛ مثل كأس العالم لكرة القدم والألعاب الأوليمبية، أكَّدت كوكاكولا أنه أيًّا كان اتجاه الاستهلاك، وفي أيِّ عصر، فقد حافظت على مكانة عالية.

ونظراً لوجود مقر الشركة في الولايات المتحدة، فإنَّ كوكاكولا تتأثر بقوة الدولار الأمريكي، حيث يمكن أن يؤدّي الدولار الأمريكي القوي إلى حدوث تحوُّلات ليست بجيدة في المبيعات الخارجية، وتقويض الأرباح، في حين أنَّ ضعف الدولار الأمريكي قد يؤدي إلى هوامش ربح أفضل.

على سبيل المثال، في العام 2016، تسبَّبت الانتخابات الرئاسية الأمريكية في حدوث تقلُّبات في الدولار الأمريكي، والتي أثرت بدورها في أسعار أسهم الشركات الأمريكية الكبرى، بما في ذلك كوكاكولا.

وخلال الفترة التي سبقت الانتخابات، كان من المتوقّع أن يؤثِّر فوز «دونالد ترامب» في الشركات متعددة الجنسيات بشكل سلبي، وذلك بفضل تأثيره الإيجابي في الدولار الأمريكي. وقد أشار تقرير الأرباح ربع السنوية الأخير لشركة كوكاكولا لعام 2016 إلى انخفاض أرباحها من 1.2 مليار دولار إلى 547 مليون دولار أمريكي، ما يقرب من 7% منها ناجمة عن الأرباح المفقودة بفعل تحويل العملات.

كوكا كولا في الإعلانات المصرية

وعقب مضي أسبوعين على تنصيب الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب»، تراجع الدولار الأمريكي وسجَّلت كوكاكولا عائدات فاقت التوقُّعات خلال الربع الثاني من عام 2017. وظلَّ الدولار الأمريكي يعاني حالة من الضعف معظم السنة، مع تزايد الشكوك حول إدارة «ترامب»، ولم يستعِد الدولار الأمريكي قوته إلا نهاية العام.

مواكبة المستهلكين

مع ازدياد الطلب على المشروبات غير الغازية، تباطأ معدل نمو كوكاكولا، وأصبحت المشروبات الغازية محل انتقاد خبراء الصحة العامة، وبدأت الخيارات الصحية في اكتساب شعبية.

إلا أنَّ كوكاكولا تقبَّلت الأمر، ما جعلها تقرِّر تعويض أي خسارة في الإيرادات عن طريق تغيير نشاطها من شركة للمشروبات الغازية إلى «شركة مشروبات كلية».

بيبسي كولا الأكبر عالمياً

يعدُّ البيبسي أكثر المشروبات الغازية شهرة وانتشاراً حول العالم، ولكن من أين بدأ هذا المشروب؟ ومتى؟ وكيف تمَّ اختراعه؟ هذا ما ستجيبك عنه هذه النبذة عن تاريخ البيبسي. في صيف عام 1893، وكالعادة، كان الجو حاراً ورطباً في برن، ولاية كارولينا الشمالية، حيث بدأ صيدلي شاب يُدعى «كالب براد هام» تجريب مزيج من التوابل والعصائر والشراب في محاولة لخلق شراب منعش جديد لخدمة زبائنه، ولم يكن حينذاك يعتقد أنه نجح في اختراع المشروبات المعروفة في جميع أنحاء العالم «بيبسي كولا».

قدّم «كالب» هذا المشروب لزبائن الصيدلية، حيث كان هدفه جذب الناس للدخول إلى صيدليته، وبالفعل لاقى نجاحاً مبهراً، وأصبح الناس يطلقون عليه اسم شراب «براد»، لكن «كالب» قرَّر أن يطلق عليه اسم «بيبسي كولا»، فكلمة «بيبسي» جاءت من أنزيم الهضم البيبسين، الذي كان يضيفه إلى المشروب لجعله مفيداً في عمليات الهضم السريع، أمّا كلمة «كولا» وهي الجزء الثاني من اسم المشروب؛ فقد جاءت من المكوِّن الرئيس لهذا المشروب، وهو مستخلص من جوز الكولا المنتشر في إفريقيا.

في العام 1902، قرَّر «كالب» إنشاء مصنع صغير للبيبسي كولا، وكان موقعه في الغرفة الخلفية للصيدلية، وظل البيبسي في تلك الفترة يأتي من صنبور مثل صنبور الماء، إلى أن اقتنع «كالب» بأن تعبئته داخل زجاجات يمكن نقلها من مكان إلى آخر، وبالتالي حقَّق انتشاراً أوسع لهذا المنتج. وفي الفترة نفسها سجَّل «كالب» اختراعه كبراءة اختراع وماركة تجارية مسجّلة. بدأت أعمال «كالب» في النمو، وفي اليوم السادس عشر من شهر يونيو عام 1903، كانت بيبسي كولا مسجّلة رسمياً لدى مكتب براءات الاختراع في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي ذلك العام، باع «كالب» 7968 غالوناً، وذلك باستخدام خط الدعاية «الإبهاج»، و«تنشيط الهضم» وبدأ أيضاً بمنح الامتيازات لزجاجة بيبسي للمستثمرين المستقلين، الذين ارتفع عددهم من اثنين فقط في عام 1905 في مدينتي «شارلوت» و«دورهام»، كارولاينا الشمالية، إلى 15 في السنة التالية، و40 عام 1907. بحلول نهاية عام 1910، كان لشركة بيبسي كولا فروعاً في 24 ولاية، ومن هناك انطلقت بيبسي كولا إلى العالم بأسره. وكباقي الشركات تعرّضت بيبسي إلى العديد من الهزات الاقتصادية بسبب الحرب العالمية، والأزمات الاقتصادية المتكررة، إلا أنها نجحت في تجاوزها واحدة تلو الأخرى، ومازالت إلى اليوم المشروب المفضَّل مع معظم أنواع الطعام.

في عام 1902 تمَّ تسجيل «بيبسي كولا» علامة تجارية، وظهرت أول إعلاناتها، وفي العام الذي بعده تمَّ تأسيس شركة «بيبسي كولا» في ولاية كارولاينا الشمالية.

وتعدُّ «بيبسي العالمية» من أفضل الشركات في العالم وترتيبها 21 من أصل 500 شركة في الولايات المتحدة الأمريكية، تمتلك بيبسي مطاعم بيتزا هت، كنتاكي، فرايد شكن، وسلسلة مطاعم تاكو بيل. وفي عام 1904 أصبح مشروب بيبسي كولا متوافراً في قواريرَ زجاجية. وبحلول عام 1909 كانت هنالك 250 محطة تعبئة في الولايات المتحدة. وبحلول عام 1931 كان سعر علبة البيبسي سعة 350 مللتر 5 سنتات، ثمَّ افتتحت شركة بيبسي كولا أوَّل مصنع تعبئة عالمي لها في مونتريال بكندا في عام 1936. وفي عام 1948 ظهرت بيبسي كولا لأوَّل مرة في علب معدنية، وفي عام 1954 ظهرت بيبسي كولا في جدة على شكل قوارير زجاجية تعاد بعد الاستخدام.

أرقام وتواريخ:

1956

أصبح لدى شركة بيبسي كولا 120 مصنع تعبئة في أكثر من 20 دولة في العالم.

1958

أصبحت بيبسي كولا متوافرة في القوارير الزجاجية الملتفة المألوفة الشكل.

1959

تمَّ منح الشيخ سالم أحمد بقشان حقوق الامتياز التجاري لبيبسي كولا للمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، كما قام رئيس بيبسي كولا الجديد «دونالد كيندال» بتقديم مشروب البيبسي إلى «خروتشوف» في روسيا.

1962

كان هناك 237 مصنع تعبئة لشركة بيبسي كولا في 86 دولة في العالم.

1968

تمَّ افتتاح مصنع تعبئة البيبسي في شارع المدينة في جدة، كأكبر مصنع للمنتجات الغازية «بيبسي» في العالم، بحجم استثمارات بلغ أكثر من 5 مليارات ريال.

1981

أصبحت «بيبسي» هي المنتج الأكثر مبيعاً من بين المواد الاستهلاكية في السوق الأمريكي، حيث فاقت مبيعاتها مبيعات شركة كوكا كولا.

1984

ظهر مايكل جاكسون في دعايات بيبسي التلفزيونية وقدم ألبومه بعنوان «ثريلار» الذي باع منه أكثر من 40 مليون نسخة في العالم. وفي العام نفسه، فاز مصنع جدة بلقب أفضل مصنع تعبئة عالمياً.

1986

فازت جدة بجائزة بيبسي العالمية للجودة.

1989

تمَّ إصدار المنتج الجديد «دايت بيبسي».

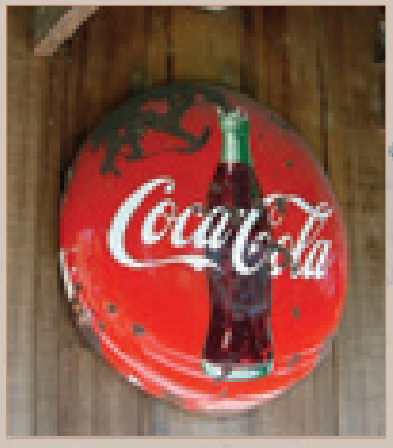

ما الفرق بين البيبسي كولا والكوكا كولا؟

البيبسي والكوكاكولا يعدّان أشهر المشروبات الغازية التي توجد في الأسواق، وتتنافس هاتان الشركتان الأمريكيتان على أخذ أكبر حصة سوقية، حيث تقوم كل شركة بإنتاج منتج جديد بين الحين والآخر؛ كي تتميَّز عن الأخرى، ومن أشكال المنتجات الجديدة التي تظهر دائماً، نكهات إضافية للمشروب مثل الكرز أو الليمون أو البرتقال وغيرها من النكهات الطبيعية. كما تتوجّه هاتان الشركتان أحياناً للطابع الصحي، حيث تنتجان بعض المشروبات التي تُدْعَى بأنها مناسبة للحميات ولا تحتوي على نسب عالية من السعرات الحرارية، على الرغم من أنَّ هناك تشابهاً كبيراً بين الشركتين من ناحية المنتجات، إلا أنَّ هناك بعض الاختلافات والفوارق بين البيبسي والكوكاكولا، فيما يلي أهمها:

- تأسَّست الكوكاكولا في عام 1886 في جورجيا، بينما تأسَّست البيبسي في عام 1893 في شمال كارولاينا.
- تحتوي الكوكاكولا على نسبة سكر أقل من البيبسي، وبالتالي فإنها تعدُّ أقلَّ حلاوة، ولذلك يعتقد بأنَّ البيبسي مرغوب فيه أكثر لهذا السبب.
- النكهة العامة لمشروب الكوكاكولا هي الفانيلا؛ لأنه يحتوي على بعض المواد الكيميائية من الفانيلا، أما البيبسي فإنَّ نكهته تميل إلى الحمضيات بشكل كبير.
- يشتهر مشروب البيبسي بحدة نكهته حيث إنَّ تناوله يسبِّب انزعاجات في الحنجرة، بينما تعدُّ نكهة الكوكاكولا أقلَّ حدةً، وبالتالي يسهل تناوله.
- تعدُّ المياه المستخدمة لتحضير الكوكاكولا مكربنة أكثر، وبالتالي فإنها أكثر غازية مقارنة بالبيبسي.
- يحتوي مشروب الكوكاكولا على نسب أملاح أكثر من البيبسي، حيث يحتوي مشروب الكوكاكولا على 50 مل غرام من الصوديوم، بينما يحتوي البيبسي على 15 مل غرام فقط.
- يتفوَّق مشروب البيبسي على مشروب الكوكاكولا بكمية الكافيين التي يحتويها، حيث إنَّ العبوة الواحدة من مشروب البيبسي تحتوي على 37،5 مل غرام من الكافيين، بينما تحتوي العلبة الواحدة من مشروب الكوكاكولا على 34 مل غرام من الكافيين.
- تحتوي عبوة الكوكاكولا على كمية سعرات حرارية أكبر تصل لـ 160 سعرة حرارية، بينما تحتوي عبوة البيبسي على 150 سعرة حرارية.

سكر أكثر

كشف أطباء اختصاصيون عمّا يحدث لجسد الإنسان عندما يتناول المشروبات الغازية، التي تحفّز أعضاء كثيرة في الجسم إلى للتفاعل بطريقة سريعة، ويحذر الأطباء منها.

واستطلعت شبكة "فوكس نيوز" آراء عدد من الأطباء المختصين لمعرفة ما يحصل داخل الجسم عند تناول المشروبات الغازية، وقالوا إنَّ المرحلة الأولى تتمثَّل بإصدار البنكرياس للإنسولين، لنقل كميات السكر القادمة من المشروب إلى العضلات، لكن طبيب الباطنة «ميلتم زايتينوغلو»، أكَّد أنَّ السكر في المشروبات الغازية أكثر ما تحتاج إليه العضلات لإنتاج الطاقة، وهنا يكمن جزءٌ من خطورة هذه المشروبات.

ويقول زايتينوغلو: «عندما يتناول الشخص 0.6 لترات من المشروب الغازي، فهي بمثابة تناوله وجبة كاملة من حيث كم الكربوهيدرات».

ويضيف: «في معظم الحالات، هذه الوجبة السائلة المتمثلة في المشروب الغازي، تكون إلى جانب وجبة حقيقية أخرى، وبدلاً من تحويل السكر إلى طاقة في العضلات، فإنَّه يتحوَّل إلى دهون في الكبد».

أمّا الكلية فسوف تلعب دوراً لمحاولة التخلُّص من السكر الزائد عن طريق إدرار البول، الأمر الذي سيؤدي إلى خسارة الجسم لكميات كبيرة الماء، ما يتسبَّب في جفاف الجسد ويؤدي إلى الشعور بالعطش.

وأشارت دراسة بجامعة برينستون إلى أنَّ المشروبات الغازية قد تؤدي إلى الإدمان الحقيقي، وخاصة السكر الذي يتخلله المشروب، الأمر الذي قد يدفع البعض لتناول أكثر من مشروب غازي واحد يومياً.

وينصح «كورديااليس مسورا كاساغو» اختصاصي التغذية والمتحدث الرسمي باسم أكاديمية التغذية وعلم التغذية في لوس أنجلوس، بالتحكُّم في جرعة المشروب الغازي، لكنه حذر من أن يصبح شربه عادة منتظمة. ويقول: «ابحث عن مشروبات أخرى بسعرات حرارية أقل، مثل الشاي المثلج والماء».

10 أسباب مهمة:

يقبل الناس على تناول المشروبات الغازية في الأيام الحارة، لاعتقادهم بأنها تزيل العطش وتشعرهم بالارتواء، وهذا الاعتقاد خاطئ تماماً، لأنها تخل بتوازن سوائل الجسم وتصيبه بالجفاف، إذ يحتاج الإنسان إلى شرب كمية من الماء تعادل سبعة أضعاف ما شربه من المشروبات الغازية لاستعادة هذا التوازن، ولا يتوقَّف الموضوع عند هذا الحد، إذ تمَّ أخيراً حصر عشرة أضرار وأمراض تسببها المشروبات الغازية للجسم وهي:

* السمنة: يؤدي شرب عبوة واحدة من المشروبات الغازية يومياً إلى زيادة نصف كيلوغرام شهرياً، نظراً لما تحتويه من كميات كبيرة من السكر، وتزيد مشروبات الدايت المحلاة بالمحليات الصناعية وزن الجسم بنسبة أعلى من تلك التي تحدثها المشروبات الغازية العادية، لما تحدثه من تفاعلات هرمونية.
* تلف الكبد: إنَّ التناول المفرط لهذه المشروبات يزيد من احتمال حدوث تشمع الكبد كما تحدثه المشروبات الكحولية.
* تسوس الأسنان: نظراً لحموضتها الشديدة، فإنَّ هذه المشروبات تذيب بفاعلية كبيرة طبقة الأسنان الخارجية وتزيد من احتمال حدوث تسوُّس الأسنان مرتين إلى ثلاث مرات مقارنة مع ما تحدثه السكريات الموجودة في الحلويات.
* حصوات الكلى: إنَّ شرب أكثر من أربع عبوات بحجم (250) مل أسبوعياً يزيد من احتمال حدوث حصوات

مصنع شركة دبي للمرطبات أصبح واحداً من أكبر مصانع التعليب في الشرق الأوسط

الكلى بنسبة 15%، وذلك بسبب احتوائها على حمض الفوسفور الذي يغيّر من تركيب البول في الجسم.

* مرض السكري: بما أنَّ هذه المشروبات تسبِّب السمنة، فإنها تمهِّد للإصابة بداء السكري وتشكِّل كمية السكر الموجودة في عبوة واحدة عبئاً ثقيلاً على الجسم لاستقلابها وحرقها.
* الارتجاع المريئي: وهو عبارة عن خروج العصارة المعدية شديدة الحموضة من المعدة إلى المريء، ما يسبب شعوراً مزعجاً بالحرقة يمتد إلى آخر الفم، ويسبب الاستهلاك الزائد لهذه المشروبات زيادة في حموضة المعدة، وتجمعاً للغازات المنطلقة منها أسفل البوابة التي تفصل المعدة عن المريء، ما يؤدي إلى حدوث ضغط وتقلُّصات تحرض على فتحها وخروج عصارة المعدة الحامضية إلى المريء.
* ترقق العظام وهشاشتها: تنقص هذه المشروبات نسبة الكالسيوم بالدم، فيقوم الجسم بتعويض هذا النقص من خلال سحب الكالسيوم من العظام فتصبح عظام الجسم بالتدريج عظاماً ضعيفة وهشّة.
* ارتفاع ضغط الدم: يسبِّب الاستهلاك المرتفع لهذه المشروبات؛ سواء العادية أو الدايت ارتفاع ضغط الدم، كما أنها تزيد من لزوجة الدم وحموضته.
* أمراض القلب: يؤدي استهلاك أكثر من عبوة واحد يومياً إلى ظهور المتلازمة الاستقلابية وهي عبارة عن أربعة أعراض تتمثل في: (زيادة الوزن – ارتفاع ضغط الدم – ارتفاع سكر الدم – ارتفاع الكوليسترول) وتسبِّب المشروبات الغازية حدوث جميع الأعراض السابقة، ويكفي حدوث ثلاثة منها ليصبح الجسم مرشحاً للإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.
* الالتهابات والاضطرابات المعدية المعوية: تسبِّب الأحماض الموجودة في هذه المشروبات زيادة في حموضة المعدة، ما يؤدي إلى تخريش جدرانها؛ لذلك يحذر الأطباء من شربها على الريق، كما أنها تسبِّب خللاً كبيراً في التوازن الحمضي القلوي للمعدة والاثنى عشر، ما يمهِّد لحدوث الالتهابات فيها.

والإقلاع عن تناول هذه المشروبات هو الحل الوحيد لتجنُّب مضارها؛ فهي مشروبات لا يحتاج إليها الجسم، ويمكن استبدالها بالماء أو العصائر الطازجة.

لا شكَّ أنَّ الإقلاع عن تناول المشروبات الغازية ليس سهلاً على الإطلاق، خاصة إذا كنت واقعاً في حبالها، ولاسيما وهي

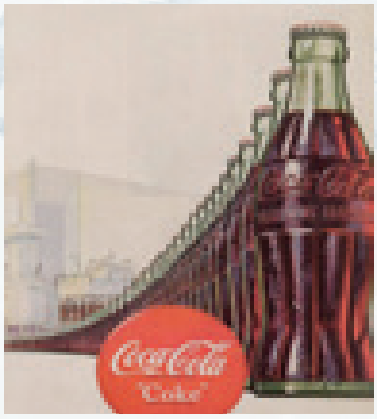

تملأ كلَّ فراغات الوجود حولنا، وللأسف لا توجد مَشَافٍ لإعادة تأهيل مدمني المشروبات الغازية، لكن على الأقل هناك بعض النصائح التي يمكنها أن تعينك على الإقلاع عن تلك العادة الضارة بالصحة، والبدء بعيش حياة صحية من جديد.

مشروبات «الدايت»

تعاطي مشروبات «الدايت» قد تكون عواقبه على الصحة أكثر؛ لأنها تحتوي على مادة الأسبارتيم، التي تتحوَّل داخل الجسم إلى عدد من الكيماويات السامة، أكثر هذه الكيماويات سمِّيَّةً هي مادة الفورمالدهيد، وهي المادة المستخدمة في حفظ أعضاء الجسم وعينات التشريح من التحلُّل.

وقد ارتبط الأسبارتيم بعدد من الاضطرابات العصبية، مثل الشقيقة (الصداع النصفي)، الدوار، الارتعاد، الارتعاش، التشوش الذهني، وتعكُّر المزاج والزهايمر، وربما يصل الأمر إلى عمى دائم.

الماء وشاي الأعشاب وعصائر الفواكه بلا إضافات من السكر بدائل رائعة، وإذا كانت هناك رغبة عارمة في استعادة مذاق الصودا، فتناول شراب الليمون المثلَّج مع الفوّار، ولعلَّ أفضل خيار أمامك كبديل هو الحليب منزوع الدسم، خاصة إذا كنت معتاداً على شرب المياه الغازية منذ أمد بعيد، فهذا سوف يساعد على ترسيب الكالسيوم مرة أخرى في عظامك، وإصلاح ما أصابها من عطب.

متحف المطيري للمشروبات الغازية

المستشار والباحث عبد الله بن جاسم المطيري، أيقونة جمع الطوابع والعملات الأثرية والصحف والمجلات القديمة، والذي خصَّص لذلك متحفاً بمنزله، قلَّ نظيره كمتحف خاص. فوجئت خلال إعدادي ملف المشروبات الغازية أنَّ هناك قسماً خصَّصه المطيري للمشروبات الغازية، يضمُّ علباً وزجاجاتٍ يعود تاريخها إلى نحو ستة عقود، كانت بعض مصانع المشروبات في دبي استخدمتها في تلك الحقبة من الزمن.

في منزله المتواضع بمنطقة الوصل، التقيت المطيري الذي أطلعني على مقتنياته «الغازية».

والحق يقال، إنني لم أجدها حتى في متحف شركة دبي للمرطبات التي زرتها الأسبوع الماضي.

متحف المطيري للمشروبات الغازية يضمُّ زجاجات وعلب «بيبسي كولا»، «كوكاكولا»، «سفن أب» و«كندا دراي»، إضافة إلى لوحات لصور إعلانية.

قلنا له ممازحين: إنك تجمع زجاجاتٍ وعلباً لكلِّ شركات المشروبات الغازية في دبي، فأيها الأحبُّ إلى نفسك؟

والعدالة والتوازن في عمله. لذا أنا لا أُقَدِّمُ هذه على تلك، ولا أُسَانِدُ تلك على حساب هذه؛ فالكلُّ عندي سواء، والنتيجة يحكم عليها الجمهور من خلال تذوُّقه للأطيب والأنفع، وإن كانت الدراسات الحديثة تدين جميع المشروبات بسبب إضرارها بالصحة العامة؛ لأنها منتجٌ مشبَّعٌ بالسكريات والمواد الكيماوية المضرة، حسب قولهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنا لا أملك أسهماً في هذه الشركة أو تلك حتى أحابيها على غيرها. لفت نظري، من بين مقتنيات المطيري الغازية، زجاجة «سفن أب» مكتوب عليها: دبي- الإمارات المتصالحة، أي يعود تاريخ إنتاجها إلى ما قبل قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، قال المطيري إنه اشتراها بـ«900» درهم ، وإنه دفع هذا المبلغ نظراً لقيمتها التاريخية والأثرية. وهناك 3 علب كُتِبَ على كل منها اسم أحد أبناء عبدالله المطيري (عمر، حصة، وعفراء)، إضافة إلى زجاجات صغيرة تعدُّ نماذج لبعض المشروبات الغازية، وكذلك عبوات تجسِّد مناسبات رياضية مختلفة تمَّ تنظيمها في الدولة، وأخرى تشير إلى راقص الراي الأميركي «مايكل جاكسون».

علب «كوكاكولا» باسم أبناء عبد الله: عمر، حصة، وعفراء

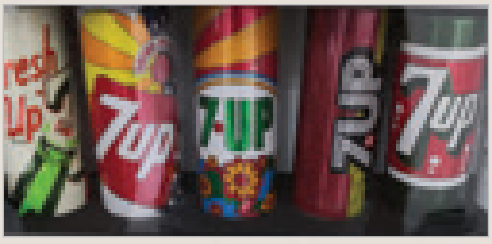

لوحة إعلانية ضمن مقتنيات متحف المطيري للمشروبات الغازية

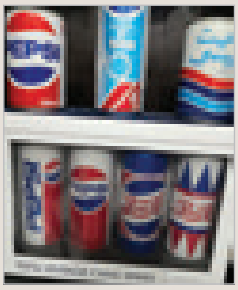

نماذج متنوعة للمشروبات الغازية

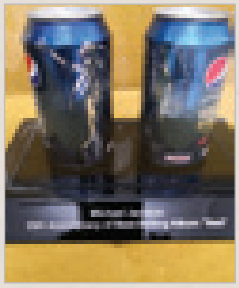

علب «بيبسي» تشير إلى «مايكل جاكسون»

الرئيس التنفيذي الأسبق للشركة يتذكَّر:

«دبي للمرطبات» أول شركة مساهمة عامة في دبي

حوار: خليل البري

تأسَّست شركة دبي للمرطبات ش.م.ع، المعروفة باسم: «دبي للمرطبات»، في يناير 1959، وهي شركة مساهمة عامة مُدْرَجَة في سوق دبي المالي منذ يناير 2007. تعمل في قطاع الأغذية والمشروبات والتبغ مع التركيز على المشروبات الغازية.

وعندما يُذْكَر اسم «دبي للمرطبات» يُذْكَر معها اسم محمد يحيى زكريا، الرئيس التنفيذي الأسبق للشركة، والذي عمل على تنظيمها وتطويرها منذ أن استقدمته الشركة من مصر للعمل محاسباً في فبراير 1962، ثمَّ أصبح الإداريَّ الأول بها، والعقلَ المطوِّرَ لمشاريعها حتى انتهاء خدمته فيها عام 2001م.

«مدارات ونقوش» أجرت حواراً مطوّلاً، عبر الهاتف، مع السيد محمد زكريا، وطلبت منه أن يحدِّثَ قرّاءها عن ذكرياته في شركة «دبي للمرطبات» بخاصة، وفي دبي بصورة عامة، وعن مراحل تأسيس الشركة وتطويرها، وسبب اختياره لمهنة صناعة المشروبات الغازية، وعن نظرته لمستقبل هذه الصناعة في دولة الإمارات العربية المتحدة والمنطقة والشرق الأوسط عامة.

البدايات

قال زكريا: «استقدمتني الشركة من مصر عام 1962، لتنظيم حساباتها، حيث كان لديها شخص يسمونه «الكراني» مهمته تسجيل ما يدخل إلى الشركة وما يخرج منها. وبعد استلامي العمل أدخلت إليها نظام المحاسبة وفق أصوله الحديثة، ثمَّ رُقِّيتُ إلى مدير تنفيذي، فوضعت لها نظامها الأساسي، ومهام مجلس الإدارة والجمعية العمومية وغيرها من أقسام الشركة».

أول شركة مساهمة عامة في دبي

وأضاف: تعدُّ «دبي للمرطبات» أول شركة مساهمة عامة في دبي، ورئيسها الفخري كان المغفور له الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيَّب الله ثراه، الذي يملك 20% من

راشد مفتتحاً أول مصنع لدبي للمرطبات بحضور العويس ومحمد زكريا

أسهمها، بينما كان يملك باقي الحصة كلٌّ من علي عبدالله العويس، محمد سعيد الملا، جمعة الماجد، علي عبدالله قرقاش، ومهدي التاجر. وهم الشركاء الأساسيون الذين أسهموا في تأسيس الشركة.

واستطرد: «في عام 1962 أنشأنا مصنع الشركة في شارع المكتوم، بطاقة قدرها 500 صندوق في اليوم، تقوم

4 سيارات لتوزيع الإنتاج

محمد زكريا لـ «مدارات ونقوش» عبر الهاتف:
«مرطبات دبي» أحد إنجازات راشد بن سعيد

بتوزيعها 4 سيارات من نوع جي. إم. سي، وهذه الكمية تعدُّ كبيرة حينذاك. وامتياز الشركة كان يشمل الإمارات المتصالحة وسلطنة عمان».

منافسون

قال محمد زكريا: «بعد نحو خمس سنوات من العمل، شهد سوق المشروبات الغازية في دبي دخول منافسين جدد هم: «كوكاكولا»، و«سفن أب»، لصاحبيها السيد جمعة الماجد، والمرحوم محمد القاز، وبدؤوا بتصنيع «كندا دراي»، و«سفن أب» وطرحهما في السوق بأسعار منافسة».

وأضاف: كانت شركة «بيبسي كولا» الأم، تريد أن تجعل من دبي مركزاً رئيساً لتصنيع منتجاتها في منطقة الخليج العربي، لذا قمنا بتطوير الشركة عدة مرات حتى أصبحت «دبي للمرطبات» أكبر مصنع في المنطقة. وفي عام 1973 انتقلنا إلى شارع الشيخ زايد، وأنشأنا مركز الشركة في منطقة القوز.

وضمن رؤية شركة «بيبسي كولا» العالمية لمستقبل العمل، تمَّ إنشاء شركة «أبوظبي للمرطبات» في العام 1970، ومرَّت بمراحل عدة من المد والجزر، إلى أن أصبحت كياناً قائماً بذاته بعد نحو عامين. كما تمَّ إنشاء شركة «عمان للمرطبات» في العام نفسه، وكانت حصة «دبي للمرطبات» فيها 15%، 40% للمرحوم سلطان العويس، والباقي لشركاء عمانيين، وقد أُنْشِئَت الشركة بموافقة السيد عاصم الجمالي، أول وزير صحة في عمان.

رب صدفة

- سألت السيد زكريا عن سبب اختياره لمهنة إدارة صناعة المشروبات الغازية، ليصبح لاحقاً أحد رموزها المهمة في الخليج العربي والشرق الأوسط؟

فأجاب: إنَّ الصدفة وحدها هي التي جعلته أحد رموز هذه المهنة؛ فهو خريج كلية التجارة في القاهرة، ويعمل في ديوان المحاسبة، وفي عام 1962 استدعاه المرحوم سلطان علي العويس، أحد مؤسِّسي «دبي للمرطبات» وعرض عليه أن يسلِّمه إدارة المحاسبة في الشركة.

ويقول: قمت بزيارة شركة «بيبسي كولا» في مصر، وتعرَّفت إلى سير العمل المحاسبي فيها، ثمَّ انتقلت إلى

الشيخ راشد بن سعيد الرئيس الفخري للشركة

أول مصنع لشركة دبي للمرطبات

دبي وبقيت فيها محاسباً إلى أن انتقل مديرها المرحوم قيس الزواوي إلى عمان، وكان مديراً للشركة من (1963-1967)، ثمَّ تسلَّمت مكانه مديراً تنفيذياً، وبقيت فيها حتى مغادرتي في عام 2001.

- وسألته عن مدى تعاون المسؤولين في دبي مع الشركة، ومع رجال المال والأعمال في تلك الفترة؟

فأجاب: كان المغفور له الشيخ راشد بن سعيد، يحرص على تسهيل كل أسباب تطورها وازدهارها، ليس لأنه الرئيس الفخري للشركة فحسب، بل لأنه كان يحرص على تقديم كل أنواع الدعم والمساندة لجميع الشركات العاملة في دبي. وكان، رحمه الله، يحرص على حل أية معضلة أو مشكلة تواجه مجتمع المال والأعمال في الإمارة، ولعل ذلك كان يأتي من

راشد بن سعيد حرص على تقديم كل أنواع الدعم والمساندة لجميع الشركات العاملة في دبي

500 صندوق طاقة المصنع يومياً

نظرة استراتيجية ومتفائلة لمستقبل دبي، التي جعل منها صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم «هونغ كونغ الخليج»، بل وقبلة في الصناعة والسياحة والأعمال.

وأشار إلى أنه تلبية لبعد نظر الشيخ راشد، رحمه الله، أنشأنا شركة مياه «جيما»، لتصبح ثاني أكبر مصنع للمياه في دبي بعد شركة «مسافي» لأسرة الغرير.

- وعن رأيه في صناعة المياه الغازية حالياً،

قال: أرى أنَّ هذه الصناعة لم تعد مربحة ومجدية كما كانت سابقاً، ولعلَّ ذلك يعود إلى عوامل عدة، منها على سبيل المثال:

- فرض مزيد من الضرائب عليها على مستوى العالم.
- الدراسات التي تنشر بين الفينة والأخرى عن أضرارها؛ بسبب وجود كمية من السكر والمنبهات فيها، ما يقود إلى السمنة، حسب رأي الدراسات، وإلى أمراض كثيرة منها السكري، والفشل الكلوي وغيرها.

500 مليون درهم

أنشأت شركة دبي للمرطبات صاحبة الامتياز والمنتج والموزع الوحيد لمنتجات «بيبسي كولا» مصنعاً في مجمع دبي للاستثمار بكلفة استثمارية تتجاوز 500 مليون درهم، حيث أصبح واحداً من أكبر مصانع التعليب في منطقة الشرق الأوسط، والذي يمتد على مساحة تزيد على 140 ألف متر مربع، وينتج أكثر من 150 مليون صندوق سنوياً، وتُقدَّر

أعضاء مجلس الإدارة الحالي

أحمد بن عيسى بن ناصر السركال
رئيس مجلس الإدارة
علي حميد علي عبد الله العويس
نائب رئيس مجلس الادارة
طارق السقا
الرئيس التنفيذي
محمد عبد العزيز علي عبد الله العويس
عضو مجلس إدارة
إبراهيم عبد الرزاق استادي
عضو مجلس إدارة
محمد هادي أحمد عبد الله الحسيني
عضو مجلس إدارة
عبد الله محمد راشد الحريز الفلاسي
عضو مجلس إدارة
أيوب محمد أمين كاظم
عضو مجلس إدارة

اعتمدت شركة بيبسي على الطائرات كأول شركة تقوم بهذا النوع من الدعاية سنة 1939 بمعرض نيويورك الدولي

الطاقة التخزينية الخاصة بالمصنع بـ 550 ألف صندوق.

وقد سمّي المشروع الجديد «جرين فيلد»، وتتبنى فيه شركة «دبي للمرطبات» مفهوم التكنولوجيا الخضراء، وذلك من أجل المساهمة في الحفاظ على البيئة بكل المعايير؛ ومن ضمنها التوفير في استهلاك الطاقة والماء، والتخفيف من انبعاث الملوثات، والتخلُّص من النفايات بأحسن الطرق. حيث يحتضن كلَّ مفاهيم وإجراءات الحفاظ على البيئة وتحسين إنتاجية الموظفين والعمال.

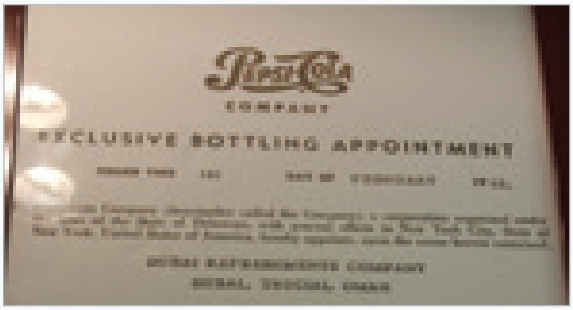

شهادة إنشاء المصنع عام 1962

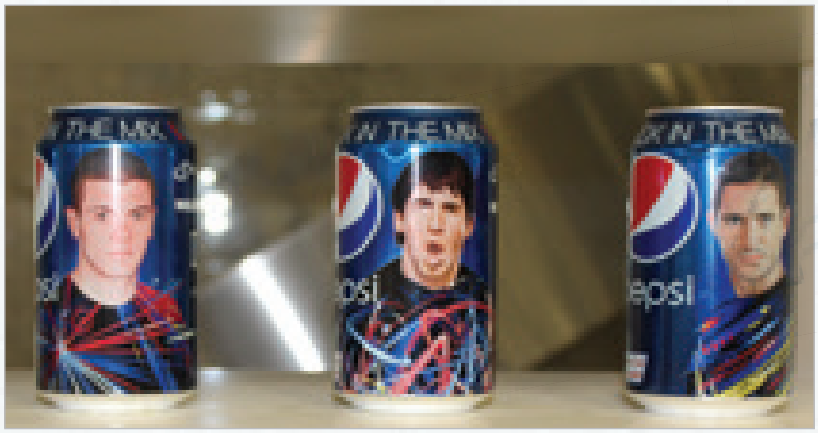

بيبسي كولا داعم رئيس للأنشطة الرياضية والفنية

محمد يحيى زكريا

- رجل أعمال إماراتي من أصل مصري، من مواليد 10 مايو 1938، عمل رئيساً مشاركاً وتنفيذياً لشركة «مرطبات دبي» خلال الفترة من 1962 - 2001. حصل على درجة البكالوريوس من جامعة القاهرة عام 1960، وماجستير في إدارة الأعمال من جامعة ميشيغان الأمريكية. وفي عام 1962 استقدمته «مرطبات دبي» للعمل بمنصب كبير المحاسبين، ثمَّ مديراً تنفيذياً في عام 1967، ثم رئيساً لها حتى عام 2001.
- عمل على تطوير أعمال الشركة، حتى أصبحت الأكبر في منطقة الخليج العربي. وفي عام 1974 أسَّس إلى جانب المرحوم قيس بن عبد المنعم الزواوي مصنع «مرطبات عمان».
- وهو عضو مؤسِّس في بنك دبي الوطني عام 1962. وأسهم في تأسيس شركة «جيما» للمياه المعدنية في 1980.

استعراض ورصد زمني لأبرز الأمراض المعدية في المنطقة

لمحة تاريخية عن
الأحوال الصحية في الإمارات العربية

فاطمة بنت ناصر*

المرض رفيق البشر منذ أن خُلِقوا، يصارعهم ويصارعونه. وللأمراض تاريخٌ أيضاً كتاريخهم. قد يهمل الناس حين يقرؤون الوثائق التاريخية تلك التفاصيل المتعلّقة بالصحة والأمراض في الماضي، ولكني أراها مثيرة للاهتمام ولا تقلُّ أهميةً عن قصص البطولات والصولات والجولات في ميادين الحروب. إنَّ الإصابة بالأمراض، خاصة في زمن كان يعمُّه العوز وضيق الحال، يكشف عن معادن الناس ويظهر لنا دروساً في التكاتُف لكبح النائبات. تماماً كما حصل في عام 1936 حين زادت الإصابات بالجدري، وتحوَّل إلى وباء قاتل عمَّ أرجاء الإمارات، ولأنَّ المقيمية البريطانية لم تتمكّن من توفير كادر طبي، اعتمدت على شخص واحد أو شخصين يقومان بمهمة التطعيم. وظهرت مواقف إنسانية لشيوخ تعلَّموا التطعيم وضرب الإبر فقط لإنقاذ مواطنيهم، كالشيخ حشر آل مكتوم وغيره من الشخصيات التي قد مرَّ عليها التاريخ مرور الكرام، ولكنها تستحقُّ وقفة شكر وتقدير لمواقفهم الجليلة. أمّا المواطنون فلا يقلّون عن شيوخهم في كتابة التضحيات، بل ساعدوهم لمجابهة الأوبئة؛ فمنهم من كان يبني سكناً معزولاً ليسكن فيه قريبه المصاب بالجدري بعيداً عن القرية، حتى لا تنتقل العدوى للآخرين.

يعتمد هذا المقال على ذكر السنين من الأقدم مرفقة بذكر أبرز الأحداث الصحية والملاحظات التي دوّنت عن تعاطي الناس مع تلك الأمراض.

1824:

تقرير أعدَّه الملازم وايتلوك عن المنطقة بين رأس الخيمة وأبوظبي. نشر في العدد الأول من حولية جمعية بومباي الجغرافية (1836-1838م) تحت مقال حمل عنوان: «معلومات عن العرب الذين يسكنون المنطقة بين رأس الخيمة وأبوظبي المعروفة بساحل القراصنة».

- من ملاحظاته انتشار الحمّى والتهابات العيون. ويقول إنَّ الناس غالباً ما تعزي أمراض العيون إلى مهنة الغوص.
- يذكر أنَّ الناس تعالج بعض أمراضها عن طريق مسح جلودهم بمزيج مكوّن من السمن ومسحوق الكركم.
- يقرُّ الناس الذين صادفهم بأنَّ الغوص متلف للصحة وهم صادقون، حيث لاحظ أثره في أجسادهم النحيلة التي تعاني التهاب العينين بشكل دائم.
- يعتقد العربُ أنَّ الاكتحالَ مفيدٌ لأمراض العيون، لهذا يصطحبون مكحلتهم دائماً. ويصفها وايتلوك بأنها عبارة عن علبة صفيح مذهبة، والمرود عبارة عن قطعة من الصدف، يضعون الكحل في طرفها ويمررونها على الجفن من الداخل.
- ينقل وايتلوك ملاحظة عن النساء في الساحل، حيث يقول إنهن يتزوجن في سن مبكرة (عادة في الرابعة عشرة) ويؤثّر الحمل المتكرّر في مظهرهن فيذبلن قبل الأوان.

1894 - 1893:

- انتشرت الكوليرا في الإمارات، من داخلها وصولاً لساحلها، وعلى الرغم من عدم بقائها فترة طويلة، فإنها خلَّفت وراءها عدداً من الضحايا لا يستهان به. وأكثر الإمارات تضرُّراً منها رأس الخيمة والشارقة ودبي وأبوظبي.

1901 - 1900:

- ظهر نوع شرِس سريع الانتشار من وباء الجدري في الشارقة في شهر إبريل، ومات بسببه 500 شخص.

1905 - 1904:

- أصيبت معظم دول الخليج في تلك الفترة بوباء الكوليرا، وبلغ عدد المصابين في الإمارات وحدها نحو 800 شخص.

1922:

- من تقرير كتبه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي:

يعتقد العرب أنَّ الاكتحال مفيد لأمراض العيون لهذا يصطحبون مكحلتهم معهم

«في تلك السنة مرَّت على الإمارات (الساحل المتصالح) موجة حر شديدة، لدرجة أنَّ كبارَ السن لم يتذكروا شيئاً مرَّ عليهم كحرارتها. وقد عانى الكثير من السكان حمّى قوية مصحوبة بالتقيُّؤ الشديد، كما عانى آثارها المقيم السياسي البريطاني، حيث أصيب بصداع قوي ومزمن وازدياد في نبضات القلب وقد، أُلزِمَ بمغادرة الإمارات لمدة 6 أسابيع».

1934:

- خوفاً من تفاقُم وباء الجدري، قام المسؤولون البريطانيون بإرسال طبيب مختص لإجراء التحصين في الإمارات المختلفة، وكانت على النحو التالي:
  - أبوظبي: 66 شخصاً
  - دبـــي: 229 شخصاً
  - الشارقة: 13 شخصاً
- من أبرز الذين تعلَّموا إجراء التطعيم الشيخ حشر (أخو حاكم دبي) وقام بتطعيم الناس، حيث تمَّ إرسال دفعتين من المصل التحصيني له، وكذلك قريبه الشيخ جمعة بن ثاني. كما فرّغ شيخ رأس الخيمة اثنين من رجاله هما: جاسم بن كلبان ومحمد بن عبدالعزيز، ليتعلّما كيفية التحصين.

1936:

- وباء الجدري ينتشر بسرعة في أرجاء الإمارات، وفي تقرير كُتِبَ في عام 1936 يشير إلى أنَّ الجدري لم يبارح الإمارات منذ 5 سنوات، أي منذ عام 1931، غير أنَّ انتشاره بدأ بالتناقص بعد التطعيمات.
- من الملاحظات المهمّة أنَّ الحالات كانت تتزايد في فصل الشتاء، وذلك بسبب كثرة الناس وقربهم في المنطقة الواحدة، بينما في فصل الصيف يتوزَّع الناس في أنحاء مختلفة.
- يقول أحد المسؤولين في تقريره: «إنَّ دبي تتعامل مع الحالات المصابة بالجدري بشكل متميز ومثير للاهتمام مقارنة ببقية الإمارات، حيث يقوم الناس بعزل المصاب في منطقة بعيدة عنهم لمدة 40 يوماً، وهذا من شأنه تقليل نقل العدوى بشكل كبير. إلا أنه في يناير عام 1936، منع شيخ دبي عزل المصابين وإرسالهم خارج دبي، وذلك لضعف حالة أهاليهم المادية وعدم قدرتهم على إنشاء مكان محصّن يَقِيهم البرد».
- لم يكن تقديم الرعاية الصحية في بلدان الخليج بالأمر السهل؛ فالتعليم كان معدوماً والثقافة السائدة بُنِيَت على تراكمات من المعارف، بعضها مفيد والآخر مجرّد خزعبلات. لاقى التحصين معارضة في البداية، كما تذكر التقارير، لكن بحلول عام 1936 كان تقبُّل الناس أفضل، لكنهم لم يستوعبوا فكرة التطعيم قبل الإصابة بأي مرض؛ فالسائد أن تَمرَض ثمَّ تُعالَج. لهذا كان كثير من الناس يعتقدون أنَّ التطعيم المسبق هو ما سيجلب المرض الحقيقي إليهم.
- ضحايا الجدري المسجلة في عام 1936 كانت:
  - 100 حالة في الشارقة منها 12 حالة وفاة
  - 10 حالات في رأس الخيمة منها 4 حالات وفاة
  - 80 حالة في أم القيوين منها 4 حالات وفاة
  - 15 حالة في عجمان منها 7 حالات وفاة
  - 500 حالة في دبي منها 60 حالة وفاة
- ورد ذكر لقائمة من الأمراض التي قام الطبيب البريطاني بمعاينتها في دبي أثناء إحدى زياراته في عام 1936:
  - الملاريا: 11 حالة
  - الزحار/ الديزنتاريا: حالتان
  - السل الرئوي: حالة واحدة
  - الكبد: حالتان
  - العيون: 14 حالة
  - تسوُّس الأسنان: 4 حالات
  - الزهري: حالتان

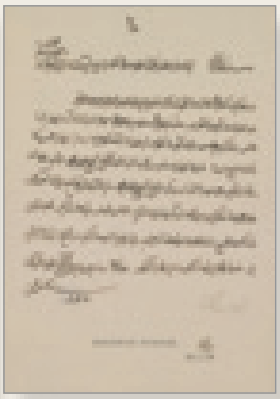

رسالة من الشيخ سعيد آل مكتوم شيخ دبي إلى المقيم السياسي بالبحرين يشكره فيها على مساعدته بإرسال الدكتور هولمز لمواجهة وباء الجدري 1936

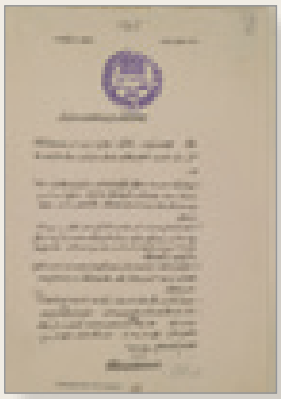

رسالة من خان صاحب حسين بن حسن إلى وكيل المقيمية البريطانية في الساحل المتصالح 1936

تعلَّم شيوخ الإمارات طريقة التطعيم لتحصين المواطنين ضد الأمراض المعدية

الدكتور البرتغالي خوسيه كوريا فرنانديز افتتح أول عيادة أسنان في دبي عام 1945

- السيلان: 3 حالات
- الخراج: حالتان
- الأذن: حالة واحدة
- الديدان: 3 حالات

- من أبرز المتوفين بداء الجدري في عام 1936 الشيخ حميد بن راشد بن سلطان، ابن حاكم دبا. وقد أُغْلِقَ السوق عند وفاته بأمر من ابن عمه الشيخ سلطان بن صقر.

1939:

- في تلك السنة، قام طبيب المقيمية البريطانية بجولة طبية في الإمارات عدا كلباء، واستقبله الناس بترحاب، غير أنه لم يتمكّن من معاينة النساء لتحفُّظ الأهالي. وقد عاين في إمارة أم القيوين وحدها نحو 350 شخصاً. ومن الملاحظات الغريبة أنَّ بعض الناس كانوا يتصنّعون المرض، ليحصلوا على الإبرة.
- تمَّ العثور على حالة مصابة بحمى التيفوئيد في حصن الشارقة، وقام البريطانيون بإرسال التطعيم الخاص بعلاجها وإرسال عينة من المياه لبغداد للقيام بالتحاليل اللازمة.
- زار الشيخ سعيد آل مكتوم الداخل الإماراتي على بعد (20-30 ميلاً) عن دبي، لمناقشة بعض القضايا المتعلقة بتلك المنطقة مع الشيخ محمد بن علي، إلا أنَّ الشيخ محمد بن علي كان مصاباً بالحمى التي أنهكت جسمه ومنعته من النقاش.

1940:

- جلب بعض الحجاج، بعد قدومهم من الحج، مرض الجدري إلى أبوظبي، بينما خلت بقية الإمارات في تلك السنة من داء الجدري.
- تمَّ تطعيم 837 شخصاً في الشارقة و1386 في دبي.
- وصول شحنة من المصل ضد الجدري من البصرة، ولكنها لم تُحْفَظ بعناية فكسرت 9 قنينات، بينما 3 منها أتت فارغة من المصل.

1941

- ظهور حالات جديدة من الجدري في المنطقة بلغ عددها 10 في دبي، و2 في الشارقة، وكانت هناك حالة واحدة فقط متأخرة وميؤوس من علاجها. وقد أوصت الحكومة البريطانية في الهند بإرسال شحنة أسبوعية من التطعيمات للإمارات عن طريق الجو، غير أنَّ كاتب التقرير يقول إنه حتى وقت كتابته له مرَّ 10 أيام دون وصول أي شحنة من التحصينات.
- وصول شخص مصاب بحالة خطيرة من الجدري للعلاج في دبي، تمَّ إحضاره من الكويت.
- طلب المسؤولين دفعة إضافية من المصل التحصيني ضد الجدري (500) مصل.

1945:

- أُبْلِغَ شيخُ رأس الخيمة عن وجود حالات مصابة بالجدري في منطقة شعم؛ وذهب المسؤول الطبي البريطاني لعلاج المصابين مصطحباً معه لقاح التطعيم ضد الحصبة، والتي طلبته المقيمية البريطانية في البحرين من حكومة السند.
- قام الدكتور البرتغالي خوسيه كوريا فرنانديز «Dr jose Correia Fernandis» بافتتاح أول عيادة أسنان في دبي

1946:

- وصلت من كراتشي إلى الإمارات 120 قارورة تطعيم ضد الجدري، وقام المسؤول الطبي في المقيمية البريطانية بتطعيم الناس في كل من الشارقة ورأس الخيمة وعجمان.

المراجع

1. الأرشيف البريطاني: تقارير الخليج الإدارية منذ 1883-1884 وحتى 1904-1905.
2. الأرشيف البريطاني: مذكرات المسؤول السياسي، الساحل المتصالح.
3. الأرشيف البريطاني: ملف انتشار الجدري والكوليرا وغيرهما من الأمراض في الساحل المتصالح.
4. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية. دار الساقي، 2013.

الآن في الأسواق

الجزء الأول (1 - 6)

من مجلد

مداولات ونقوش

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

100 درهـــم

من مفكرة «أخبار دبي» (7)

استراتيجية راشد لنهضة البلاد وتوفير العيش الرغيد

أمنك بخير.. أنت بخير

بقلم: خليل البري

«أمنك بخير.. أنت بخير». هذا ما قاله صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، منذ نيف وأربعين عاماً، وكانت هذه المقولة موضوع غلاف مجلة أخبار دبي (العدد الرابع عشر - السنة الثانية عشرة)، الصادر يوم السبت 9 نيسان (إبريل) 1977.

وقبل أن أمضي قدماً في سرد ما جاء في التحقيق، أقف عند هذه الجملة التي بنيت عليها الاستراتيجة الأمنية لدولة الإمارات العربية المتحدة لاحقاً، والتي أرسى قواعدها المغفور لهما الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيَّب الله ثراهما.

زايد وراشد، رحمهما الله، منحا مسألة الأمن أهمية قصوى، لا يوازيها سوى اهتمامهما بصحة المواطنين، وتعليم أبنائهم، وتوفير الحياة الكريمة لهم.

خلال عملي صحافياً في «أخبار دبي»، ثمَّ «إعلام دبي»، أستطيع القول إنَّ استراتيجية الشيخ راشد، رحمه الله، كانت تقوم على خمس قواعد أساسية لنهضة البلاد وتوفير العيش الرغيد لسكانها، مواطنين ووافدين، تتمثَّل في:

- توفير الأمن والاستقرار للمجتمع؛ لأنَّ أي تطور أو ازدهار لن يقوم بدون ذلك.
- الاهتمام بصحة الناس وتوفير كل المتطلبات اللازمة للارتقاء بها.
- الارتقاء بمستوى التعليم بكل مراحله الدراسية، وتوفيره مجاناً وإلزامياً للمواطنين.
- الاهتمام بالبنية التحتية، وتوفير السكن المناسب مجاناً لكل مواطن.
- النهوض بالاقتصاد الوطني وتوفير كل البنى الضرورية لتطويره والارتقاء بمستواه.

وفي هذه الحلقة من «مذكرات أخبار دبي» سنتحدث عن

مسألة الأمن التي جعلت الإمارات واحدة من أكثر الدول أمناً واستقراراً في العالم. حيث وفَّرت الدولة لقضية الأمن كل مستلزماتها واحتياجاتها البشرية، المادية والتقنية.

عاملان أساسيان

جاء في التقرير الذي نشرته في العدد المذكور:

«حي على الصلاة..حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله». ما إن ارتفع صوت المؤذن معلناً موعد صلاة العصر، حتى هبَّ صاحبي ملبياً الدعوة، فوضع قطعة من القماش الأبيض على واجهة المحل وهمَّ بالانصراف، فاستوقفته طالباً

دبي أول من أسَّس جناحاً جوياً للشرطة في الوطن العربي عام 1977

منه إغلاق باب المحل احتياطاً، تفادياً للسرقة. فكان جوابه ابتسامة عريضة ارتسمت على محياه: «لا، ما في خوف، لأننا في أمن واطمئنان.. أنا ما تعودت أغلق باب المحل عندما أروح الصلاة، ومنذ أكثر من خمس سنوات أسير المسجد وأترك باب المحل مفتوحاً».

هذه الحادثة تركت في نفسي انطباعاً خاصاً عن شعور المواطن بالأمن والطمأنينة، ليس في دبي، فحسب، بل في جميع أنحاء الإمارات. ولو بحثنا عن الأسباب الكامنة وراء ذلك لوجدناهما اثنين لا ثالث لهما:

الأول: الخيرات التي وهبها الله سبحانه وتعالى لبلادنا وضعتها في حالة من الاكتفاء والحياة بمستوى جيد من الدخل، لذلك فإنَّ الحاجة للسؤال أو السرقة أصبحت نادرة في مجتمعنا، وإن وجدت فإنها لدى قلة قليلة ذات انحراف خلقي.

الثاني: اهتمام الدولة بجهاز الأمن، كواحد من المرافق الأساسية في المجتمع، وتدعيمه بشرياً وفنياً، والارتقاء بمستواه مهنياً ليتلاءم مع النهضة الحضارية التي تشهدها البلاد، وما استتبعها من توسُّع هائل، وزيادة كبيرة في عدد السكان. ولم يقتصر الاهتمام بجهاز الأمن في الدولة على زيادة العناصر البشرية، وإنما تمَّ استحداث فروع عدة لاختصاصات متنوعة، بدأ من توفير أجهزة الرقابة الذاتية على السيارات، إلى أجهزة الكشف عن الكذب، وإنشاء فرق للفروسية لملاحقة المجرمين في المناطق الوعرة، إلى استحداث فرقة خاصة للكلاب البوليسية المدربة على اقتناص المجرمين، إلخ.

كل تلك الأمور تركت في نفس المواطن والمقيم شعوراً بالاطمئنان والأمن على ممتلكاته وعرضه، واثقاً من نفسه وحكومته، ما كان له أثر كبير في الاستقرار وزيادة الإنتاج والارتقاء بمستوى اقتصاد البلاد.

اهتمام رفيع

لا أبالغ إذا قلت إنَّ دولة الإمارات العربية المتحدة تأتي في مقدمة الدول العربية التي يهتم كبار مسؤوليها، ويشرفون بصورة مباشرة على تدعيم جهاز الأمن وتقوية أركانه.

وفي دبي، كان المغفور له الشيخ راشد، وعلى يمينه دائماً، صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، يشرفان ويتابعان عن كثب خطط تطوير الجهاز الأمني، وتزويده بأحدث

راشد بن سعيد آل مكتوم

ما توصل إليه العلم والتكنولوجيا من وسائل حديثة ومتطورة ليكون مواكباً للنهضة الحضارية التي تعيشها دولة الإمارات بصورة عامة، ودبي بخاصة.

وكان الشيخ راشد ومعه الشيخ محمد، رئيس الشرطة والأمن العام في دبي، يحرصان على حضور كل الفعاليات الشرطية في دبي، مهما كان حجمها. وكان الشيخ راشد يكرِّم بنفسه الخريجين والمتميزين من الجهاز الشرطي، تأكيداً منه على اهتمامه الشخصي والمباشر بالعين الساهرة على أمن المجتمع وسلامته.

يوم الأربعاء - السادس من إبريل (نيسان) - 1977، كان ثمة حفل لتخريج 4 دفعات من رجال الشرطة في مدرسة تدريب الشرطة في بر دبي، وكنت أُمثِّل «أخبار دبي» في تغطية الحدث.

حينذاك وصل الشيخ راشد، تغمده الله بواسع رحمته، يرافقه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، إلى مكان الاحتفال في الساعة الخامسة مساءً، وكان في استقبال سموهما العقيد عبدالله بلهول القائد العام لشرطة دبي «آنذاك»، وقناصل الدول المعتمدون في دبي وكبار المسؤولين في الدولة.

وبعد أن استعرضا طابور الخريجين، قام الشيخ راشد بتوزيع الجوائز على الفائزين، أعقبه عرض رائع للكلاب البوليسية، وهي الفرقة التي شكَّلتها شرطة دبي قبل شهرين من ذلك، لاستخدامها في أغراض حفظ الأمن، وتضمُّ سلالة من كلاب «وولف» الذكية. حيث نفذت الكلاب تجربة لما يمكن أن تقوم به في الواقع العملي من كشف للمخدرات والمجرمين، واقتفاء للأثر.

طائرات الهيلوكوبتر تتولى عمليات الإنقاذ ومساعدة الصيادين وملاحقة المجرمين

وحصلت «أخبار دبي» حينذاك على تصريح من الشيخ محمد بن راشد قال فيه: «إني لأنصح هؤلاء الخريجين بأن يخلصوا في العمل، ويتفانوا فيه، محبة لله والوطن، وأن يؤدوا واجباتهم بوازع من ضميرهم في سبيل نصرة الحق، ونجدة الملهوف، ودفع الظلم عن المظلومين، والضرب على يد كل من تسول له نفسه التلاعب بالأمن والاستقرار، أو العبث بطمأنينة الناس وسلامتهم، وسلامة ممتلكاتهم وأموالهم.. تحقيقاً لما قلناه، ونقوله دائماً: أمنك بخير.. أنت بخير».

دوريات طائرة

في لقاء صحافي أجراه الزميل الراحل محمد نوراني، رحمه الله، مع العقيد عبدالله بلهول، القائد العام لشرطة دبي آنذاك، قال: «نظراً للاهتمام الكبير الذي يوليه سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لقطاع الأمن، وتنفيذاً لتوجيهات سموه، أدخلت شرطة دبي نظام دوريات المرور بالطائرات العمودية، وأصبحت رهن الإشارة لتكون خلال لحظات في مكان الحادث... وبذلك استطعنا مسابقة الزمن لصالح المصاب في الحادث... ما مكننا من اختصار الزمن لإنقاذ المصاب، وقطع طريق الهروب على أي مجرم».

وبذلك تفخر شرطة دبي بأنها أول من أسَّس جناحاً جوياً تابعاً للشرطة في الوطن العربي.

ورداً على سؤال المحرر عن أهمية هذا الجناح الجوي والخدمات التي يقدمها، قال بلهول: «إنَّ دورية هذه الطائرة تعادل دوريات خمسين شرطياً على مختلف الطرق، وبواسطتها يمكن إسعاف المصابين في حوادث الطرق بسرعة فائقة، وبواسطتها يمكن إرشاد سفن الصيادين، والبحث عن المفقودين في البحر. إضافة إلى نقل الجرحى والمصابين في حرائق البواخر، إلخ. وستكون الطائرة مزودة بجميع التجهيزات اللازمة».

وأضاف العقيد بلهول: «هذه الوسائل الحديثة والمتقدمة تتطلب رجال شرطة في مثل كفاءتها، ويمتلكون الأجهزة الفنية التي تساعد على التكاملية في أداء المهمة، بين الذي بلغ عن الحادث، والذي تلقى البلاغ، والذي سارع بالتدخل للإنقاذ».

واستطرد: «لذلك سيكون لدى كل فرد من الضباط والشرطة جهاز يستطيع بواسطته الإبلاغ عن كل ما يراه مخالفاً، وستكون هناك شبكة متطورة جداً للاتصال والإبلاغ بالسرعة المطلوبة».

وقال بلهول: «نحن الآن بصدد إدخال وسائل الرقابة على الطرق، وتنظيم حركة السير، والتحكم فيها لتحقيق انسيابية المرور وعدم اختناق الطرق. وسنعتمد في ذلك على أحدث الوسائل «العين التلفزيونية» التي بواسطتها تستطيع مراقبة الطرق وحراسة المنشآت والمراكز والمعارض التجارية، بمعنى أنَّ أي حادث على الطرق، أو محاولة ارتكاب سرقة سيكون مراقباً تلفزيونياً بكل تفاصيله».

راشد ومحمد بن راشد أثناء عزف النشيد الوطني

راشد يصافح أحد الخريجين بحضور محمد بن راشد

الشرطة عام 1979

كيف ستبدو شرطة دبي في العام المقبل «1979»؟ سؤال وجهه الزميل الراحل محمد نوراني إلى العقيد عبدالله بلهول، فأجاب: «نحن نؤثر الصمت، ولكن لا بأس أن أخبرك بشيء عن العام الجديد، ليس كأمنية نتمنى أن نحققها، بل كتطور حدث بالفعل؛ فقد جلبنا الأجهزة الفنية التي تعمل بنظام جديد، يعتمد على إرسال التبليغ عن الجرائم أو الحوادث بطريقة الاتصال المكتوب (التلبرنتر)، وهو مشابه لأجهزة وكالات الأنباء التي تتلقى الأخبار وتسجلها كتابة لحظة كتابتها من الطرف الآخر في أي مكان. وبذلك سوف ترتبط القيادة مع المراكز وخفر السواحل».

وأضاف العقيد بلهول: «كما سيتم إدخال نظام الإنذار الآلي الذي يستخدم في البنوك والمؤسسات الكبرى.. وباختصار أقول: إنَّ شرطة دبي تعمل بإمكانات بشرية وفنية متطورة، تصنفها بأنها تعمل خارج نطاق الوطن العربي، بفضل رعاية صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وتوجيهات سمو الشيخ محمد بن راشد وزير الدفاع، رئيس الشرطة والأمن العام. ولأنَّ ما حققته دبي من إنجازات عملاقة، وما شيدته من مصانع ضخمة، بفضل حنكة قيادتها الرشيدة، جعلها تسابق الزمن في طريق النمو والتطور، وفرض على جهازها الأمني أن

العيـن التلفزيونيــة تراقـب الطــرق والمراكــز التجاريــة وتنظِّــم حركـة السـير

يواكـب تلـك المعطيـات والإنجـازات».

«التلبرنتر» يختصر الزمن

«مـا كنـا نقضيـه فـي خمـس سـاعات أصبحنـا نقضيـه فـي خمـس دقائـق». هـذا مـا قالـه «المقـدم» ضاحـي خلفـان تميـم، القائد العام شرطة دبي بالإنابة لرجال الصحافة والإعلام، ونشرته «أخبـار دبـي» فـي العـدد 41 الصـادر يـوم السـبت 20-10- 1979.

وبهـذه الكلمـات شـرح ضاحـي خلفـان القفـزة الكبيـرة التـي حققتها الشرطة، بافتتاحها شبكة اتصالات «التلبرنتر» بين القيادة ومراكـز الشـرطة؛ للإسـراع فـي إيصـال التعليمـات والمعلومـات، وفـي سـبيل المزيـد مـن المحافظـة علـى سـريتها.

وقـد شـهد الاحتفـال بافتتـاح هـذه الشـبكة مديـرو وممثلـو الشرطة في الإمارات، كما حضره كبار الضباط في شرطة دبي. وخاطـب المقـدم ضاحـي زمـلاءه قائـلاً: «لقـد وضعـت تصاميـم هـذه الشـبكة -وهـي الأولـى مـن نوعهـا فـي دولـة الإمـارات- بحيـث يمكـن توسيعها لتشمل أنحاء الدولة». وناشد إدارات الشرطة في البلاد أخـذ ذلـك بعيـن الاعتبـار لـدى تنفيـذ مشـاريع مماثلـة لديهـا، كـي تتكامـل هـذه المشـاريع وتشـكل شـبكة واحـدة تربـط البـلاد، وتعمـل علـى تحقيـق الهـدف الواحـد المتمثـل فـي تسـخير آخـر المخترعـات العلميـة مـن أجـل توفيـر الأمـن.

ضاحي خلفان متحدثاً إلى رجال الإعلام والصحافة

وأضـاف ضاحـي: «إن قيـادات الشـرطة فـي الدولـة تنفـق الكثيـر علـى شـراء وصيانـة السـيارات التـي تتولـى تأميـن الرسـائل، ولـو رصـدت هـذه الأمـوال لإنشـاء شـبكات للتلبرنتـر لاسـتطعنا توفيـر الكثيـر، ناهيـك عـن الخدمـة المتطـورة الأفضـل».

ما هو التلبرنتر؟

هـو جهـاز بـرق يشـبه الآلـة الكاتبـة، ويمثـل فـي الوقـت ذاتـه جهـاز إرسـال واسـتقبال لاسـلكي، بحيـث يقـوم الجهـاز بإرسـال المـادة المطبوعـة فيسـتقبلها جهـاز آخـر فـي مـكان آخـر وفـي الوقـت ذاتـه قـد يبعـد خمسـين ميـلاً. ويمكـن زيـادة مـدى الإرسـال حينمـا تسـتخدم أجهـزة الشـرطة فـي الدولـة أجهـزة مماثلـة.

محمد بن راشد يفوز بجائزة السلام

تسلم سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وزير الدفاع، رئيس الشرطة والأمن العام في دبي، جائـزة السـلام العالميـة، تقديـراً لجهـود سـموه الإنسـانية الناجحـة، وتفانيـه لإرسـاء أسـس التعـاون، والعمـل علـى إحـلال السـلام فـي المنطقـة.

وقـد سـلم الجائـزة لسـموه منـدوب اللجنـة الدوليـة للمؤتمـر العالمـي للسـلام الـذي عقـد فـي العاصمـة اليوغسـلافية بلغـراد فـي أيلـول (سـبتمبر) 1977، بحضـور السـيد سـيف الغريـر رئيـس غرفـة تجـارة وصناعـة دبـي، وعـدد مـن الوجهـاء ورجـال الأعمـال.

وألقـى رئيـس الوفـد كلمـة حيـا فيهـا مواقـف سـمو الشـيخ محمـد الإنسـانية، وهنـأ فيهـا سـموه علـى نيلـه هـذا التقديـر الدولـي.

ويعبـر عـن هـذه الجائـزة تمثـال مذهـب لميركـوري التـي اعتمـدت عنـد الأقدميـن كراعيـة للسـلام.

محمد بن راشد يتسلم الجائزة من مندوب اللجنة الدولية

المرأة في الإمارات سبقت نظيرتها في دول أوروبية عديدة

أحمد شبيب الظاهري
يحاضر عن «الحياة البرلمانية في الإمارات»

دبي - مركز جمال بن حويرب للدراسات:

قال سعادة أحمد شبيب الظاهري، الأمين العام للمجلس الوطني الاتحادي: إنَّ دولة الإمارات العربية المتحدة تعيش هذه الأيام عرساً وطنياً، في إطار المسيرة البرلمانية، التي تجسِّد مبادئ الديمقراطية والمشورة التي قامت عليها دولتنا الحبيبة منذ العام 1971، وتسهم في تحقيق التنمية الشاملة المستدامة للدولة في المجالات كافة، وفقاً لرؤية 2021، ووصولاً لتحقيق أهداف التنافسية العالمية لمئوية الإمارات 2071. وتمكين المرأة -سياسياً – بما يجعل من التجربة البرلمانية لدولة الإمارات نموذجاً يُحتذى به في التجارب البرلمانية الحديثة في العالم. وهذا ما أكده أحد البرلمانيين الإيطاليين بقوله: إنَّ تجربة الإمارات البرلمانية في تمكين المرأة خلال 10 سنوات، سبقت التجربة الإيطالية التي لم تتمكَّن من ذلك إلا بعد 70 عاماً.

جاء ذلك في محاضرة ألقاها سعادة أحمد شبيب الظاهري، الأمين العام للمجلس الوطني الاتحادي، في مركز جمال بن حويرب للدراسات، مساء يوم الأحد 28 يوليو 2019، حيث قدمه خلالها الدكتور خالد الوزني، المستشار في مؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، بحضور جمع من البرلمانيين والشباب والمهتمين والإعلاميين في مقدمتهم الكاتب والأديب الدكتور شهاب غانم، الدكتور عارف العاجل، الأديب عادل المدفع، والكاتب والإعلامي محمد صالح بداه، وآخرون.

الظاهري يتحدث عن الحياة البرلمانية في الإمارات

مراحل الحياة البرلمانية

قدَّم الظاهري عرضاً عن مراحل تطوُّر الحياة البرلمانية في الدولة قائلاً: قبل قيام اتحاد دولة الإمارات العربية، ساد لدى الإمارات المتصالحة العمل بنظام الشورى، حيث اعتاد رئيس القبيلة الرجوع إلى مستشاريه وأتباعه، وسماع وجهات نظرهم قبل الوصول إلى قرار.

وبعد قيام الاتحاد عام 1971، استمر العمل بمبادئ الديمقراطية والمشورة، وعُزِّزت تلك المبادئ كركائز أساسية في أحكام الدستور الإماراتي، والسلطات الاتحادية منذ تأسيس المجلس في 12 فبراير عام 1972م، ليكون السلطة الاتحادية الرابعة من حيث الترتيب في سلم السلطات الاتحادية الخمس المنصوص عليها في الدستور وهي: المجلس الأعلى للاتحاد، رئيس الاتحاد ونائبه، مجلس وزراء الاتحاد، المجلس الوطني الاتحادي، القضاء الاتحادي.

وأضاف المحاضر: عقد المجلس أولى جلساته بتاريخ 1972/12/2، وبدأ في تأسيس علاقة متميزة بين السلطات الاتحادية من خلال مشاركته في مناقشة وإقرار التشريعات، ومناقشته قضايا المواطنين واحتياجاتهم، كما عزَّز فاعلية مختلف الأجهزة التنفيذية، والاستثمار في مجالات التنمية البشرية والبنية التحتية، وتطوير آليات المشاركة السياسية، وغيرها، مثمِّناً الدعم الذي حظي به المجلس من قِبَل المغفور لهما الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، طيَّب الله ثراهما،

التجربة البرلمانية لدولة الإمارات نموذج يُحتذى به في العالم

في مرحلة التأسيس، واستمرار ذلك الدعم من قِبَل القيادة الرشيدة للدولة بقيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله، تنفيذاً للبرنامج السياسي الذي أعلنه سموه عام 2005 لتمكين المجلس من ممارسة اختصاصاته الدستورية.

وقال المحاضر: قبل أن نمضي في الحديث عن حملات الانتخابات البرلمانية التي ستبدأ مطلع شهر سبتمبر، وتتوج بالانتخابات يوم الخامس من أكتوبر المقبلين، لا بدَّ من العودة إلى الأصول البرلمانية في العالم التي بدأت لدى اليونانيين من خلال وجود منتديات اجتماعية في الأحياء والمدن، كانت تناقش القضايا التي تهمُّ شعبها، تلاها الرومان في هذا المجال، كما كان في الصين نموذجٌ من هذا القبيل في التطوُّر الإنساني.

وفي المجتمعات العربية، ومنها دولة الإمارات كان هناك المجلس المفتوح الذي يناقش فيه المشاركون هموم وقضايا المواطنين.

وتحدث الظاهري عن دور الآباء المؤسسين (زايد وراشد) رحمهما الله تعالى، في قيام الدولة ومؤسساتها، ومنها المجلس الوطني الاتحادي، منذ العام 1968 يوم أعلنت بريطانيا عن نيتها الانسحاب من المنطقة، حيث عقدا اجتماعات عدة، ثمَّ انضمَّ إليهما حكام الإمارات، واتفقوا على قيام دولة اتحادية، واقتصاد مفتوح وحياة برلمانية ودستورية حرة كريمة لمواطنيها.

نظام التدرج

تساءل المحاضر: لماذا أخذت الدولة بمبدأ التدرج في الانتخابات البرلمانية، وبالصوت الواحد؟

أجاب: لأنَّ شعبنا حديث العهد بتجربة كهذه، أدركتها القيادة الرشيدة، التي ما لبثت أن وسعت المشاركة الشعبية والعملية الانتخابية، بحيث يكون النصف بالتعيين والنصف الآخر بالانتخاب، وفي غضون 10 سنوات، أصبحت المرأة رئيساً للبرلمان «الدكتورة أمل القبيسي»، في حين أن إيطاليا لم تبلغ ذلك إلا بعد مرور 70 عاماً من تجربتها البرلمانية، حسب ما قاله لي أحد برلمانييها ذات مرة.

وقال الظاهري: نحن في الإمارات، نستفيد من تجارب الآخرين، لكننا لا نستنسخ تلك التجارب، بل نخلق تجربتنا التي تلائمنا، لذا فنحن نمسك بالعصا من وسطها، وفي هذا يكمن سر نجاحنا، لذا سبقنا كثيراً من الدول الأقدم تجربة، فأصبح لدينا حكومة تبني لمستقبل شعبها، تتحدى المستحيل وأنشأت لذلك وزارة بلا وزير، وتتبنى مبادئ الابتكار والإبداع والتسامح.

حضور نوعي في مركز جمال بن حويرب للدراسات

وتحدث المحاضر عن دور المجلس الوطني الاتحادي قائلاً: إنَّ استراتيجية المجلس البرلمانية تعدُّ نموذجاً للعمل البرلماني المتوازن الحكيم الذي يقدم كلَّ ما هو أفضل لإسعاد شعب الإمارات ودعم توجهات القيادة الرشيدة في تحقيق مصلحة الوطن والمواطن وتعزيز مكانة الدولة عالمياً.

وقد جرى في تلك الاستراتيجية اعتماد الخطة الرقابية الشاملة للمجلس، التي تعدُّ من الخطوات الأساسية لتحقيق العديد من الإنجازات الاستراتيجية على الصعيدين الداخلي الخارجي في إطار اختصاصات المجلس الدستورية، والتشريعية والرقابية، وعلى صعيد الدبلوماسية البرلمانية من خلال أنشطة الشعبة البرلمانية ومشاركاتها في المحافل البرلمانية الإقليمية والدولية.

وأشار إلى أنَّ الأمانة العامة للمجلس الوطني الاتحادي تُسَخِّرُ كلَّ طاقاتها

نشاط المجلس الدؤوب يأتي تنفيذاً لخطته الاستراتيجية لعام 2016 – 2021 التي أطلقها محمد بن راشد

وإمكاناتها لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الستة للمجلس، التي شملت: ترسيخ الوحدة الوطنية وتعزيز قيم المواطنة، وتعزيز المنظومة التشريعية بما يتوافق مع أفضل المعايير العالمية، والارتقاء بالدور الرقابي للمجلس بما يسهم في تحقيق رؤية الإمارات، ودعم السياسة الخارجية للدولة من خلال دور ريادي متميز للدبلوماسية البرلمانية، وتعزيز التواصل والمشاركة المجتمعية الفاعلة، وتطوير القدرات الداخلية لأجهزة المجلس لتحقيق أداء برلماني فاعل ومتميز.

وأكد أنَّ نشاط المجلس الدؤوب في مختلف مجالات عمله يأتي تنفيذاً لخطته الاستراتيجية البرلمانية الشاملة لعام 2016 – 2021، التي تمَّ إطلاقها بمباركة كريمة من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، بهدف الوصول إلى التميز وتحقيق أفضل الإنجازات، وتفعيلاً للمبادرات التي تضمنتها الخطة، والتي كان من أهم ركائزها تعزيز المبادرات المجتمعية التي تستهدف تفعيل الشراكة المجتمعية، والتواصل مع المواطنين ومختلف فعاليات المجتمع وكافة مؤسسات الدولة بما فيه خير الوطن والمواطن.

مرحلتان مهمتان

قال الظاهري: تنص المادة 68 من الدستور الإماراتي على أن يتمَّ تشكيل المجلس الوطني الاتحادي من 40 عضواً، وتوزع عدد مقاعد المجلس على الإمارات الأعضاء كما يلي:

- أبوظبي: 8 مقاعد
- دبي: 8 مقاعد
- الشارقة: 6 مقاعد
- رأس الخيمة: 6 مقاعد
- عجمان: 4 مقاعد
- أم القيوين: 4 مقاعد
- الفجيرة: 4 مقاعد

– وقد مرّ المجلس الوطني الاتحادي بمرحلتين مهمتين:

* مرحلة التأسيس من 1971 إلى 2004
* مرحلة التطوُّر، والتحسين، والإصلاح منذ 2006، حين اعتمد صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان قرار المجلس الأعلى للاتحاد رقم 4 لعام 2006، الذي أعاد النظر في طريقة اختيار ممثلي الإمارات الأعضاء في المجلس الوطني الاتحادي، ليتم بواسطة المزج بين الانتخاب والتعيين.

قضى القرار بأن يتمَّ تعيين نصف الأعضاء (20) فقط بواسطة حكام الإمارات، وانتخاب النصف الآخر (20) بواسطة الشعب، وفق منظومة شعبية يطلق عليها اسم الهيئات الانتخابية.

كان الدافع من هذا القرار إعطاء فرصة لمواطني الدولة لاختيار ممثليهم في المجلس الوطني الاتحادي، من أجل تعزيز الانتماء الوطني، وتغليب المصالح العامة للشعب، وإتاحة الفرصة للمشاركات المحلية من قِبَل الفئات الشابة والمتعلمة، فضلاً عن تمكين المرأة.

مرحلة «المناصفة»

وأضاف الظاهري: إنه مع بدء العد التنازلي لانتخابات المجلس الوطني الاتحادي ومرور ما يقارب الـ13 عاماً على أول حضور للمرأة الإماراتية عضوة في المجلس، يشكّل قرار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله، تمثيل المرأة مناصفة مع الرجل في البرلمان نقطة تحول فارقة في مسيرة دعم المرأة الإماراتية.

وعلى مدار التجربة التي تدخل عامها الرابع عشر، تستكمل الإمارات مشهد حضور المرأة بشكل عام، سواء على مستوى التمثيل في مجلس الوزراء الذي شهد في تشكيله الأخير تعيين 8 وزيرات، ومروراً بحضور المرأة الإماراتية على مستوى العمل في السلك الدبلوماسي، وشغلها العديد من المناصب القيادية، وهو ما انعكس على تقدم الدولة في مؤشرات التنافسية العالمية فيما يخص التوازن بين الجنسين.

وبدأ حضور المرأة الإماراتية في المجلس الوطني الاتحادي منذ إطلاق برنامج التمكين وتنظيم أول انتخابات برلمانية في العام 2006، عبر فوز معالي الدكتورة أمل القبيسي بأحد مقاعد المجلس الوطني الاتحادي بالانتخاب، فيما حصلت 8 نساء على عضوية المجلس بالتعيين ليصل عدد المقاعد التي شغلتها المرأة إلى 9 مقاعد بنسبة 22.2٪، وهي نسبة عالية إذا ما قورنت ببرلمانات بعض الدول الأخرى.

وواصلت المرأة حضورها البرلماني الفاعل في التجربة الانتخابية الثانية في العام 2011 وهو ما عكسه مشاركة 60 ألف ناخبة يمثلن 46% من إجمالي أعضاء الهيئات الانتخابية.

وبلغ حضور المرأة أوجه في التجربة الثالثة في العام 2015 بعد وصول معالي الدكتورة أمل عبدالله القبيسي إلى رئاسة المجلس في خطوة عكست حجم الثقة في إمكانات المرأة الإماراتية.

وقال المحاضر: وفقاً لبرنامج التمكين الصادر عن صاحب السمو رئيس الدولة، حفظه الله، يتوقع أن تشهد الانتخابات البرلمانية في تجربتها الرابعة ارتفاعاً في عدد الناخبات مقارنة بالتجارب السابقة، إضافة إلى ارتفاع عدد المرشحات لعضوية المجلس انعكاساً لرفع فرص التمثيل.

ويعدُّ حضور المرأة الإماراتية في المجلس الوطني الاتحادي قفزة نوعية في العمل البرلماني ورسالة واضحة عن أهمية وفاعلية حضورها على ساحة العمل السياسي، خصوصاً مع توليها رئاسة وعضوية العديد من لجان العمل الداخلية في المجلس، التي طرحت فيها المرأة العديد من القضايا وشاركت بفاعلية في تعديل القوانين والتشريعات الاتحادية، فيما أسهمت في المشاركات الخارجية للشعبة البرلمانية للمجلس في البرلمانات الإقليمية والعالمية.

العملية الانتخابية

في عام 2006 أسَّست حكومة دولة الإمارات نظام الهيئات الانتخابية، بحيث يكون لكل إمارة هيئة انتخابية خاصة بها، وتتألف بحد أدنى من عدد من الأعضاء بواقع ثلاثمائة مضاعف لعدد المقاعد المخصصة للإمارة بالمجلس وفقاً للدستور.

تضم الهيئة الانتخابية قائمة بأسماء مجموعة من المواطنين، يحددهم ديوان حاكم كل إمارة عن إمارته، ويطلق على كل منهم اسم «عضو الهيئة الانتخابية».

وتعلن اللجنة الوطنية للانتخابات القائمة النهائية للهيئة.

ويحدد سمو الحاكم في كل إمارة، طبيعة وصفات وشروط الناخب، على سبيل المثال، يمكنه وفقاً لتقديره، تخصيص نسبة للإناث، أو البالغين، أو كبار السن.

يتمتع بحق الانتخاب كل من ورد اسمه ضمن القائمة الانتخابية الصادرة عن الإمارة التي يمثلها.

كما يحق لكل من ورد اسمه ضمن القائمة الانتخابية الصادرة عن الإمارة التي يمثلها الترشح لانتخابات المجلس الوطني الاتحادي في الإمارة التي ينتمي إليها، إذا توافرت فيه الشروط.

يتمتع بحق الانتخاب كل مواطن ورد اسمه في الهيئة الانتخابية للإمارة التي ينتمي إليها، ويستطيع الإدلاء بصوته لمرة واحدة لأحد مرشحي إمارته، وذلك بعد التحقُّق من شخصيته عن طريق بطاقة الهوية الصادرة من الهيئة الاتحادية للهوية والجنسية.

ينتج عن عملية الانتخاب اختيار (20) عضواً تتوافر لديهم النسبة الأعلى من الأصوات.

الأهلية للعضوية

قال المحاضر: تنص المادة 69 من الدستور على حرية كل إمارة في تحديد طريقة اختيار المواطنين الذين يمثلونها في المجلس الوطني الاتحادي.

- على أن يكون من مواطني إحدى إمارات الاتحاد، ويقيم بصفة دائمة في الإمارة التي يمثلها

لقطة جماعية للحاضرين خلال تكريم بن شبيب

في المجلس الوطني الاتحادي.

- وألا يقل عمره عند الترشح عن (25) سنة ميلادية.
- وأن يكون متمتعاً بالأهلية المدنية، محمود السيرة، حسن السمعة، لم يسبق الحكم عليه في جريمة مخلة بالشرف، ما لم يكن قد رد إليه اعتباره طبقاً للقانون (تقديم شهادة حسن السيرة والسلوك).
- وأن يكون لديه إلمام كافٍ بالقراءة والكتابة.
- لا يجوز الجمع بين عضوية المجلس الوطني، وأية وظيفة من الوظائف العامة في الاتحاد، بما في ذلك المناصب الوزارية.

اللجنة الوطنية للانتخابات

تتشكل اللجنة الوطنية للانتخابات بقرار من رئيس الدولة، وتُعنى برسم العملية الانتخابية والإشراف عليها، وإصدار القواعد المنظمة لجداول أسماء الهيئة الانتخابية، فضلاً عن تحديد موعد انعقاد الانتخابات.

ويتم تشكيل لجان الإمارات من قِبَل اللجنة الوطنية للانتخابات، وتقوم بالتنسيق مع لجنة إدارة الانتخابات فيما يتعلق بالأمور الفنية والإدارية المتعلقة بسير العملية الانتخابية الخاصة بالإمارة.

ويستطيع الناخب التصويت من داخل الإمارات أو من خارجها. وتحدد اللجنة الوطنية للانتخابات المراكز الانتخابية في كل إمارة، وذلك فور الإعلان عن قائمة المرشحين النهائية.

التصويت في الانتخابات

يمكن للناخب الإدلاء بصوته من خلال نظام التصويت الإلكتروني، وذلك في المراكز الانتخابية الموجودة عبر الدولة.

ويجوز للناخب الذي لا يعرف القراءة والكتابة، أو كان من المكفوفين، أو ذوي الإعاقة، ممن لا يستطيع التصويت بنفسه أن يدلي بصوته شفوياً، وبشكل سري لرئيس لجنة الانتخابات، أو أحد أعضائها المكلفين.

وتستقبل مراكز الانتخاب الموزعة في كل إمارة، كافة الناخبين الأعضاء في الهيئة الانتخابية من جميع الإمارات للإدلاء بصوتهم، ولا تقتصر فقط على استقبال مواطني الإمارة التي يوجد فيها المركز.

أما التصويت خارج الدولة فيتم من خلال نظام التصويت اليدوي، أي نظام الاقتراع بالأوراق، وذلك في المراكز الانتخابية الموجودة في قنصليات وسفارات الدولة في الخارج.

9 مقاعد للمرأة:

كشف الدليل الانتخابي الذي أصدرته اللجنة الوطنية للانتخابات، أخيراً، عن أنَّ الحد الأقصى للمقاعد النسائية التي سيتمُّ تخصيصها للمنافسة خلال انتخابات المجلس الوطني المقبلة، سيكون تسعة مقاعد نيابية مقابل 11 مقعداً للرجال على مستوى إمارات الدولة، بينها مقعدان عن إمارة أبوظبي ومثلهما عن دبي، ومقعد واحد عن كل من الشارقة وعجمان ورأس الخيمة والفجيرة وأم القيوين.

وأكد الدليل أنَّ اختيار عضوات المجلس سيتمُّ بقرار من أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكام الإمارات، إما عن طريق الانتخاب أو التعيين، بحيث تكون المحصلة الأخيرة لتشكيل المجلس 20 عضواً من الرجال و20 عضوة من النساء.

مختارات من شعر

د. محمد عبده غانم

اختيار وتقديم

د. شهاب غانم

يطلب من

جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Huwairib Studies Center

رحلة معرفية وندوة توثيقية لاكتشاف دبي التاريخية

مؤرخون ومعماريون ومهندسون يتفقدون آثـار جميـرا

نظَّم مركز جمال بن حويرب للدراسات جولة في آثار جميرا وتفقُّد موقعها الأثري، حيث زار مجموعة من المهندسين والمعماريين والمثقفين منطقة أثرية في جميرا مسيجة بالأسوار، وتنتشر فيها بقايا مبانٍ موزّعة هنا وهناك؛ بين مسجد وبيوت وخان «فندق» وسوق وبيت الحاكم وغيرها من بقايا مبانٍ كان الأسلاف يستخدمونها آنذاك، أي في فترة تعود إلى العصر العباسي حين ازدهرت المدن وامتدت رقعتها بفعل نموِّ الحضارة العربية الإسلامية إلى جميع الأمصار.

وجوه ثقافية في مجلس بن حويرب

وقال جمال بن حويرب، لقد حرصنا في هذه الجولة على إشراك نخبة من المؤرخين والمعماريين والمهندسين والآثاريين أبرزهم: الأستاذ بلال البدور، المهندس عيسى الميدور، السيد سالم الموسى، المهندس فيصل القرق، الدكتور جمال المهيري، السيد عبدالله المطيري، الأستاذ علي عبيد، والأستاذ عمر الديسي وبعض المهتمين.

وقد أسهمت هيئة الطرق بدبي بتقديم حافلة لنقل المشاركين إلى الموقع الآثاري. وقدَّم الدكتور حسين قنديل، خبير الآثار في دائرة السياحة والتسويق التجاري بدبي، شرحاً وافياً حول اكتشاف هذه البقعة التاريخية التي يُعتقد أنها تمتد إلى البحر، باعتبارها محطة تجارية تربط عدداً من البلدان المجاورة آنذاك.

ويعدُّ موقع جميرا الأثري من المواقع الإسلامية المهمّة المكتشفة ليس في دولة الإمارات فقط، بل في منطقة الخليج العربي بأسره. ويعكس الموقعُ الفنَّ المعماريَّ الإسلاميَّ الذي كان سائداً خلال العصر العباسي بمختلف أشكاله وعناصره من خلال الأقواس والزخارف الهندسية الشرقية التي تُزَيِّنُ الواجهات والنوافذ والجدران، إضافة إلى تلك المكتشفات، هنالك الأبراج الدائرية ونصف الدائرية التي تعزِّز قوة البناء وتضفي عليه رونقاً وجمالاً. وتعكس هذه الإبداعات الفنية حالة الترف والثراء التي كان يعيشها أهل تلك المنطقة في ذلك الوقت.

الميناء البحري

يرجع تاريخ موقع جميرا الأثري إلى حقبة العصر العباسي، أحد العهود الإسلامية الأولى «القرنين التاسع والعاشر من الميلاد». ويتجسَّد موقعه الاستراتيجي بمحاذاة الشاطئ الشرقي للخليج العربي، ويقع على بعد 15 كليومتراً جنوب غرب إمارة دبي، ويغطي مساحة 80 ألف متراً مربعاً، فيما يرتفع بمعدل 4 أمتار عن مستوى سطح البحر.

وقد أسهم موقعه الجغرافي الفريد في تطوُّره ليصبح ميناءً بحرياً رئيساً ومهماً، إضافة إلى اعتباره محطة للقوافل التجارية. كما لعب موقعه على الطريق التجاري الذي يربط بين عمان وبلاد الرافدين دوراً كبيراً في تعزيز مكانته في مختلف المجالات، وخاصة التجارية والاقتصادية والعمرانية.

اجتمع في هذه الرحلة التاريخية القصيرة نخبة من ذوي الاختصاص والعلاقة بالآثار والمعمار والتجارة، من أجل جمع الخيوط النظرية والعملية المحتملة لما كانت عليه الحياة في هذا المكان الأثري من وجهات نظر مختلفة، ومن زوايا عدة ألقت الضوء على العصر الذي عاشته هذه المنطقة الحافلة بالتجارة والحياة الاجتماعية والاقتصادية.

ندوة تعريفية

وبعد انتهاء الجولة، انعقدت ندوة حول آثار جميرا في مركز جمال بن حويرب للدراسات الكائن في جميرا، حيث قدَّم بن حويرب المشاركين في الندوة التي أعقبت الجولة الاستكشافية لموقع جميرا الآثاري، كما قدَّم الشكر إلى هيئة السياحة، وأكَّد قائلاً: «لقد ضمَّ الوفد الزائر لهذا الموقع الآثاري مجموعة

يرجع تاريخ موقع جميرا الأثري إلى العصر العباسي

على مرِّ السنين اختفت كثير من اللقى والمقتنيات والكنوز التاريخية التي كانت تشكّل دليلاً على حياة زاخرة في المنطقة

من المؤرخين والمعماريين والمهندسين والآثاريين؛ فاجتمعت المعلومات وتقاطعت مع مختلف الاختصاصات لتقديم رؤية متكاملة لما يمكن أن تكون عليه تفاصيل الحياة آنذاك. وللأسف الشديد، تعرَّض هذا الموقع لعمليات النهب على مرِّ السنين، حيث اختفى منه كثيرٌ من اللقى والمقتنيات والكنوز التاريخية التي كانت دليلاً على حياة زاخرة في المنطقة. وممّا زاد في بعثرة تلك الموجودات توزيع الأراضي التي اقتطعت من هذه المنطقة التاريخية بأجزاء كثيرة».

التنقيبات لم تكتمل

تحدَّث الآثاري الدكتور حسين قنديل قائلاً: تحوي المنطقة بقايا معمارية أُسُسُها غيرُ مكتملة البناء، وتمَّ اكتشاف الموقع في عام 1969 من قِبَل دميتري براميكي، الأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت. وقد بقي في هذا المكان لمدة أسبوعين، اكتشف خلالها ثلاثة مبانٍ رئيسة؛ بيت الحاكم، والسوق والخان، وأرّخ للقرن الخامس وبداية القرن السادس. ومن خلال هذا التحديد، تمكّن من تلمُّس الملامح المعمارية لهذا الموقع.

ويتكوَّن البناء من الحجر البحري والحجر الكلسي، وهو مطلي من الداخل والخارج بطبقة من الجص. وتحتوي الجدران على الزخارف الهندسية، وزخارف نصف دائرية. والفخار الذي تمَّ العثور عليه هو من الفخار المزجج، والقطع النقدية الإسلامية وبعض العينات الفحمية تحت الأساسات، وعندما أرسلناها إلى التحليل وجدناها متطابقة مع النقود الموجودة في العصر العباسي، ولكن الدكتور دميتري ظنَّ أنَّها ساسانية؛ لأنَّ العباسيين في ذلك الوقت كانوا قد تأثروا بالفن الساساني.

هذا وقد وصلت القطع النقدية والكتابات العربية والزجاج الإسلامي والجرار الفخارية من 40 إلى 50 قطعة. وتكوِّن المباني جميعها محطة تجارية تربط بين العراق وعمان.

وقد بدأت الحفريات ثانية في عام 1990، وقمنا بالخطة الأولى في تنظيف المباني وصيانتها، لكننا فوجئنا بأنَّ بعض المباني لم تُنقَّب بشكل كامل، بل تمَّ كشط الطبقة السطحية منها، حيث كان نصف الجدران مطموراً في التراب، ووصلت تنقيباتنا إلى الماء المالح الموجود تحت الأرض.

مساهمات عراقية

وقامت البعثة العراقية بالاستكشافات، وتمَّ نشر الأبحاث في مجلة «سومر» من قِبَل الآثاريَيْن صباح جاسم ومنير طه. وأضاف الدكتور حسين قنديل: «إنَّ موقع جميرا يحتاج إلى حفريات وتنقيبات مستمرة، حيث تمَّ العثور على مبانٍ مدفونة تحت الأرض بعد عمليات التنقيب والحفر التي قاموا بها.

وبعض الأساسات لا يزال قائماً، حيث تمَّ اكتشاف حفر مملوءة بالرماد تحت هذه الأساسات. كانت جميرا أكبر من المنطقة الحالية، وهي عبارة عن مدينة متكاملة لم يبقَ منها إلا الحي التجاري والحي الصناعي؛ بسبب وجود كثير من الحفر المملوءة بالرماد، وتمَّ العثور أيضاً على برادات الحديد، ما يدلُّ على كونها منطقة صناعية.

خارطة مائية

ثمَّ تحدَّث عبد الغفار حسين، باعتباره مؤرخاً ومعاصراً لهذا الاكتشاف قائلاً: إنَّ الفضل في اكتشاف هذا الموقع يعود إلى عالِم الآثار ديمتري براميكي، كما ذكر الدكتور حسين قنديل، عندما قامت دائرة المياه بدفن مواسير المياه واكتشفت هناك مبانيَ مدفونةً تحت الأرض.

وتمَّ نقل تلك المعلومة إلى الشيوخ؛ واقترح المعتمد البريطاني «كريك»، وهو رجل مثقف وعاشق للآثار، استدعاء متخصصين آثاريين للقيام بعمليات الحفر والتنقيب.

وبسبب معرفة «كريك» بلبنان؛ لأنه درس فيه اللغة العربية، تمَّ استدعاء الآثاري دميتري براميكي؛ فاكتشف مبنى كان يسكنه أحد الولاة الأمويين، وربما تكون أنقاض هذه المباني قد تعرَّضت لعمليات التجديد والترميم.

وفي الحقيقة، إنَّ المباني، حسب وجهة نظري الشخصية، لا تختلف كثيراً عن البيوت العربية؛ لأنها تتحلى بالطراز المعماري ذاته، وهي عبارة عن حوش كبير تحيط به الحُجَرات والمجلس، ويمكن مقارنة المباني الموجودة في جميرا الأثرية بصورة الفهيدي والبيوت الموجودة حول هذا الحصن التاريخي الذي يعود إلى عام 1819. وهذه المباني هي ذاتها الموجودة

تبلغ سماكة الجدران 40 سنتيمتراً مشيَّدة بأحجام مختلفة من الحجارة الرملية ومثبَّتة مع بعضها بمادة الجبس

في حصن الفهيدي وبيت الحاكم.

والمباني كانت من غير أساسات عميقة؛ لأنَّ البناء لم يكن فيه طوابق، كما لم تكن البلاد تعرف الزلازل، ولديَّ رسالة كتبها ديمتري برامكي إلى المعتمد البريطاني يقول فيها: «سألني أحد الحاضرين، وكان يقصدني والظاهر أنه نسي اسمي».

وقد دعا جميع المشاركين في هذه الزيارة التاريخية إلى اشتراك المؤرخين والمهندسين وخبراء الآثار، لإعادة هذه المنطقة إلى الحياة عن طريق تصميم المدينة من جديد عن طريق البرامج الحديثة، وإخراج أفلام وثائقية عنها باستخدام الجرافيك للوصول إلى تصوُّر كامل عن الحياة فيها في تلك الحقبة، حيث يعتقد بأنه كان يقطن هذه المنطقة عدة آلاف من الناس.

بقايا الأبنية المهمة

يُعدُّ السوقُ من المباني المهمّة في موقع جميرا الأثري باعتباره دليلاً واضحاً وقوياً على مدى تطوُّر نمط الحياة وتقدُّمها، إضافة إلى ازدهار النشاط التجاري في ذلك الوقت. ويتكوَّن السوق من دكاكين صغيرة الحجم توجد أمام كلٍّ واحدة منها مصطبة لعرض البضائع، أمّا المخزن فهو ملحق بأحد المباني الموجودة.

كشفت الحفريات التي يقوم بها حالياً فريق أثري محلي تابع لدائرة السياحة والتسويق التجاري بدبي عن وجود مبنى مربع الشكل بمساحة من الأرض تبلغ 49 متراً مربعاً، ويتكوَّن من غرفتين، تطلان على الجانب الغربي «القبلة» باتجاه الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

كما تمَّ العثور على محراب في جدار القبلة، إضافة إلى ذلك تمَّ العثور على بعض النقوش والكتابات التي تحتوي على بعض الكلمات مثل «النبي محمد». ويقع المبنى بين السوق والمبنى السكني رقم (3). ويُتَوَقَّع، بعد الانتهاء من الحفريات المستمرة الآن، الإعلانُ عن مكتشفات أثرية جديدة في موقع جميرا الأثري.

يختلف تخطيط هذا المبنى عن غيره من المباني الأخرى، من حيث اختلاف وجهة استعماله إذا ما سلَّمنا بأنه عبارة عن استراحة للمسافرين، أو خان تبيت فيه القوافل التجارية. ويُعدُّ أضخم المباني في موقع جميرا الأثري. وهو مستطيل الشكل

مؤرخون ومعماريون ومهندسون يتفقدون آثار جميرا

يغطي مساحة من الأرض تبلغ ألف متر مربع تتوسَّطه ساحة كبيرة مكشوفة ومحاطة بعدد من الغرف، وللمبنى مدخلان رئيسان في الجهة الشرقية والغربية.

تاريخ الاكتشاف

تمَّ اكتشاف موقع جميرا الأثري لأول مرة في عام 1969 وذلك بفضل جهود فريق آثاري تابع للجامعة الأمريكية في بيروت. بعد ذلك تمكَّن فريق آثاري عراقي في عام 1974 من اكتشاف حفريات مهمّة مماثلة في بعض المباني الأثرية والمصنوعات اليدوية المختلفة.

وتواصلت عمليات التنقيب والحفريات الأثرية عام 1993 في موقع جميرا، وقام بها فريق آثاري محلي تابع لدائرة السياحة والترويج التجاري في دبي، وقد أسفرت عن اكتشاف مبانٍ أثرية ومصنوعات يدوية جديدة.

مواد البناء

باستثناء المسجد، تتميَّز معظم مباني الموقع بشكلها المستطيل والصغير، وغرفها المستطيلة أيضاً. وتنفرد المباني السكنية بشكل خاص بوجود ساحات مكشوفة مزودة بالأفران، تلك الساحات محاطة بجدران مُشيَّدة بالحجارة، وكانت تُسْتَعْمَلُ في القيام بأنشطة الحياة اليومية مثل الطهي والطحن.

وتبلغ سماكة الجدران نحو 40 سنتيمتراً، ومُشيَّدة بأحجام مختلفة من الحجارة الرملية مثبّتة مع بعضها بمادة الجبس، ومكسوَّة من الداخل والخارج بطبقة جصية تساعد على حمايتها من العوامل الطبيعية المختلفة.

قريبـــاً

كتاب عن الشاعر الراحل
حمد خليفة بو شهاب

حنين وذكريات

سيرة، شهادات، قصائـد، قراءات نقدية

يشارك فيه نخبة من الكُتّاب

يصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

علامة فارقة في تاريخ الصحافة البحرينية

«صورة» الإمارات في «صوت البحرين»

الصقر العربي رفيق زايد ورمز الإمارات

تحقيقات وموضوعات عكست تطلعات الأمــة العربيــة والإســلامية عمومــاً

مدارات ونقوش (خاص)

مثَّلت مجلة «صوت البحرين» التي أصدرتها نخبة من مثقفي البحرين في خمسينيات القرن المنصرم، علامة فارقة في تاريخ الصحافة البحرينية، إذ حفلت أعدادها بكثير من المواضيع المتنوعة ذات الطرح المتزن واللغة الرصينة، وتميَّزت بالتنوع والشمول، من حيث معالجة القضايا الفكرية والأدبية والتاريخية والسياسية والاجتماعية. وقد كانت بحق مرآة صادقة، تعكس مجمل أوضاع المجتمع البحريني وشؤونه آنذاك، وكان توجهها أدبياً واجتماعياً. وقد لعبت المجلة دوراً مميزاً في تفعيل الحركة الثقافية والأدبية، واهتمت بشكل خاص بالشأن التعليمي في فترة مهمة من فترات التعليم. ولقد كانت تحقيقاتها وموضوعاتها ملتقى يعكس تطلعات الأمة العربية والإسلامية عموماً، وأوضاع المنطقة الخليجية على وجه الخصوص.

من هنا كان لمنطقة الإمارات العربية المتحدة ورموزها نصيب وافر بين صفحات تلك المجلة العريقة والرائدة من بين ما حفل به تراث الصحافة الخليجية من إصدارات ودوريات واكبت مخاض ولادة الدولة الخليجية الحديثة والمتطورة، في فترة بالغة الأهمية من تاريخ المنطقة.

وقد أسهمت ثلة من الأدباء والكتّاب في داخل البحرين وخارجها من الأقطار العربية في إثراء المجلة بالموضوعات الرصينة، وترسيخ اسمها واحدةً من المجلات الرائدة التي كانت تعمل على تعميق الوعي الثقافي والسياسي والارتقاء بالذوق الأدبي عند القرّاء، وكان النَّفَس الوطني والقومي بارزاً بوضوح في ثنايا المواضيع المنشورة بالمجلة. وقد حفلت أعداد المجلة بتراجم الكثير من العلماء والشعراء والأعيان والشخصيات العامة، وطرحت عدداً من المواضيع المتصلة بالآثار والتاريخ.

وفي عددها هذا، تغوص «مدارات ونقوش» في أعماق تلك المطوية الممتعة، لتلتقط لقرّائها ما اكتنزت به من أخبار رجال إماراتيين حفلت بذكرهم صفحاتها، ودوّنت مآثرهم عبر تحقيقاتها وموضوعاتها الأثيرة.

حكيم العرب في إحدى رحلات القنص

رحلة قنص

ففي عددها الأول (ذو القعدة سنة 1369/ أغسطس 1950)، وضمن فقرة «قال الراوي»، يسرد مبارك بن لندن تحت عنوان «القنص في بلاد العرب» أحداث رحلته الممتعة التي أمضاها مع حكيم العرب، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، في أوائل صيف 1948، في منطقة البريمي، وحينها كان الشيخ زايد ممثلاً لحاكم أبوظبي في منطقة العين. وفيها يروي ما لمحه في شخصيته، طيَّب الله ثراه، من فضائل وشمائل ابن الصحراء، الذي صبغته أرضها الطيبة بالصبر والإصرار والجود، فكان يدعوه «بإلحاح للعودة في الشتاء القادم والخروج معه إلى القنص في أطراف الصحراء الجنوبية الكبرى».

كما يوثّق ذلك الملف الكثير عن حياة طائر الشاهين، الذي «يستلزم ترويضه في إنكلترا خمسين يوماً من الزمن، ولكن العرب ينتهون من ذلك في عشرين يوماً، لأنهم لا يفارقون طيورهم أبداً، فمن يتولى منهم ترويض طير يحمله معه دائماً في كل مكان، فيأكل والطير في يده اليسرى، وينام وهو (قائم) عند رأسه على وكره. إنه دائم المسح على ظهره

والتحدث إليه»، ويبيّن أنَّ أتباع الشيخ حينما يجتمعون مساءً في القاعة الكبرى حول موقد النار لارتشاف القهوة تكون طيورهم على معاصمهم.

خطة حكيم العرب

يذكر الكاتب في ثنايا حديثه أنَّ خطة الشيخ زايد كانت أن «نقضي ضمن دائرة كبيرة بين كثبان الجنوب الغربي من البريمي، حيث تكثر آبار الماء العذب، وحيث كوّنت الأمطار الغزيرة في أوائل السنة مراعي غنية في الصحراء. ركبنا نياقنا في أحد الأماسي في أواخر ديسمبر فاجتزنا منطقة النخيل. وكان يرافق الشيخ زايد أخوه خالد ونحو خمسة وعشرين بدوياً من الأتباع، وكان زايد قد بعث الإبل التي تحمل أمتعتنا في المقدمة وأمرها أن تخيّم عند حافة الرمل، وها نحن نجد السير على سهل تغطيه الحصباء ونغني أثناء سيرنا وكلنا منبسط الأسارير».

يقول مبارك بن لندن في تعليقه على تلك الرحلة: «من عادة الشيوخ حينما يخرجون للقنص ألاّ يحملوا معهم خياماً، بيد أن (العمال) جمعوا أعشاباً وكوموها في جهة الرياح ثم أضرموا خلفها ناراً كبيرة وجدناها تتأجج عند وصولنا، فاجتمعنا حولها في سرعة، فقد كان هواء الليل قارساً، نرتشف القهوة السمراء المطيبة بالهيل، بينما كانت دقات الهاون النحاسي الموقعة تدعو من يود المجيء إلينا».

لقد قدمت تلك المادة الصحفية الثرية مادة بالغة الأهمية التوثيقية، أرخت لعادات أهل هذه الأرض الطيبة في رحلات القنص، وطرق استخدام المعدات والحيوانات كالكلاب السلوقية وطيور الشاهين، وغيرها من المعلومات الغنية، خاصة أنَّ المعلومات جاءت من خبير بالصحراء وعاداتها وأصالتها، الذي أضفى حديثه ومعلوماته على المادة المصداقية في توثيق كل ما جاء فيها من معارف تراثية اختزنتها المنطقة. «عندما كنت مضطجعاً بعد ذلك تحت النجوم المتألقة أصغي إلى حنين النياق المتواصل من حولي، أحسست بغمرة من الفرح، فقد قدر أن يكون أول اشتراك لي في هذه الرياضة التليدة مع هؤلاء العرب أهل الضيافة والود».

عاشق دبي

الشيخ مبارك بن حمد العقيلي كان لذكره جانب من صفحات العدد السادس من الصحيفة (جمادى الثانية 1370هـ/ مارس 1951م)، فذكرت أنه من شعراء الأحساء المجيدين، وأنه «ارتحل إلى عمان ولا يزال بها حتى الآن». ولا يخفى أن الشاعر الكبير مبارك العقيلي ارتحل من الأحساء إلى دبي، ومنها إلى سلطنة عمان، وهناك اتصل بالسلطان فيصل بن تركي بن سعيد ومدحه، فقربه السلطان، لكن يبدو أن دبي التي مرَّ بها من قبل، تركت أثراً في نفسه، فعاد إليها واستقر فيها، يتعاطى التجارة ويختلط برجال دبي ومثقفيها، ولما آل حكم الإمارة إلى الشيخ بطي بن سهيل آل مكتوم، أعجب بشعره فقرّبه وأحسن رعايته، وظل على صلة به حتى توفي، فقربه أبناؤه من بعده ورعوه، وطاب له المقام في دبي، فلم يبرحها حتى توفي.

الشيخ صقر بن سلطان القاسمي

وكيل صوت البحرين

وفي عددها السابع (رجب 1370هـ/ أبريل 1951م) نلمح توثيقاً جميلاً أتى في صورة إعلان للمجلة ووكلائها، حيث يظهر أنَّ دبي كانت تحظى بمركز توزيع ذي وكالة حصرية لمجلة «صوت البحرين» وأنَّ وكيلها في التوزيع بدبي هو المرحوم الحاج صالح بن عيسى الكرك (هكذا كتبت). وهذا الإعلان يكرر في كل عدد من الأعداد.

أمّا في عدها الثامن (شعبان 1370هـ/ مايو 1951م)، فنطالع في (صوت البحرين) خبر انتخاب «الشيخ صقر بن المرحوم الشيخ سلطان بن صقر آل قاسم حاكماً على الشارقة، خلفاً لوالده، تغمده الله برحمته. ونتمنى له توفيقاً ومستقبلاً زاهراً».

وفي العدد الحادي عشر (ذو القعدة 1370هـ/ أغسطس 1951م) تسلّط المجلة الضوء على زيارة الشيخ خالد بن سلطان القاسمي، أخي الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة، وأنه نزل ضيفاً على «صاحب العظمة».

لعبت المجلة دوراً رائداً في تفعيل الحركة الثقافية والأدبية وشغلتها قضايا الأمة

ملحمة خورفكان

تزينت صفحات العدد الثاني من السنة الثانية للمجلة (1371هـ/ نوفمبر 1951م) بخبر عن دانة الدنيا دبي، وهو الاحتفال بافتتاح «البناية الجديدة للمستشفى». وفي العدد نفسه نقرأ اهتمام حاكم الشارقة الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، بالمحتوى الراقي الذي تخرجه المجلة، إذ سأل -رحمه الله- «أحد محرري هذه المجلة، مظهراً اهتمامه بها، عن الأسباب التي تحول دون إصدارها مرتين في الشهر. وقال: إنها تسد فراغاً كبيراً، وإنَّ صدورها مرة واحدة في الشهر غير كافٍ. ونحن نشكر لسموه هذا الاهتمام، ونرجو أن يحقق الله في القريب هذه الأمنية».

ومن ذاكرة نضال أهل هذه الأرض الطيبة، يشير الكاتب عبد الرضا الجبيلي في العدد الثالث (ربيع الأول 1371هـ/ ديسمبر 1951م) إلى الملحمة البطولية التي خاضها سكان منطقة الساحل الإماراتي من خلال مقال مطول بعنوان «إيران وتاريخ البحرين العربية السياسي في عهد البرتغاليين». وفيه يذكر ما فجع به أهل هذه البلاد من العدوان الغاشم الذي صبه أولئك الغزاة على سكان الأرض العزل، بقيادة «البوكركوي» على طول ساحل عمان، وكيف أغار على عدة مدن أخرى وعاملها بوحشية. ومن المعلوم أن من مدينة خورفكان كانت المدينة التي وقفت في وجه ذلك القائد المحتل، وقدمت التضحيات التي سطرها تاريخ المجد لها بأحرف من ذهب في تلك الأحداث.

وفي العدد نفسه تخصص مجلة «صوت البحرين» صفحتين من إعداد عبد الله محمد الطائي، للتحدث عن مآثر وفضائل الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، حاكم الشارقة، التي تولى مقاليد الحكم فيها «شاباً، فأصبح صرحاً للرجاء، وملك شعبه يافعاً فغدا أفقاً ترمقه كل عين». وقد أحبت أن تقدمه «صوت البحرين» في ذلك العدد بعيداً عن دهاليز السياسة التي برع، رحمه الله بها، ولكن أرادت أن تقدمه للقرّاء «شاعراً يعتدُّ به بين شعراء الجزيرة، وأديباً يعوّل عليه في رفع اسمها عالياً. وليس من الغريب أن يجتمع الأدب والإمارة لدى أمير عربي؛ فلنا من التاريخ أمثلة نجدها واضحة إذا ما قلبنا الصفحات عن ابن المعتز وأبي فراس والمعتمد بن عباد وغيرهم».

قامة أدبية

ويختار الكاتب من النتاجات الأدبية الراقية التي أفاض بها

أول مستشفى بدبي شُيِّدَ في الخمسينيات

الشيخ صقر بن سلطان القاسمي في عدد من المناسبات، فهو «يشاهد التقدم العالمي وتغيُّر الأحوال وافتخار القوم بالحضارة الجديدة فيهتف:

هذا الجديد وإن تقدم خطوة

ما زال يفخر بالقديم ونعم

وهو دليل صارخ على أنَّ الحضارة سلسلة متصلة من قوم إلى قوم يعود الفضل إلى من أسَّسها وإلى من أوصلها إلى ذروة الفكر. ويلاحظ ضعف العرب وتقاعس شبيبتهم فيصرخ:

أروني تأريخ الجدود وما بنوا

وهل شِيْدَ ذاك المجد إلا بلهذم

طلائع فخر كلما دار ذكرها

على خاطري أهميت من حسرة دمي

ثمَّ تطالعنا صفحات المجلة البحرينية العريقة في العدد نفسه، بخبر زيارة «الشيخ عبد الله السالم حاكم الكويت، دبي والشارقة. وقد أهدى له الشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة علبتين؛ إحداهما من الفضة وتحتوي على نسخة من القرآن الكريم مجلدة تجليداً فاخراً جداً مطعماً بالصدف والأحجار

الكريمة، وعلى غطاء العلبة مرسوم صورة حصن الشارقة. أما العلبة الأخرى فذهبية، وتحتوي على خاتم فضي له فص أثري يعود تاريخه إلى ما قبل 400 سنة، وقد كتبت عليه سورة التوحيد والشهادتان. وقد استخرج هذا الفص (المطاف) في رأس الخيمة، وهي خرائب يعتقد أنَّ (جلفار) التاريخية كانت أصلاً لها».

إمارات واحدة

وتحت عنوان «اتحاد إمارات الخليج العربي»، في العدد الرابع (ربيع الثاني 1371هـ/ يناير 1952م) ترصد المجلة تطلعات أبناء المنطقة «إلى مستقبل إماراتهم، متمنين خلق كيان ثابت لهم يقوم بتمثيلهم في الخارج أسوة بإخوانهم العرب من أبناء الدول العربية الأخرى... ففكرة تأسيس كيان سياسي خاص لكل إمارة منفصلة ليست فكرة عملية في الواقع. ليس أمام شباب الخليج إذن إلا طريق واحد لتحقيق غايته وهدفه النبيل، ألا وهو الاتحاد، فباتحاد إمارات الخليج، وأعني بها: الكويت، البحرين، مسقط، دبي، الشارجه (هكذا كتبت)، وقطر وغيرها من الإمارات الصغيرة المتبعثرة، نعم باتحاد هذه الإمارات جميعاً يستطيع أبناؤها بناء كيان قوي ثابت لها».

أما العدد الخامس (جمادى الأولى 1371هـ/ فبراير 1952م) فنقرأ من خلاله خبر «الاستعدادات في إمارة الشارقة لفتح أول نادٍ رياضي ويقوم بها الشيخ خالد بن سلطان آل قاسم أخو الشيخ صقر حاكم الإمارة».

ابن ماجد

الملاح أحمد بن ماجد، ابن إمارة رأس الخيمة، كان له نصيبٌ أيضاً من الذكر الطيب في المجلة البحرينية، ضمن العدد الثاني عشر (ذو الحجة 1371هـ/ أغسطس 1952م) في مادة بعنوان «الملاح العربي أحمد بن ماجد.. أول من هدى أوروبا بحرياً إلى طريق الهند والخليج العربي». وقد سلكت المجلة في ذلك المسلك المشهور من مساعدة ابن ماجد للبرتغاليين في تلك الكشوفات البحرية، إلا أنَّ صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، أماط اللثام ونفض غبار تلك الشائعات التي ألصقت بهذه الشخصية الفذة، ومحصها بالبحث العلمي الدقيق، متتبعاً الوثائق التاريخية المعتبرة، ضمن كتابه الثمين

الشيخ شخبوط بن سلطان آل نهيان

«بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد».

الأديب الكبير الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، رحمه الله، أفردت له «صوت البحرين» في عددها الأول والثاني (محرم وصفر 1372هـ/ سبتمبر وأكتوبر 1952م)، مساحة لقصيدته «هدف المجاهد»، التي أهداها لشاعر اليمن محمد محمود الزبيري، ومطلعها:

سر في طريقك غير آبهْ

وتحدَّ خصمك في جوابهْ

واقدم بعزمٍ نابت

إن الحياة طريق نابهْ

العدد الخامس (جمادى الأولى 1372هـ/ يناير 1953م) عادت المجلة البحرينية للحديث عن التاريخ الأسود للبرتغاليين مع أهل الخليج، وذلك في مقالة بعنوان «آخر دولة بحرية على الخليج العربي» لعبد الرضا الجبيلي. وفيها يذكر صناع «البوكرك» في المنطقة وهجومه على الخليج العربي، واشتباكه مع سكان المنطقة في عدة وقائع، «ولما استقر فيها (جزيرة العرب) أعاد الكرة على ساحل عمان، واستعان بالأمير ناصر بن مرشد وأمده هذا بالمال والسلاح، ليقوى على خصومه، فصار للبرتغاليين بعض النفوذ نتيجة لذلك على مسقط ومطرح وصحار والقريات، ولكن الأمير ناصراً عندما توفي البوكرك طرد

أسهمت ثلة من الأدباء من الأقطار العربية في إثراء المجلة بالمواضيع، وترسيخ اسمها واحدةً من المجلات الرائدة

بقايا الجنود البرتغاليين من رأس الخيمة وأقصاهم عن بلاده ثم فرض عليهم الجزية».

الشيخ شخبوط

«مرَّ بالبحرين الشيخ شخبوط بن سلطان حاكم أبوظبي، في طريقه إلى لندن للعلاج». هذا ما جاء في الصحيفة من عددها التاسع (رمضان 1372هـ/ مايو 1953).

ومن توثيقات أخبار رجالات الإمارات خبر مرور في العدد الحادي عشر (ذو القعدة 1372هـ/ يوليو 1953م)، «جاسم محمد المدفع، من أهالي الشارقة، في طريقه إلى الحجاز، لأداء فريضة الحج، وهو يحمل معه هدية إلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وهذه الهدية عبارة عن شجرة من الفضة كتب على جذعها وأوراقها سلسلة نسب آل سعود، وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالذهب، ابتداءً من عدنان. ويبلغ وزن هذه الشجرة 1300 توله، أي ما يعادل 32 رطلاً ونصف الرطل، وبها 23 توله من الذهب، أي أكثر من نصف رطل، وقد بلغت تكاليفها أكثر من 13000 روبية».

وفي ابتداء أعداد السنة الرابعة من عمر مجلة «صوت البحرين» (محرم 1373هـ/ سبتمبر 1953م) يصدح أحمد بن سلطان بن سليم، في فقرة أدبية ممتعة بعنوان «شاعر دبي» لعبد الله محمد الطائي؛ يغوص فيها بحور الشاعر الفريد الذي «بدأ خطواته نحو الشعر جريئاً وثاباً فعرف بين أفراد شعبه بالأصالة فيه وبأهم من ذلك بالنسبة إليهم عرف بأنه يعبر عن آمالهم بأسلوب جديد حية متدفقة وعواطف جياشة متأججة».

رصد الاتحاد

ومن العددين الثالث والرابع (ربيع الأول والثاني 1373هـ/ نوفمبر وديسمبر 1953م) تتابع المجلة أحداث اتحاد الإمارات، وأنه «بات من المتوقع أن ينعقد أول مؤتمر لرؤساء إمارات الخليج العربي في البحرين أو في الكويت في أواسط الخريف، وأشيع هنا أنَّ المؤتمر سيعقد بعد عودة سمو أمير الكويت من الهند، حيث سيقضي سموه بضعة أسابيع للراحة والاستجمام، والمتوقع أن يبحث هذا المؤتمر في توحيد النقد والتجارة وتوحيد بعض الأنظمة الداخلية الأخرى بين الإمارات الأخرى، تمهيداً لاتحاد أكبر ربما يتناول الشؤون السياسية».

جاسم محمد المدفع

الشاعر أحمد بن سلطان بن سليم

مبارك العقيلي عاشق دبي وشاعر شيوخها

العدد الثامن من المجلة الغراء (شوال 1373هـ/ يونيو 1954م) نعى وفاة «السيد حسن عبد الرحمن المدفع، وهو من أعيان الشارقة، وقد توفي في بمباي (كذا وردت) على أثر مرض ألم به. لقد كان، رحمه الله، من خيرة شباب تلك الإمارة، بما امتاز به من كرم ومكارم أخلاق، وإنه لمن الخسارة فقدان هذا الشاب الطموح في مقتبل عمره. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه وألهم ذويه ومعارفه الصبر والسلوان».

أما مسك ختام أخبار منطقتنا الإماراتية في مجلة «صوت البحرين» فكان في العدد التاسع والعاشر (ذو القعدة وذو الحجة 1373هـ/ يوليو وأغسطس 1954م) مع المغفور له الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، حاكم الشارقة آنذاك، الذي «مرَّ بالبحرين في طريقه إلى لبنان ومصر، وكان مجلسه طيلة مكثه بالبحرين عامراً بالزوّار، وخاصة أدباء الشباب. وهو يحمل معه هدية نفيسة للواء محمد نجيب، هي نسخة تاريخية من تفسير ابن عباس».

وبهذا العرض الممتع، نكون قد جمعنا لآلئ من الدر التوثيقي لما تناثر في صفحات تلك المجلة الغرّاء، نخرجه للقرّاء؛ باحثين ومطلعين، لتوفّر عليهم عناء البحث والتنقيب عن جواهر تراثنا الإماراتي في الإعلام الصحفي منذ مهده الأول في المنطقة.

خريطة «اياس عرب» ليست لقبيلة بني ياس

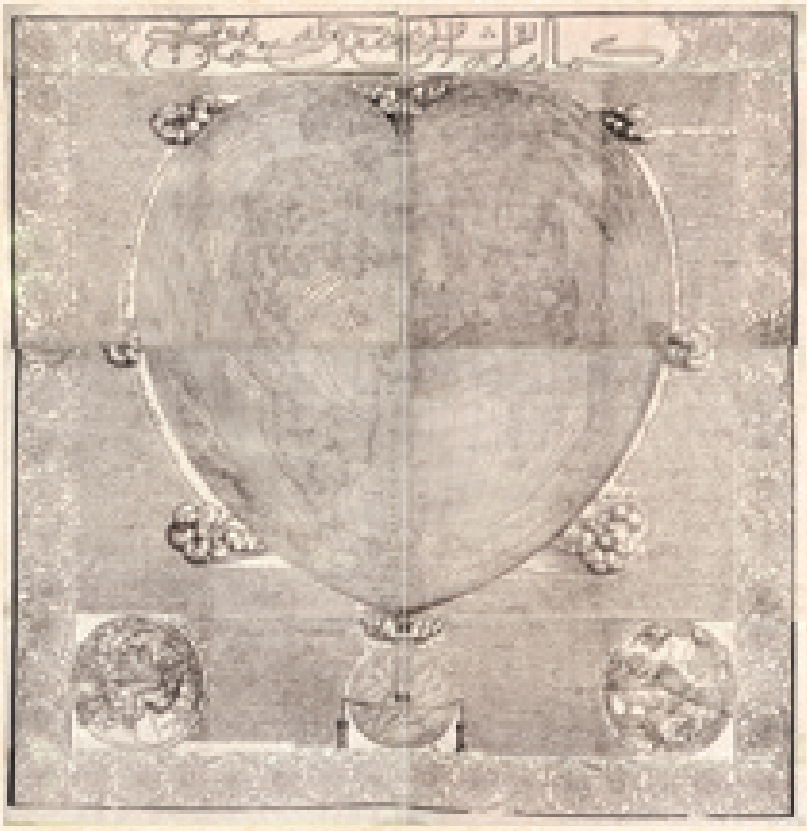

خريطة حاجي أحمد عام 1559م (1)

بقلم جمال بن حويرب

انتشرت في الآونة الأخيرة في الإمارات خريطة، كما تسمّى حديثاً، أو «صورة»، كما كان يسمّيها الجغرافيون المسلمون قديماً، ويدَّعون أنَّ هذه الخريطة (الصورة رقم 1) يعود تاريخها إلى سنة 1559م لجغرافي عربي أصله من تونس عمل عند السلطان سليمان القانوني، اسمه حاجي أحمد، فقام بترجمة خريطة لاتينية للعالم رُسِمَت سنة 1535م (صورة رقم 2)، ويزعمون أنَّ في خريطة حاجي أحمد ذِكْراً لقبيلة بني ياس (الصورة رقم 3)، القبيلة العدنانية الهوازنية التي منها رئيس دولة الإمارات حاكم أبوظبي، ومنها نائبه حاكم دبي. وتنتشر فروع القبيلة كذلك خارج أبوظبي ودبي، في الإمارات الأخرى في الدولة، وفي قطر والبحرين والسعودية قليلٌ منهم. وظن هؤلاء أنَّ في هذه الخريطة فتحاً لهم، حيث إنَّ قبيلة بني ياس ذُكِرَت في هذه التاريخ المتقدّم، وكان أقدمُ ذكرٍ لهم في رحلة التاجر الإيطالي «بالبي» عام 1580م. وقد كنت أتمنّى أن يكون هذا الاكتشافُ صحيحاً، ولكن للأسف وجدته بعد الدراسة محضَ وهمٍ وجهلٍ، وخطأً في علم الجغرافيا، وكسلاً في الرجوع إلى المصادر الأخرى، وهذا ما سنُبَيِّنُه لكم في عجالة من غيرِ تفصيلٍ في هذا العدد، وسنتركُ التفصيلَ للأعداد القادمة إن شاء الله.

طبعت خريطة حاجي أحمد عام 1795م ولا توجد لهذه الخريطة أي طبعات قبل ذلك

أولاً: مَن هو حاجي أحمد؟

لا توجد أيُّ معلوماتٍ عن حاجي أحمد سوى أنه من تونس، وما كتبه هو عن نفسه في الخريطة، حيث قال إنه: «تعلَّم في مدينة فاس المغربية، وقد تمَّ استعباده وبيعه لأوروبي، قد يكون فرنسياً، وسُمِحَ له بمزاولة شعائر الإسلام». والظاهر أنه اتصل بطريقة ما إلى الدولة العثمانية إبّان حكم السلطان سليمان القانوني، الذي بلغت سطوته في أوروبا ما لم يبلغها غيره مِمَّن سبقه، ولعلَّه تعرَّف إليه أحدُ العاملين في قصر السلطان أو اتصل بأبنائه في سنوات ما قبل 1559م، فترْجَمَ الخريطةَ الفرنسيَّةَ لمعرفته باللاتينية، وكانت هذه الخريطة مدخلاً له إلى البلاط العثماني على أغلب الظن، إن كانت هذه الرواية صحيحة، وأن الخريطة رُسِمَت في تلك السنة، والعلماء يشكّكون في ذلك وينفونه كما سيأتي.

ثانياً: مَن صاحبُ الخريطة الأصلية التي ترجمها حاجي أحمد؟

خريطة حاجي أحمد هي ترجمة لخريطة رسّام الخرائط الفرنسي أورانس فين (1555-1494م) الذي رسم خريطة العالم على شكل قلب سنة 1535م (الصورة رقم 2) وتتميَّز بخصائصَ أوروبيَّةٍ محددة، حيث تشمل استخدام المصطلحات الغربية، وقد أشار إلى ذلك مترجمها حاجي أحمد، بأنه ترجمها إلى لغة المسلمين- التركية حينذاك. وخريطة حاجي أحمد تشبه كذلك خرائط أخرى أوروبية، ما يؤكِّد أنها مترجَمة من أصلها الفرنسي. وهذه الخريطة كانت محفوظة في مجموعة الجغرافي جان باتيست بورغينيون دانفيل (1697 - 1782)، ثمَّ اشتراها الملك لويس السادس عشر في عام 1779، ثمَّ حُفِظَت في المكتبة الوطنية في فرنسا منذ عام 1924 حتى اليوم.

الجغرافي الفرنسي أورانس

ثالثاً: هل خريطة حاجي أحمد طُبِعَت سنة 1559م؟

يجيب عن هذا التساؤل الجغرافي الأمريكي «رودني دبليو شيرلي» في كتابه المميَّز جداً بعنوان: «خرائط العالم المطبوعة المبكرة» ويقول باختصار:

«تمَّ اكتشاف قطع خشب الكمثرى الست التي طُبِعَت منها هذه الخريطةُ الكبيرةُ وغيرُ الاعتيادية في مدينة البندقية في عام 1795، وأُخِذَ 24 طبعة منها، ولم يتبقَّ منها سوى ثماني أو تسع نسخ؛ من ضمنها نسخة موجودة في البندقية، ونسخة في المكتبة الوطنية الفرنسية، ونسخة في المكتبة البريطانية، ونسخة في المكتبة الوطنية النمساوية، ونسخة في مكتبة وليام ل. كليمنتس،

خريطة أورانس عام 1535م (2)

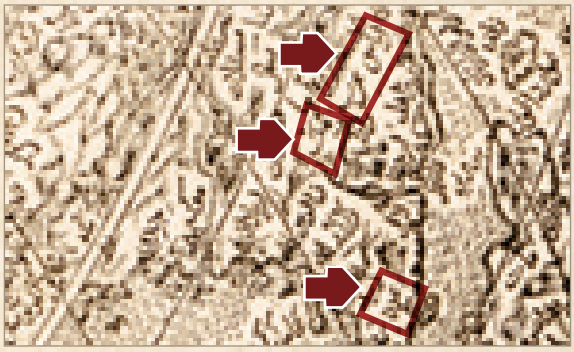

صورة مكبرة لخريطة حاجي أحمد التي تم الاستشهاد بها بالخطأ عام 1790م (3)

بعد مقارنة خرائط أوروبية مع خريطة حاجي تبيَّن أنَّ منطقة «اياس عرب» تقع في اليمن فوق منطقة عدن وليست في الخليج العربي

خريطة أوروبية عام 1804م (4)

ونسخة ضمن مجموعة خاصة في نيويورك. وعلى الجهة الخلفية، يجب أن تكون هناك شهادةُ توثيقٍ تُبيِّن أنَّ الطبعاتِ أُخِذَت خلال الفترة ما بين 12 و18 سبتمبر عام 1795م».

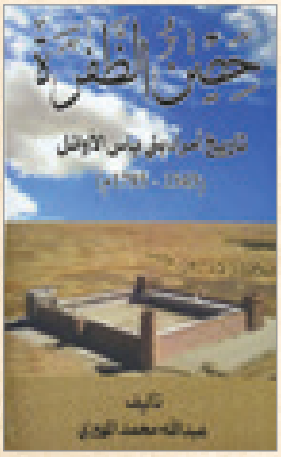

الخريطةُ نفسُها مستمدَّة من خريطة العالم على شكل قلب، والتي رسمها عالِم الخرائط الفرنسي أورانس فين عام 1535م مع أسماء أماكن إضافية وخط ساحلي محدث للأمريكتين. هذه الخريطة أكبر بكثير من نسخة أورانس الأصلية، ويوجد نصٌّ باللغة التركية على وجه الخريطة. وصُمِّمَت الحدود الخارجية من الأرابيسك الجميل على شكل أزهار، ويحتوي الجزء السفلي من الخريطة على رسم لآلة ذات الحلق الفلكية، ونصفي الكرة الأرضية. ويوضِّح أحدُ مفاتيح الخريطة التاريخَ المفترَض لإعدادها، وهو العام 967هـ أو 1559م. ثمَّ يصف رودني الخريطة فيقول: «النَّصُّ باللغة التركية طويلٌ ومفصَّل، ويتضمَّن ملاحظاتٍ حول العثور على خطوط الطول والعرض، ووصف القارات والبلدان الرئيسة، وأسماء المنازل أو الكواكب المرتبطة بها. وهناك نصٌّ يصفُ كيف قام المؤلف حجي أو (الحاج) أحمد، المولود في تونس والذي درس في فاس، بوضع الخريطة، لكنَّ المؤرخ البريطاني فيكتور لويس ميناج شكَّك بأنَّ الحاج أحمد هو مَن رسم هذه الخريطة، مشيراً إلى أنه تمَّ إعدادُها في البندقية لصالح السوق العثمانية بوساطة الإيطالي ميشيل ميمبري الذي كان مترجماً للغة التركية لدى السلطات في ذلك الوقت. وبلا شك فإنه

لا يمكن إثباتُ الأسطورة القديمة بأنَّ قِطَعَ الخشب قد عُثِرَ عليها على متن سفينة تركية وقعت في الأسر عام 1664م».

وخلاصة حكم الجغرافي الكبير «رودني»:

«هناك إشارة في أرشيف البندقية بأنَّ أنطونيو جيوستينياني مُنِحَ عام 1568م امتيازاً لطباعة وبيع خريطة للعالم العربي، ربما تكون هذه الخريطة هي خريطة الحاج أحمد، لكن إذا كان جيوستينياني قد مضى قدماً بالفعل في النشر حينئذ، فإنه لم يتم تسجيل أيِّ نسخٍ باقيةٍ تحملُ اسمه».

وعلى ما ذكره «رودني» نستطيع أن نقول إنه لا توجد أيُّ نسخةٍ باقيةٍ من عام 1559م في ما يشاع عن هذه الخريطة، إنما النسخ الموجودة اليوم طُبِعَت من ألواح في عام 1795م، وفي ذلك الوقت كانت قبيلة بني ياس بن عامر أشهر من نار على عَلَم، وقد حدَّد مواضعهم الرحّالة الدنماركي «نيبور» بين عامي 1761 و1767م في خريطته.

رابعاً: أين تقع منطقة اياس عرب؟

بعد مقارنة عدة خرائط أوروبية مع خريطة حاجي أحمد هذه التي أصلها من خريطة 1535م، كما مر في أول المبحث، استطعنا تحديد موقع منطقة «اياس عرب» كما تقرأ في الخريطة (صورة رقم 3) ووجدنا أنها تقع في بلاد اليمن فوق منطقة عدن، وبعيدة جداً عن الخليج العربي وهذا ما تؤيده هذه الخرائط والتي تذكر منطقة اياس عرب في نفس موقعها فوق عدن كخريطة 1804م (الصورة رقم 4).

خامساً: كيف نستطيع قراءة خريطة حاجي أحمد؟

الذي ينظر إلى خريطة حاجي أحمد (صورة رقم 3) يجد بعد منطقة «اياس عرب» كلمة «يمن»، ما يؤكِّد أنَّ المنطقة يمنية وليست من الخليج العربي.

سادساً: كيف انتشرت هذه المعلومة الخاطئة؟

انتشرت هذه المعلومة الخاطئة عن طريق الخطأ عام 2013م من خبر نشره الأرشيف الوطني في دولة الإمارات، وهو اجتهاد منهم، وليتهم درسوا الموضوع أكثر وعرضوه على أهل الاختصاص في هذا العلم؛ لأنَّ هناك من صدَّق هذه المعلومة غير الصحيحة، وانتشرت هذه المعلومة في الإنترنت وحسابات التواصل الاجتماعي، وكذلك في بعض المؤلفات لباحثين من الإمارات كما ورد في كتاب «الظفرة» للباحث علي الكندي المرر، حيث ذكر في صفحة 108: «ظهرت خريطة للعالم مرسومة على شكل قلب مأخوذة من خريطة منحوتة من خشب أعدَّها الرسام البندقي كستانلي... تمَّ ترجمتها إلى اللغة التركية لإهدائها على ما يبدو إلى أحد سلاطين الدولة العثمانية، وقد ذكر عليها اسم منطقة ليوا، وسكانها بنو ياس -ياس عرب- وكتب عليها: إنَّ المقيمين في هذه المنطقة أناس من قبيلة ياس وهم يتمتَّعون بالحكمة والطيبة».

وقد أشار الباحث الكندي إلى أنه أخذ هذه المعلومة من صحيفة الخليج الإماراتية في 4 مارس عام 2013، ومن كتاب «قبيلة بني ياس في أرشيف صحيفة الغربية» للباحث عبدالله المهيري، وهذا من أمانة الكندي وتميُّزه في أبحاثه. وقد رجعت إلى مصادره فوجدتها كما أوردها، وليته تأكَّد منها قبل نشرها، كما أعرفه، بتحقيق أي معلومة تصل إليه، وقد وردت أيضاً في كتاب «حصن الظفرة» للمهيري، ما أوجب تبيين الوهم في هذه المعلومة.

الخلاصة

هذه الخريطة لحاجي أحمد، ليس فيها ذكر لقبيلة بني ياس الهوازنية، وإنما فيها ذكرٌ لمنطقة يمنية اسمها اياس Ayas ذُكِرَت في عدة خرائط أوروبية، ونرجو من الذين وقعوا في هذا الوهم أن يصحِّحوه قبل انتشاره أكثر.

كتاب
فريج السادة
تأليف: جمال بن حويرب
مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

لمحة عن التأثير العماني في أوغندا بقلم صحفي معاصر

عيسى البلوشي.. أول جندي عُماني يدخل أوغندا

أوغندا تنوع التضاريس

أوغندا بلاد الملوك والتعددية الثقافية واللغات، ولهم عادات طيبة في معاملة ضيوفهم، وخاصة الحفاوة التي تلقّاها العرب العمانيون في أوَّل وصولهم إلى هذه الدولة المجهولة تماماً لدى العرب حتى زمن حكم السيد سعيد بن سلطان لزنجبار؛ فبدأ الاستكشاف العربي قبل أي دولة أخرى من العالم.

يقول محمد بن ناصر الحارثي في مقال نُشِرَ في جريدة الوطن العمانية:

في عام 1844م، دخل أحمد بن إبراهيم العامري إلى أوغندا، وهو يعدُّ من أوائل العمانيين الذين وصلوا إلى أوغندا، حيث عرض الإسلام على ملك «بوغندا»، ثمَّ تبعه كثير من العمانيين بعد ذلك.

لقد أسهم وصول العمانيين إلى أوغندا واستقرارهم فيها، في توسُّع وازدهار الحركة التجارية العُمانية، فأصبح كثيرٌ من التجار يقدمون على عرض وتبادل تجارتهم في أوغندا، واستقرَّ بعضهم فيها بعدما شعروا بالأمان، وهذا حال بعض أجدادنا الذين قرَّروا العيشَ والاستقرارَ فيها.

ترجع كلمة «إيجانجا» إلى موسيقي اسمه «آباي وايجانجلا» الذي كان يجذب الجمهور المحلي والتجار العُمانيين أيضاً. وقد أطلق المحليون في تلك المنطقة على العُمانيين لقب الـ«ايجانجا» لعدم مقدرة بعض العُمانيين على نطق اسم المغني بشكل صحيح.

ثمَّ يتابع الحارثي فيقول:

«لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى ظهرت بوادر التأثير العُماني

الشيخ ثاني بن عامر الحارثي أول مَن قبل دعوة ملك أوغندا لزيارتها عام 1852

في ثقافة الشعب الأوغندي، حيث غيَّرت بعض القبائل الأوغندية الملابس الخاصة بها، وظهرت الملابس العُمانية «البشت والدشداشة» في أوساط الشعب الأوغندي، وكان الملك الأوغندي «كاباكا»، أوَّل من ارتدى الدشداشة العُمانية المعروفة باسم «كانزو»، والبشت المعروف باسم «بيسوتي»، ثمَّ تبعه كبار المسؤولين في الدولة».

الدشداشة العمانية

في الغالب تكون الدشداشة باللون الأبيض أو الحليبي. وقد اتخذ الأوغنديون الدشداشة لباساً لهم في قرية بوغندا أولاً، ثمَّ بدأت بالانتشار ببطء إلى القرى المجاورة؛ مثلاً في تورو، بوسوجا أُسْتُخْدِمَت لباساً للوظائف الرسمية.

ويعدُّ نموذج الدشداشة العُمانية القديمة التي قام الأجداد بخياطتها باليد في عُمان هي المستخدمة حتى الآن في أوغندا، وتبيعها المحلات والأسواق المحلية في بوغندا، بسوجا، بونيورو، وتورو، بينما نحن في عُمان قمنا بإجراء تغييرات على الدشداشة العُمانية، وأمّا الدشداشة التقليدية القديمة التي صنعها الأجداد فلا تزال تُخاط وتُباع وتُلبَس في أوغندا حتى الآن.

التأثير العُماني في الأوغنديين شمل أيضاً ارتداء الإزار المعروف محلياً باسم «بيكوي»؛ ففي أوغندا، لا يرتدي الرجال الأوغنديون الإزار أسفل الملابس كما يفعل العمانيون، وتضعه المرأة الأوغندية تحت ملابسها، ويعدُّونه نوعاً من الأناقة.

حالياً يأتي الإزار في تصاميم وألوان متنوعة، ويُسْتَوْرَد من دول مختلفة، وتخيط المرأة الأوغندية ملابسها باستخدام الإزار في تصاميم مختلفة. وأودُّ أن أذكرَ أنَّه بدأ في عُمان صنع وخياطة الإزار التقليدي في أشكال ونماذج متنوعة، وصناعته قد تمّت في قرى عُمانية محلية، وقد صُدِّر قديماً للأقطار الخارجية. انتشرت على نطاق واسع أنواع متعددة من الإزار العُماني في أوغندا منذ عام 1880م، وسُمِّيَ طبقاً للقرية العُمانية التي تمَّ صنعه فيها، مثلاً:

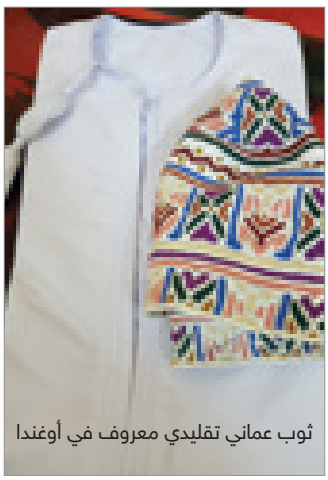
ثوب عماني تقليدي معروف في أوغندا

يُطلَق على الإزار الذي تمَّ صنعه في قرية قريات العمانية «كارياتي»، وفي إبراء «بولا»، وفي سمائل «اسمايري». و«الجابري» يُطلَق على الوزار الذي تكون تصنيفته واسعة، وهناك أيضاً «صوبَيرة» وهو الذي يوضع حول الكتف والرأس. وهذه الأسماء المختلفة للإزار لا تزال معروفة حتى الآن في أوغندا.

محمية أوغندا

هذه لمحة عن التأثير العماني في أوغندا من صحفي معاصر، لعله لم يعرف أنَّ رجلاً من أجداده «الحرث» كان من أوائل العمانيين الذين وطئت أقدامهم أوغندا، كما جاء في كتاب قديم لنبيل بريطاني درس تلك البلاد وخرج بكتاب مهم جداً من جزأين باسم «محمية أوغندا» لمؤلفه **السير هاري جونستون**، وطُبِعَ في لندن عام 1902. وقد اخترنا لكم ما يخصُّ تاريخ عمان في أوغندا فيقول:

تعدَّدت الدوافع التي حثَّت عرب

هاري جونستون

حياة فطرية متناغمة

تجار عُمانيون في أوغندا في نهاية القرن التاسع عشر

مسقط، الذين تسيَّدوا ساحل شرق إفريقيا من أرض الصومال إلى موزمبيق، على استكشاف المناطق الداخلية المجهولة خاصة في اتجاه أرضٍ تُعْرَف باسم «يونيامويزي» (Unyamwezi) أو أرض القمر. خلال الأربعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر، تقدَّم العرب في زنجبار شيئاً فشيئاً نحو المناطق الداخلية خلف ساحل زنجبار؛ فاكتشفوا بحيرة نياسا، وسمعوا شائعات عن بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا.

خلال أربعينيات القرن التاسع عشر رسَّخ عرب مسقط مكانتهم بقوة كتجار في« يونيامويزي»، وكانوا يعاملون السكّان الأصليين بشكل جيد، باستثناء أنهم اشتروا عبيداً من أسياد على استعداد لبيعهم، وكانت تلك صفقة لم تحدث انطباعاً سيئاً على الإطلاق عن الزنوج. وبالكاد، واجه عرب مسقط أي عقبات في التوغُّل إلى المناطق الداخلية بحثاً عن التجارة؛ فوصلوا إلى شواطئ بحيرة فيكتوريا، وسمعوا شائعات عن ممالك قوية تقع إلى الشمال والغرب من تلك البحيرة.

أول جندي

من ناحية أخرى، بدأت إمبراطورية هيما الأرستقراطية الحذرة في كاراغوي وأوغندا تسمع عن هؤلاء الرجال الملتحين ذوي البشرة الفاتحة، الذين كانوا يأتون للتجارة مع الطرف الجنوبي من البحيرة العظمى. تلقّى التجار العرب دعوة إلى بلاط «سواورا» ملك هيما في مدينة كاراغوي، الساحل الجنوبي الغربي لبحيرة فيكتوريا، وكذلك إلى بلاط خليفته «رومانكيا» الذي اتصف بطبيعته اللطيفة.

كان أول جندي غير زنجي من العالم الخارجي يدخل أوغندا، هو جندي بلوشي من زنجبار، يدعى عيسى أو عيسوه بن حسين، قد فرَّ من دائنيه، بداية إلى المستوطنات التجارية العربية في يونيامويزي، ثمَّ إلى كاراغوي وأخيراً إلى بلاط «سونا» ملك أوغندا؛ ولا بدَّ أنه وصل هناك نحو عام 1849 أو 1850م. أكسبه وجهه الحسن وشعره الكثيف حظوة لدى الملك، وأصبح معروفاً باسم «موزاجايا» (Muzagaya)، أي كثيف الشعر. وقد أصبح قوة في أوغندا حتى وفاة الملك «سونا» عام 1857م.

سحر الطبيعة في أوغندا

وكان يملك مجموعة كبيرة من النساء قوامها 300 امرأة.

من خلال عيسى البلوشي، سمع ملك أوغندا وحاشيته وشعبه لأول مرة عن عالم من العرب والرجال البيض خارج ماسايلاند ويونيورو وتنجانيقا، فبعث «سونا» خطاباً إلى التجار العرب في كراغوي داعياً إياهم إلى بلاطه. وكان الشيخ ثاني بن عامر الحارثي أوَّل مَن قبل هذه الدعوة. وفي عام 1852، وقف هذا التاجر العربي بحضور أقوى ملك لأفضل دولة إفريقية منظمة في عصرها، بمنأى عن النفوذ العربي أو الأوروبي. بقي سناي بن أمير بعض الوقت مع الملك «سونا»، وزوده بالكثير من المعلومات حول العالم خارج بحيرة فيكتوريا، بل وخارج ساحل إفريقيا، وجاءت رواياته للملك «سونا» لتؤكد قصص عيسى، فعلم يقيناً بوجود الرجال البيض.

من جهته، فإنَّ الشيخ ثاني بن عامر الحارثي الذي عاد إلى يونيامويزي حاملاً في جعبته روايات كاملة عن هذه المملكة الزنجية المنظمة والحضارية إلى الشمال، وسرعان ما انتشر الخبر بين التجار العرب في أقاصي زنجبار، كما بلغ مسامع المبشّر الألماني يوهان كرابف ورفيقه يوهانس ريبمان. كان هذان المبشران قد اكتشفا الجبال الثلجية في كليمنجارو وكينيا، وكانا يبذلان ما بوسعهما من أجل التعريف بأسماء وميزات شرق إفريقيا الداخلية.

قوافل عربية

نحو عام 1857م، عبرت أولى القوافل العربية التجارية من مومباسا إلى دول ماساي ونانـدي، لتتوقَّف في كافيروندو بانتظار الحصول على إذن لدخول أوغندا، غير أنَّها لم تُمنَح ذلك الإذن بحجة أنَّ الملك «سونا» قد توفي، وأنَّ خَلَفَه «موتيسا» لم يتسلَّم بعد مقاليد الحكم.

مصادر:

*جريدة الوطن 25 أكتوبر 2018، مقال بعنوان «العمانيون في أوغندا.. سفراء حضارة»

UGANDA PROTECTORATE, SIR HARRY JOHNSTON,London: Hutchinson and Co, 1904.

لفتة إنسانية مبكرة للحَضارة الإسلامية عبر التاريخ

أحواض سقي الدواب

الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن عنب*

كان المسلمون دائماً سبّاقين في كافة أَوجه الحَضارة الإنسانية، وظَهر هَذا جَلياً في مَجال الرِّفق بالحيوان، وجاء ذلك بفهمهم لرُوح الإسلام السَّمحة، ونُصوصه الكثيرة التي تَحُضُّ على قيمة الرَّحمة والرِّفق بالحَيوان، ولذا يُعدُّ الرِّفق بالحيوان مِن أَهمِّ سِمات الحضارة الإسلامية التي دَعت إليها تَعاليم الدِّين الإسلامي ونصَّت عليه كتب الفقه الإسلامي. لقد وضع الإسلام مَبدأ الرِّفق بالحيوان مُنذ القِدم خِلافاً لِما يَظنُّه البعض مِن أنَّ الأوربيين هُم أوَّل مَنْ اهتمَّ بِرعاية الحيوان وتَأسيس دُور الرعاية لها، وقد جاءت عشرات النُّصوص تدعو إلى الرَّحمة بالحيوان. وهذه الرَّحمة قد تكون سبباً في دُخول الجَّنة، كَما في قِصة الرَّجل الذي نَزل بِئراً وَسَقى كَلباً كَان يَلهثُ مِن العَطش، فَجَزاه الله عَن ذَلك بِدخُول الجَّنة[1]، وَلقد كَان النَّبي ﷺ أوَّل مَنْ دَعا إلى الرِّفق بالحيوان والعَطف عليه، وقد سار الحُكام والخُلفاء مِن بَعده اقتداءً بِسنته ﷺ عَبر العُصور التَّاريخية؛ وقد تُرجم ذلك إلى أَفعال، حَيث خُصِّصت مُنشآت معمارية مستقلة خاصة برعاية الحيوانات، تِلك التي تَميَّزت بِها الحَضارة الإسلامية عَن غيرها عَبر العُصور التَّاريخية، ومِن أشهر هذه العَمائر «أحواض سَقي الدَّواب»؛ فما هذه العمائر؟ وما شكلها وتكوينها المعماري؟

ملحقات معمارية

أحواض سقي الدَّواب هي أَحواض مُلحقة بالمُنشآت المِعمارية المُختلفة، تَهتمُّ بِشؤون الحيوانات وسقيها، وقد عُرِفَت هَذه الأَحواض وانتشرت بكثرة في مِصر وبِلاد الشام خِلال العصرين المملوكي والعُثماني، وهي أحواض معظمها حَجريٌّ وبَعضُها رُخاميٌّ، ورُوعِيَ فِيها أن تكون بالقُرب مِن أطراف المُدن وأبوابها، حَيثُ تَكثُر حركة الخارجين والدَّاخلين مِن المُسافرين والتُّجار، كما اتخذت موضعاً مُتميزاً في العمائر بالواجهات الرئيسة لها، ليَسهل شُرب الدَّواب منها.

التَّكوين المعماري لهذه الأحواض عبارة عن مساحة مُستطيلة أو مُربعة الشكل تُشبه الإيوان مُغلقة مِن ثَلاثة جَوانب، والجَانب الرابع مَفتوح عَلى الطريق؛ لتسهيل دخول الدَّواب المُختلفة للشُّرب مِن هذه الأحواض التي تَتخذ أشكالاً وطُرزاً مُختلفة؛ مُعظمها مستطيل

لوحة تصور مجموعة من الجمال تشرب من حوض المياه للمستشرق الفرنسي جان ليون جيروم

رَسم للفنان الفرنسي جون ليون جيروم حوض سَقي الدَّواب المُلحق بِمَجموعة السُّلطان قَايتباي

الشكل والقَليل مِنها بيضوي أو دَائري، وخُصِّصت بها أماكن مُظلَّلة للدَّواب تَقفُ وتَستظلُّ بها، وَخُصِّصت لهذه الأحواض أَوقاف كَثيرة حَبسها الخيّرون عليها، كما خُصِّص لها قَيِّم أو فرّاش مُهمته الاهتمام بنظافة الحوض وكنسه وغسله، ومُتابعة سَقي الدَّواب وملء الحوض بالماء بصفة دائمة، ومُساعدة الناس للاستفادة من ماء الحوض.

أشهر الأحواض

ومن أشهر أمثلة أحواض سَقي الدَّواب؛ الحَوض الذي أوقفه السُّلطان الأشرف أبوالنصر قايتباى بقَرافة المَماليك بالقاهرة (879هـ/1474م)؛ لتَشرب مِنه الدَّواب أثناء سَيرها وتستريح مِن

عُرِفَت أحواض سقي الدواب وانتشرت في مِصر وبلاد الشام خلال العصرين المملوكي والعثماني

السَّير وتَستَظلُّ فيه مِن أشعة الشَّمس[2]، ويتكوَّن حوض السلطان قايتباي من إيوان كبير ذي مساحة مستطيلة سَقفها مُسطَّح، ويتصدرها حوض كبير يُمْلَأُ بالماء عَن طريق قصبات مُغيبة أسفل الأرض تنقل المياه مِن مصدرها الأصلي إلى الحوض بواسطة سَواقي[3].

كَما عُرِفَت أَحواض سَقي الدَّواب كَذلك في مَشرق العالم الإسلامي ومغربه، إلا أنها لم تَصل في الفخامة إلى مُستوى أحواض سَقي الدَّواب بالقاهرة؛ حيث تَحتفظُ تُركيا بِنَماذج مِن أحواض سَقي الدَّواب التي ترجع للعصر السُّلجوقي، ومِن أمثلتها الحوض المُلحق بمدرسة شلبي سُلطان في ميدان مِيرزافون. كَما عَرفت بِلاد المَغرب أيضاً هذه الأحواض، وجَاءت مُلحقة بالمساجد، وقد تَكون مُنفصلة عنها، وكانت تُزَوَّدُ بِالمياه مِن أحواض الأسبلة أو السقايات عَن طَريق أقصاب فُخارية، تصبُّ في أحواض سِقاية الدَّواب وتَتَّخِذُ شَكلاً معمارياً عِبارة عَن دخلات عميقة وصغيرة، وتُوجَد أسفل هَذه الدخلات في أرضية السقاية أحواضٌ عميقة أخرى ليسهل الشرب منها[4].

هَذا هُو الإسلام دين الإنسانية والرَّحمة، وهَذه هِي الحَضارة الإسلامية.. تلك الحضارة التي أبهرت أعين المستشرقين الغربيين؛ فنقلوا ذلك في كتاباتهم، ورسموا هذه العمائر بفرشاتهم في لوحاتهم التي تقف شاهداً على عظمة الإسلام ورحمة المسلمين. وأختم مَقالي بما قَالته المُستشرقة الأمريكية كِريستين ستيلت: «لقد بُنِيَ الإسلامُ على مبادئ الرِّفق والرَّحمة والعَطف والعَدل، والتي تُعدُّ مِن الأُمور الجيدة؛ هَذه المَبادئ التي تَنتشر مِن خِلال نُصوص الدِّين في القرآن والسُّنة، وأيضاً مِن خِلال ما جاء في التَّاريخ الإسلامي، حيث يأمرنا الإسلام بالعطف والرِّفق تِجاه الحيوانات في كُل الأمور».

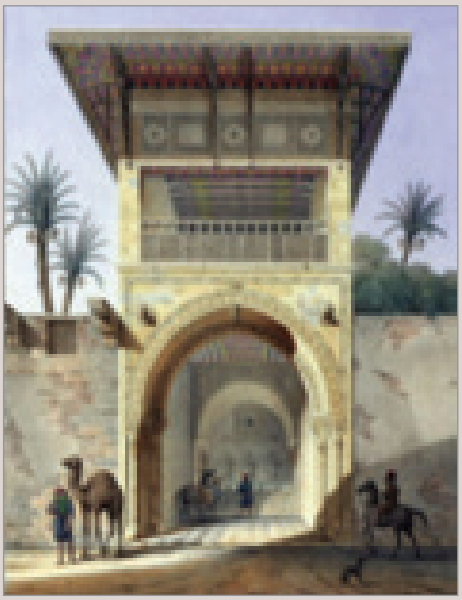

صورة من رسم المستشرق والمعماري الفرنسي باسكال كوست الذي زار مصر عام 1817م، والصورة يظهر فيها حوض لشرب الدواب

حوض دواب ملحق بمجمع المنصور قلاوون بشارع المعز لدين الله بالقاهرة

حوض سَقي الدَّواب المُلحق بِمَجموعة السُّلطان قَايتباي بِصَحراء المَماليك

المصادر:

(1) علي يوسف المحمدي، الرفق بالحيوان في ضوء الكتاب والسنة، جامعة قطر، ص193.

(2) للمزيد انظر، مُحمد الششتاوي، مُنشآت الرِّفق بالحيوان في مَدينة القَاهرة في العَصرين المملوكي والعُثماني، رِسالة دُكتوراة، كُلية الآثار، جَامعة القاهرة، 2001م.

(3) للمَزيد عَن أحواض سَقي الدَّوَاب انظر، سُعاد مُحمد مَاهر، أحواض سَقي الدَّواب خلال العصرين المملوكي والعُثماني بالقاهرة، مجلة الأثريين العرب، القاهرة، ص55-86.

(4) غزوان مصطفى ياغي، منشآت رعاية الحيوان في العمارة الإسلامية، مجلة المعرفة، العدد 586، تموز 2012م، ص199-200.

مصدر اللوحات:

1. https://www.facebook.com/Egypt.Orientalists/photos/a.183604395505143/270245806841001/?type=3.
2.3.4.5.https://www.facebook.com/photo.php?fbid=2048981175373128&set=a.1401786273425958&type=3&theater.

*مدرس بكلية الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة الفيوم

من صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية

ولاة اليمامة (1)

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الشعلان*

لا ريب أنَّ منطقة الجزيرة العربية حظيت منذ القدم بأهمية تاريخية استقطبت أقلام الباحثين والمؤرخين، ليخوضوا في عباب بحور وكنوز تراثها الغني. ومن تلك المناطق التي لها حضورها في صفحات تاريخنا العربي منطقة اليمامة، التي أغرت الكاتب والباحث السعودي عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الشعلان، ليسلِّط عليها عدسة قلمه في بحثه: «ولاة اليمامة من صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية».

«مدارات ونقوش»، في إطار رسالتها المعرفية السامية لنشر وتوثيق المفردات الثقافية لمنطقة الخليج العربي، يسرُّها أن تبرزَ لقرّائها الكرام لآلئَ هذا البحث في سلسلةٍ تستوعبُ هذا العددَ وأعداداً مقبلة.

اليمامة جغرافياً حسب وصف الهمداني وياقوت الحموي

مقدمة:

إنَّ الحديث عن تاريخنا الإسلامي برجاله وعظمائه وأحداثه حديثٌ ممتعٌ محبَّبٌ إلى النفوس، وهو زاخر بالعبر والدروس، وقد اخترت الكتابة عن موضوع تاريخي يكتسب أهميته لارتباطه بالدولة الإسلامية وقيام نظامها بعد أن انتشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية في صدر الإسلام في العهد النبوي، وبعد الفتوحات في العراق والشام ومصر في العهد الراشدي، وما تلا ذلك من فتوحات واسعة في العهد الأموي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الحديث عن نظام من أنظمة الدولة الإسلامية منذ نشأتها، حتى تبلورت فيها التنظيمات من خلال إيراد أخبار الولاة الذين تولوا في اليمامة ذلك الجزء المهم من أجزاء الجزيرة العربية، فعندما نقف على تراجمهم وقصصهم وأخبارهم سيتَكَشَّفُ لنا كثيرٌ من الأمور التاريخية والتنظيمية التي كانت سائدة ومعمولاً بها، كما أنَّ البحث يهدف إلى الإسهام في إثراء المكتبة من خلال إضافة لبنة صغيرة في بناء الثقافة التاريخية الإسلامية.

حدود البحث:

يغطي البحث فترة زمنية مهمَّة منذ صدر الإسلام، حيث قامت دولة للمسلمين بعد هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة، ومروراً بفترة الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وانتهاءً بالتوسُّع الكبير لدولة الإسلام في العهد الأموي، واستقرار التنظيمات الإدارية للدولة الإسلامية، وعلى الرغم من أنَّ تلك الفترة لا تزيد على مائة وعشرين عاماً، فإنها فترة متغيرات كبيرة لا يكاد يحدُّها زمنٌ.

ولما كانت اليمامة من أقسام الجزيرة العربية وهي أقرب الولايات إلى المدينة، وتعدُّ سلة الغذاء لمنطقة الحجاز، حيث تمدُّها بالتمر والقمح، ولِقدم انضمامها إلى الدولة الإسلامية وما جرى على ولايتها من التغيير، من حيث التوسُّع أو التحجيم أو ضمها إلى غيرها أو ضم غيرها إليها، فهي مثالٌ جيِّدٌ وذو أوجهٍ متعددة. إضافة إلى سكانها الذين هم من العرب الأقحاح الذين كان لهم أثرٌ في خارطة الأحداث التي شهدتها دولة الإسلام بمختلف عصورها.

يغطي البحث قيام دولة للمسلمين منذ الهجرة مروراً بعهد الخلفاء الراشدين وانتهاءً بالتوسُّع في العهد الأموي

أهمية البحث وسبب اختياره:

اخترت الكتابة حول ولاة اليمامة في العهد النبوي والراشدي والأموي لأسباب منها:

- أهمية الموضوع، حيث يلقى الضوء على نظام الولاية وعلى التنظيم الإداري في دولة الإسلام منذ بداياتها.
- تعدُّ اليمامة (نجد) جزءاً مهمّاً وكبيراً من أجزاء الجزيرة العربية، وولاياتها من الولايات المهمة، وكانت تشملُ مناطقَ أخرى ضُمَّت إليها، وربما ضُمَّت هي إلى مناطقَ مجاورةٍ لها في ولاية واحدة، فهي مثالٌ جَيِّدٌ لحالات مشابهة.
- شهدت منطقة اليمامة بعد هذه الفترة نوعاً من الفتور وقلة الاهتمام، خاصة بعد انتقال الدولة إلى بغداد وتغلُّب القادة غير العرب على مقاليد الحكم تحت سلطة اسمية للخليفة العباسي، ما جعلها تكاد تختفي من ساحة الأحداث خلا بعض الحوادث المتفرقة والهادفة إلى إخماد ثورة أو تمرُّد.
- قلة المراجع التي أُفْرِدَت لهذا الموضوع؛ فنجد أنَّ الأخبارَ متناثرة هنا وهناك، ما يدفع الباحث إلى عناء كبير في تجميع معلومة متكاملة لكلِّ ما تقدَّم سواء في أهمية الحقبة الزمنية أو المكانية. ولقلة المصادر التي أَفْرَدَتِ الحديثَ عن هذا الموضوع، كان اختيار البحث ليلقي الضوء على تاريخ ولاة اليمامة في عصر صدر الإسلام وحتى نهاية الدولة الأموية. وأحسب أنَّ هذا الموضوع يهمُّ كلَّ باحث تاريخي مهتم بالتاريخ الإسلامي بشكل عام، وكذلك من يدرس التنظيمات الإسلامية أو يبحث في تاريخ الجزيرة العربية أو منطقة اليمامة.

وتمَّ تقسيم البحث إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: يتحدَّث عن اليمامة المنطقة، وأصل تسميتها، وحدودها، واليمامة الولاية

الباب الثاني: يتحدَّث عن ولاة اليمامة في عهد النبوة وفي أيام الخلفاء الراشدين

الباب الثالث: يتحدث عن ولاة اليمامة في عهد الدولة الأموية

الباب الأول: اليمامة

لكل صقع من الأرض حدوده الطبيعية أو الجغرافية المتمثلة في الجبال أو الأنهار أو غيرها، كما أنَّه قد يحدَّد بساكنيه من قبائل أو أجناس، والتحديد في الغالب ليس قطعياً ولا دائماً؛ فهو يخضع للعوامل السياسية وغيرها، لذلك نجد أنَّ التحديدات تختلف بين المصادر تبعاً لهذه التغيُّرات. وقد وقفت على تحديدات عدة لمنطقة اليمامة (نجد)؛ فرأيتها تختلف وتزيد أحيانا وتنقص بحسب المتغيّرات المحيطة بها، ونشير هنا إلى بعض التحديدات أو التعريفات على وجه الاختصار لتكون منطلقاً لحديثنا عن الولاة الذين تولوا حكم هذه المنطقة في الفترة من صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية.

اليمامة هي أحد أجزاء جزيرة العرب التي قُسِّمت قديماً إلى خمسة أقسام: الحجاز، اليمن، البحرين، عمان، واليمامة.

تعدُّ اليمامة أهمَّ أقاليم نجد، فقد كانت ولاية نجد تسمَّى ولاية اليمامة، وفي الغالب أنَّ من يحكم اليمامة فإنه يحكم نجد بأسرها.

وفي الأصل أنَّ اليمامة جزءٌ من منطقة نجد التي تغطّي مساحة شاسعة من وسط الجزيرة العربية، إلا أنَّ اليمامة كان بها مقرُّ الولاية فَسُمِّيَت المنطقةُ كلُّها باسمها من باب إطلاق الخاص على العام.

أصل التسمية:

اليمامة بفتح الياء والميم الممدودة فميم مفتوحة فهاء، قلب جزيرة العرب بين سراتها وعروضها، وما اليمامة أصلاً إلا الحمامة أو نوع من جنسها[1].

جاء في "لسان العرب": اليمام طير، قيل: هو أعمُّ من الحمام، وقيل: هو ضرب منه، وقيل: اليمام الذي يستفرخ والحمام هو الذي يألف البيوت، وقيل: البري من الحمام الذي لا طوق له، والحمام كل مطوق كالقمري والفاختة[2].

وعند الهمداني في "الإكليل" وأورد قصيدة أمية بن أبي الصلت، ومنها البيت:

(1) ابن خميس: معجم اليمامة

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج 12، مادة (يمم)

المصادر التي أَفْرَدَت الحديث عن ولاة اليمامة قليلة ما دفع الباحث إلى تقصي هذا الموضع بشكل واسع

وأُرْسِلَتِ الحمامةُ بعد سبعٍ

تَدُلُّ على المهالكِ لا تَهابُ

وقيل: إنَّ نوحاً، عليه السلام، أرسل الحمامة تنظر هل جفَّ من الأرض شيء - بعد الطوفان - فلم تلبث أن جاءت بعرق شجرة، فعلم أنَّ الماءَ قد نضب، فدعا لها فطوّقت، وهذا مما يغلط فيه العامة، وإنما الحمام كل مطوّق، مثل: القماري والفواخت. وأمّا الحمام الهدي والبيتي، والوحشة، والورق، والخضر، فهي اليمام، الواحدة يمامة[1].

قال أبو المسيب ثابت بن عبدالله الهذلي:

فما أنا بناسيكم وما أنا بزايل

عن العهد ما غنى الحمام المطوق[2]

- وجاء في "لسان العرب": اليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام، يقال: أبصر من زرقاء اليمامة فَسُمِّيَت باسم هذه الجارية لكثرة ما أضيفت إليه.
- وفي "مختار الصحاح": وإنما سُمِّيَت اليمامة باسم امرأة كانت تسكنها اسمها «يمامة»، وصُلِبَتْ على بابها. قال: واليمامة القرية التي قصبتها (حَجْر) كان اسمها فيما خلا (جواً) وقال: كان اسمها (الجو)، وقيل: هو اليمامة، واليمامة هي الصقع المعروف شرقي الحجاز ومدينتها العظمى: حجر اليمامة[3]. ا.هـ بتقديم وتأخير
- وفي "معجم البلدان": اليمامة معدودة من نجد وقاعدتها (حجر) وتسمّى (اليمامة): (جواً) و(العَروض)، وكان اسمها (جواً) قديماً فَسُمِّيَت اليمامة باليمامة بنت سهم من طَسَم[4].
- وفي "معجم ما استعجم": (جو) بفتح أوله وتشديد ثانيه، اسم اليمامة في الجاهلية، حتى سمّاها الحميري

لما قتل المرأة التي تسمّى اليمامة باسمها، وقال الملك الحميري:

وقلنا فسموها اليمامة باسمها

وسرنا وقلنا لا نريد إقامة[5]

قال جرير:

أَبَني حَنيفَةَ أَحكِموا سُفَهاءَكُم

إِنّي أَخافُ عَلَيكُمُ أَن أَغضَبا

أَبَني حَنيفَةَ إِنَّني إِن أَهجُكُم

أَدَعِ اليَمامَةَ لا تُواري أَرنَبا[6]

وقال أيضاً:

لما تَشَوّقَ بعضُ القومِ قلتُ لهم

أينَ اليمامة منْ عين السواجيرِ[7]

حدود اليمامة:

- قال ابن حوقل: ديار العرب هي الحجاز التي تشمل مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها، ونجد الحجاز متصل بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية

(1) الهمداني: الإكليل، ج1، ص90

(2) الهجري: التعليقات والنوادر ، ج2 ص549

(3) أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، مادة (يمم)

(4) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص505

(5) البكري: معجم ما استعجم، ج2، ص407

(6) ديوان جرير: ص63-64،

(7) المصدر السابق: ص244 ، وعين السواجير نهر في الشام

اختلف علماء المنازل والديار في تحديد اليمامة حتى جعل بعضهم نجداً كلها من أعمال اليمامة

الشام، ويقول: ما كان من اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة يمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد[1].

- وذكر ابن خلدون: قال البيهقي: اليمامة بلد منقطع بعمله، والتحقيق أنه من الحجاز كما هي نجران من اليمن، وكذا قال ابن حوقل، وهي دونها في المملكة، وأرضها تسمّى العروض لاعتراضها بين الحجاز واليمن. ومن شرقها البحرين وغربها أطراف اليمن والحجاز وجنوبها نجران وشمالها نجد من الحجاز[2].
- وفي "معجم البلدان": جبل السراة أعظم جبال العرب وأذكرها.. ثمَّ يقول: وصار ما دون ذلك الجبل في شرقية من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجد، ونجد تجمع ذلك كله...والعرب تسميه: نجداً وجلساً، والجلس ما ارتفع من الأرض وكذلك النجد[3].
- يقول شوقي ضيف في "تاريخ الأدب العربي": هضبة نجد تنحدر من الغرب إلى الشرق حتى تتصل بأرض العروض، وهي بلاد اليمامة والبحرين... وشمالي نجد صحراء النفود التي تمتد حتى تفصل بين نجد والبحرين وتسمَّى الدهناء أو (رملة عالج)، حتى إذا أحاطت باليمامة انبطحت في الربع الخالي، والتي تفصل بين اليمامة ونجد من جهة وبين عُمان وحضرموت من جهة أخرى، وهذه الصحاري تطوّق نجد في الشمال والشرق والجنوب. ا.هـ باختصار[4]
- يقول ابن خميس: واختلف علماء المنازل والديار في تحديد اليمامة، حتى جعل بعضهم نجداً كلها من أعمال اليمامة كالبكري، وتوسَّع بعضهم حتى شمل في تحديدها جزءاً من اليمن وجزءاً من الحجاز وجزءاً من البحرين وجزءاً من العراق وأطراف الشام كصاحب "بلاد العرب"، وتوسَّط البعض فألحق جبلها وما يسيل عليه مناطق: (الوشم) و(عُروض باهلة) و(السِّر) وما حول هذه المناطق غرباً وشمالاً وجنوباً، وحدَّدوا اليمامة شرقاً بحدود (الأحساء). والذي يظهر لي – ابن خميس– أنَّ حدود اليمامة التي ذكرها من يتوسَّع في تحديدها حدوداً إدارية تتسع وتنكمش باعتبار ما يناط بواليها من بلدان وأماكن قلة وكثرة واتساعاً وانكماشاً، وأنَّ حدود اليمامة الطبيعية جبلها المحدَّد جنوباً بالربع الخالي من تحت (نجران)، وشمالاً (بالثُّويرات) شمال الزلفي وما صاقب الثُّويرات شرقاً حتى (السياريات) و(الدهناء) وما صاقبها غرباً حتى (المستوى)، أمَّا حدود اليمامة شرقاً (الدهناء)، وحدودها غرباً هضبة نجد أو ما يسمّى الدرع العربي؛ بمعنى أنَّ (السِّرَّ) و(العِرضَ) و(الوَشْم) و(الرَّيب) و(وادي الدَّواسِر) داخلة في حدود اليمامة[5].
- ويرى حمد الجاسر أنَّ: إقليم اليمامة يشمل في العهد الحاضر ما يُدْعَى: (العارض) و(سُدَيْر) و(المحْمَل) و(الشَّعيب) و(الوَشْم) و(الخَرْج) و(الفُرْع: الحوطة والحريق) و(الأفلاج)[6].
- جاء في "آثار البلاد للقزويني": اليمامة ناحية بين الحجاز واليمن، أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ونخيلاً وشجراً، كانت في قديم الزمان منازل طسم وجديس[7].
- قال الباحث: هكذا جاء وصفها عنده وهي بحمد الله بلاد خير وتوصف بطيب الهواء وعذوبة الماء وحلاوة التمر وجودة

أبن خلدون

(1) ابن حوقل: صورة الارض، ص16

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص1044

(3) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص159

(4) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ج1، ص19

(5) عبد الله بن خميس: المجاز، ص 11، 12، وانظر تاريخ اليمامة للمؤلف نفسه، ج3، ص9، وكتابه معجم اليمامة، ج1، ص16

(6) حمد الجاسر: مدينة الرياض ص13

(7) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص131

الحنطة، وربيعها: الشيح والقيصوم والخزامى، وريح الصَّبَا أطيب نسيم، وهي مع ذلك صحراء قاحلة حارة في الصيف باردة في الشتاء.

ولاية اليمامة:

- جاء في "معجم البلدان": أنَّ نجداً كلها من أعمال اليمامة[1] أي تابعة لوالي اليمامة. وقد تعقَّب الجنيدل هذا القول وقال: الصحيح أنها، أي (نجد)، مقسمة إلى قسمين؛ القسم الغربي تابع للمدينة المنورة، والقسم الشرقي تابع لليمامة، ثمَّ قال: فتبيّن بذلك مدى توغُّل عامل المدينة في نجد[2]. ا.هـ باختصار
- قال الباحث: لا غرابة في ذلك فقد أتى على نجد أزمان طويلة وهي تابعة لوالي المدينة، وربما ضُمّت إلى مكة والطائف بل وإلى العراق والبحرين.
- يقول حمد الجاسر: واذا تتبَّع الباحث الولاة في عهد عمر، رضي الله عنه، يتضح له أنَّ البحرين ما كان تابعاً لليمامة يوماً من الأيام، بل الأمر عكس ذلك.[3] وتقسيم الولايات يختلف باختلاف العصور، فقد يُضَمُّ للوالي الواحد عددٌ من الولايات الكبيرة، ويعيِّن فيها عمالاً يكونون نوّاباً له، فقد كان الحجاج يلي مكة واليمامة واليمن قبل أن يلي العراق. وفي عهد المنصور كانت مكة والمدينة واليمامة واليمن تحت ولاية والٍ واحد.
- يقول ابن خميس: واحتفظت اليمامة بمركزها القيادي بعد انكماش ظِلِّ الخلافة، ويورد نقلاً عن كتاب "جزيرة العرب ومياهها ومعادنها" ما يدلُّ على اتساع رقعة سيطرة والي اليمامة، حيث تُجْبَى له الزكاة من نواحٍ شاسعة.[4]
- وذكر الأصفهاني عن عمل اليمامة قال: جابيها يجبي

حمد الجاسر

بجوف المربد (مربد البصرة)، وجابيها يجبي بـرُكبة، وبينها وبين قَرن ومكة ليلة، وجابيها يجبي برمال اليمن قريباً من صنعاء، وجابيها يجبي بالبحرين، وقال: منبر الأحساء أحساء هجر يُدعى عليه لصاحب اليمامة، ووواليها - أي هجر - من قِبَل عامل اليمامة، وهو من هذا الوجه يجبي بجبلي طيء... إلى أن يقول: وذلك أنَّ جميع قيس جبايتها إلى اليمامة ما خلا بني كلاب فإنَّ جبايتهم إلى المدينة. وأمّا عقيل وقشير ونمير ونهم وباهلة وكل قيس فإلى اليمامة، وأمّا جميع بني سعد وضبة والرباب والحزن (حزن بني يربوع) فإن جبايتهم إلى اليمامة. قال: جابيها يَرد (لينَة).[5]

- قال الهمداني: اليمامة وحجر مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها وإليها تجلب الأشياء.[6]
- وفي "معجم البلدان": حَجْر هي مدينة اليمامة وأم قراها وبها ينزل الوالي، وهي شركة إلا أنَّ الأصل لحنيفة... والعدد فيها لبني عُبيد بن حنيفة.[7]
- ويقول ابن خميس: إنَّ عواصم اليمامة منذ العهود البائدة تتأرجح بين (حَجْر) وبين (الخضرمة) من الخرج، ومدن كبيرة أخرى مثل (عقرباء) و(قران) وغيرهما.[8]

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص304
(2) سعد الجنيدل: معجم عالية نجد ،ج1، ص8 - 9
(3) حمد الجاسر: ابن عربي، ص9
(4) عبدالله بن خميس: المجاز، ص15
(5) الأصفهاني: بلاد العرب، ص235. الجابي هو من يجمع الزكاة، لينة بلد معروف يقع بين حائل ورفحاء
(6) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص274
(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص256
(8) ابن خميس: معجم اليمامة، ج3

تأملات تربوية من إلهام الخيول والفروسية - مواجهة الخوف وتذليل التحديات

بقلم إلهام المسكري*

بينما أتأمل رحلة اكتشاف الذات التي قمتُ بها أخيراً، لا أزال أشْعُرُ بالسعادة بسبب الطريقة التي نَهَجْتُها في نَسْجِ علاقتي بالخيولِ. نَمَتْ هذهِ العلاقة على الأرضِ وعلى السرجِ، حتى أثَّرت في تطويرِ بَعْض جوانِب شخصيتي التي أحْضُنها اليوم. بدأت قصتي بفضولٍ بسيط «لمس وحك الخيل وإعجابي بركوبها». في تلك المراحل الأولى لم أكن أعْرف شيئاً عن عجائبِ عالمِ الخيول التي لم أستكشفها بعد. لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى بدأت في ربطِ تجربتي على السرجِ بممارساتِ حياتي اليومية. رأيتُ نفسي أتعلَّم من الخيلِ فنَّ مواجهة الخوف وطريقة التغلُّب على لحظاتِ عدم اليقين وتذليل التحديات. كان شغفُ التعلُّم والطموح والمثابرة المتزايد في حلبةِ الفروسية ينعكس بوضوح على حياتي الشخصية والمهنية.

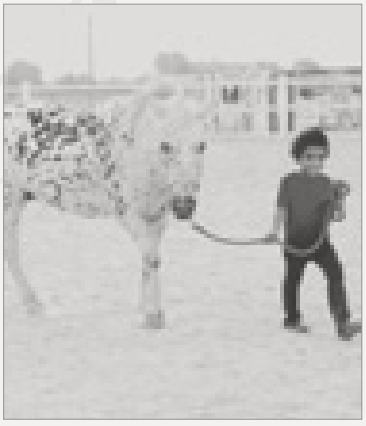

فلسفة التعلُّم

عندما دَخَلْتُ تجربة التدريس المنزلي، نقلتني رسالتي إلى العديد من المجالات وصفحات المنتديات التي من خلالها تعرَّفت إلى فلسفة التعلُّم بمساعدة الخيول (EAL). EAL هو نموذج يستخدم لتعزيز النمو الشخصي والجماعي من خلال تمارين التعلُّم التجريبي ذات الهدف الموضوعي على الأنشطة الأرضية بدلاً من «الركوب».

كما الحيوانات الفريسة، الخيول حسّاسة للغاية لبيئتها وتتفاعل مع لغة الجسد والعواطف. وللخيول الذكاء والقدرة على قراءة النوايا الحقيقية للآخر. وبسبب هذه الخاصية المذهلة، فهي تتفاعل معنا من منطلق احتمالات تصرُّفاتنا حسب الرسالة التي نعرضها والطاقة التي نردِّد صداها. وبذلك فهي تقدِّم قراءات وانعكاسات من وحي الملاحظة وليس من وحي الخيال أو نتيجة انفعالات اعتباطية. إنه انعكاس حقيقي على كيفية تعاملنا مع بناء العلاقات وعملية التعلُّم وإدارة التحديات. يحدث تعليم EAL باعتبار الخيول هي التي نتعلم

> **الخيول حسّاسة للغاية لبيئتها وتتفاعل مع لغة الجسد والعواطف**

منها! لقد أثبتت هذه الفلسفة الناشئة فعاليتها وممارستها عالمياً، وأخذت في نمو شعبيتها في العقد الماضي لمساهمتها في العديد من المجالات؛ مثل العلاج والتدريب، وتنمية الشخصية، والقيادة التنظيمية، وأنشطة محو الأمية والتعلُّم لمختلف الفئات العمرية.

بركة الخيل

لقد اهتمَّ العرب والمسلمون منذ القدم بالخيل وتربيتها، حتى إنَّ رسول الله صل الله عليه وسلم حضَّنا على تعليم أبنائنا ركوب الخيل عندما قال: **«علِّموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل»**. وقال أيضاً: **«... وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَواصِيها الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**. هكذا وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم استدامة بركة الخيل وعلاقتها مع الزمن.

تاريخياً، لعبت الخيول العربية دوراً محورياً في الحرب والسلام، وحركة النقل والتنقل، وبناء علاقات الصداقة والتعاون بين البشر. وحتى اليوم، وببركة سماتها الفريدة من جمالها وقدرتها على التحمُّل فهي لا تزال واحدةً من أكثر سلالات الخيول قيمةً في العالم.

مفتاح الألغاز

من شبه الجزيرة العربية، حيث تتجذَّر أصالة الخيول العربية ببيئتها وعمق تراثها، فإنَّ هذه الخيول دُرِّبت في الصحراء على يد البدو العرب الرُّحَّل، وغالباً ما كانت تعيش معهم في الخيام لتوفير المأوى والحماية. هذا الارتباط الوثيق بينها وبين الإنسان هو مفتاح لغز قدرات وشخصية الخيول العربية، كونها أكثر تعلُّماً وطاعةً لأصحابها.

*مؤلفة سلسلة كتاب الخيل

نشأة الصحافة السعودية
إرهاصات تاريخية مهملة

إعداد: قاسم بن خلف الرويس
@QasemAlRuways

*** مدخل تاريخي:**

في دراسته عن الإعلام السعودي، يؤكّد الدكتور عبد الرحمن الشبيلي أنَّ الصحافة لا يمكن أن تبدأ من دون توافر حد أدنى من الثقافة والتعليم للقارئ والمحرر، فإذا علمنا أنَّ الشام عرف المطبعة في عام 1706م، فإنَّ الجزيرة العربية لم تعرفها إلا بعد مرور أكثر من سبعين سنة، حيث كانت صنعاء أول مدينة في الجزيرة العربية تنشأ فيها مطبعة وذلك في عام 1877م، في حين لم تصل المطبعة إلى مكة المكرمة إلا بعد مرور خمس سنوات تقريباً على وصولها إلى صنعاء عندما أنشأت الحكومة التركية فيها مطبعة رسمية في عام 1883م/1300هـ؛ فالظروف العلمية والثقافية والاقتصادية في الجزيرة العربية بشكل عام لم تكن تسمح بحركة طباعية أو صحفية في ظل ندرة من يستطيع القراءة والكتابة، لدرجة أنَّ أوَّلَ صحيفة صدرت في أربع صفحات مناصفة بين اللغتين العربية والتركية، وذلك لضمان وجود عددٍ كافٍ من المحررين والقرّاء، في حين لم يستمر عددٌ من الصحف التالية الصدور لهذا السبب.

في حين لم تظهر الصحافة في البلاد، كما يشير محمد عبد الرحمن الشامخ في كتابه «نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية» إلا بعد إعلان الدستور العثماني عام 1908م/1326هـ، حيث صدرت الجريدة الرسمية «حجاز» في مكة المكرمة، ثمَّ صدرت بعدها صحف أخرى هي «شمس الحقيقة»، «شمس حقيقت»، «الإصلاح الحجازي»، «صفا الحجاز»، «الرقيب» و«المدينة المنورة»، ثمَّ صدرت في عهد الشريف حسين صحيفة «القِبلة» في مكة المكرمة عام 1916م/1334هـ، وظهرت في المدينة المنورة صحيفة «الحجاز»، وفي عام 1920م صدرت صحيفة «الفلاح» ومجلة «مدرسة جرول الزراعية» في مكة المكرمة، وأخيراً صدرت جريدة «بريد الحجاز» في جدة عام 1924م.

وبينما يتفق الباحثون على أنَّ النشأة الحقيقية للصحافة في الدولة السعودية بدأت في أواخر سنة 1924م حين أُنشِئَت

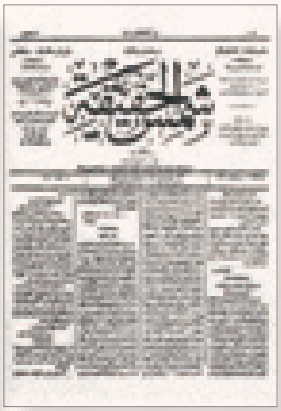

صحيفة أم القرى؛ لأنَّ صدورها كما يشير الشامخ آذن ببدء عهد صحفي جديد اتسم بالاستمرار والاستقرار، وقام فيه أبناء البلاد بالدور الأكبر في ميدان العمل الصحفي. وقد صدرت إلى جانب هذه الصحيفة صحيفتان أخريان هما صوت الحجاز والمدينة المنورة، وثلاث مجلات هي الإصلاح والمنهل والنداء الإسلامي، فإنَّ الباحثين لم يتحدّثوا عن الإرهاصات السابقة لصدور صحيفة «أم القرى» التي كان لها دورٌ كبيرٌ في تبنّي الملك عبدالعزيز فكرة إصدار الجريدة بأسرع وقت ممكن، حيث صدر العدد الأول بعد دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة بأسبوع واحد فقط. وعلى الرغم من المعلومات المقتضبة فإنها تدلُّ على أنَّ اهتمام الملك عبدالعزيز بالإعلام، وتطلعه إلى صدور صحيفة تتحدّث باسمه وتنقل صوت دولته إلى العالم، وتصوّر منهجها وسياستها، وتعبّر عن آرائها وأفكارها في القضايا والأحداث، كان سابقاً لصدور صحيفة أم القرى بسنوات، بل هو سابق لتفكيره في السيطرة على الحجاز وضمّها تحت لواء دولته.

ظروف الجزيرة العربية لم تكن تسمح بحركة طباعية أو صحفية في ظل ندرة من يستطيع القراءة والكتابة

* علاقة سلطان نجد وأهلها بالصحافة

من اللافت لنظر الباحثين في شؤون الصحافة في بلادنا، وجود بعض النجديين المهاجرين الذين اشتغلوا بالصحافة في وقت مبكّر قبل توحيد المملكة بسنوات طويلة من أمثال عبدالله المغيرة الذي حصل على امتياز جريدة عربية في إسطنبول باسم (المنبه) أثناء إقامته فيها (1297-1309هـ)، وتمَّ إيقافها قبل صدور العدد الأول، ولكن أحمد باشا الزهير نجح بعد ذلك في إصدار جريدة أسبوعية في إسطنبول عام 1326هـ/1908م اسمها (الدستور)، كما أنَّ عبداللطيف الثنيان أصدر جريدة (الرقيب) في العراق خلال العهد العثماني، وعبدالله الزهير الذي أصدر جريدة (الدستور) العراقية في البصرة عام 1330هـ/1912م، وكذلك سليمان الدخيل الذي أصدر جريدة (الرياض) في بغداد عام 1910م، ويظهر أنها أول جريدة تصدر بهذا الاسم، ثمَّ أصدر مجلة (الحياة) عام 1912م، كما أصدر

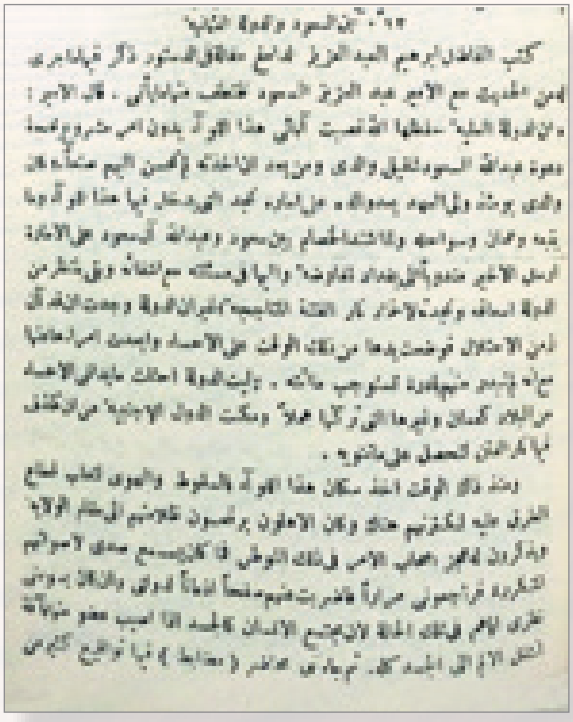

المقابلة التي أجراها الدامغ مع الملك عبدالعزيز 1331هـ / 1913م كما نشرتها مجلة لغة العرب

أيضاً (جزيرة العرب) في مرحلة لاحقة. وكان الدخيل من أبرز الصحفيين الذين أولوا نجد والجزيرة العربية أهمية خاصة في كتاباتهم، ولم تقتصر كتاباته على الصحف التي يصدرها بل امتدت إلى غيرها، حيث يشير في مقالة نشرها عن نجد في مجلة لغة العرب في رجب عام 1329هـ/ يوليو 1911م إلى اهتمام أهل نجد بالجرائد والمجلات، حيث يقول: «وأهل هذه الإمارة يطالعون بلاعج الهوى الجرائد والمجلات، وتأتيهم من كل حدب وصوب...». ويعدُّ ما نشره عن نجد في جريدة الرياض التي أصدرها خلال الفترة (1327-1332هـ/1910-1914م) وغيرها من صحف العراق من أوائل المعلومات التي نشرت في الصحافة عن نجد عموماً أو عن الملك عبدالعزيز خصوصاً بحكم صلته به؛ إذ كان الملك متزوجاً من أخته لؤلؤة صالح الدخيل (ت1324هـ)، وكان قد التقاه وتحدَّث معه في بعض الجوانب السياسية ونشر ذلك في الصحافة. وبغض النظر عن دقة كلام الدخيل حول انتشار الصحف والمجلات في نجد، إلا أنَّ الملك عبدالعزيز كان مستشعراً لأهمية الإعلام عموماً والصحافة خصوصاً منذ وقت مبكّر، ولذا كان على اتصال بالجرائد العربية والأجنبية، واطلاع على ما ينشر فيها من معلومات وأخبار، ولا شكَّ أنَّ الجرائد كانت تصل إليه باستمرار عن طريق وكلائه في البحرين والكويت والعراق والهند، وكذلك الشام ومصر في مرحلة لاحقة، بل لم يقتصر اهتمامه بالصحافة على الاطلاع ومتابعة ما يُنْشَر فيها، بل امتد إلى التعاون معها أيضاً. ومن الراجح أنَّ أول مقابلة صحفية أُجريت معه كانت تلك المقابلة التي نشرتها جريدة الدستور العراقية في شهر ذي القعدة عام 1331هـ/أكتوبر 1913م، وأجراها المحرر بالجريدة، إبراهيم عبدالعزيز الدامغ، ونشرتها مجلة لغة العرب (3: 273).

وما يجدر التنبيه عليه أنَّ أخبار الملك عبدالعزيز منذ استعادته الرياض عام 1319هـ/1902م لم تكن غائبة عن الصحافة العالمية؛ فقد نشرت صحيفة ستاندرد standard

من اللافت لنظر الباحثين في شؤون الصحافة وجود بعض النجديين المهاجرين الذين اشتغلوا بالصحافة في وقت مبكر

البريطانية على سبيل المثال في عددها الصادر في 3 مارس 1902م خبراً تحت عنوان «قتال في شبه الجزيرة العربية» تضمَّن معلومات عن استيلاء الملك عبدالعزيز على الرياض.

ومن الشواهد التي تدلُّ على اهتمام الملك عبدالعزيز ومتابعته لما تنشره الصحف، هو وصول الجرائد إليه كلَّ أسبوع؛ إذ يورد الريحاني قول السيد هاشم الرفاعي عندما التقاه في البصرة سنة 1341هـ/1922م: «عظمة السلطان يعرفكم ممّا يطالعه عنكم في الجرائد التي تصله كلَّ أسبوع». ونلاحظ على سبيل المثال إرفاق الملك عبدالعزيز نسخة من جريدة (الفلاح) التي كانت تصدر في مكة المكرمة مع رسالة إلى القنصل البريطاني في البحرين بتاريخ 30 محرم عام 1339هـ، للاطلاع على ما نُشِرَ فيها.

كما أنَّ الريحاني أشار إلى معلومات تؤكِّد اطلاع الملك عبدالعزيز على جريدة (القبلة)، ومتابعة ما يُنْشَر على صفحاتها بخصوصه، واحتفاظه ببعض أعدادها التي تحتوي ذلك. وأمّا فيما يتعلّق بالصحف الأجنبية فتشير المصادر إلى أنَّ زوجة «ديكسون» الوكيل البريطاني في البحرين كانت تقوم بترجمة مقالات صحفية من مجلة فرنسية وتزوِّد الملك عبدالعزيز بها في عام 1342هـ/1922م.

وهكذا نجد أنَّ علاقة الملك عبدالعزيز مع الصحافة في البدايات كانت علاقة تقتصر على الاطلاع والمتابعة بشكل رئيس، وإنْ حدثت لقاءات له مع عدد محدود من الصحفيين وخاصة النجديين الذين عملوا في الصحافة خارج نجد كالدخيل والدامغ، ولكن دون استثمار إعلامي لدور الصحافة أو توظيف

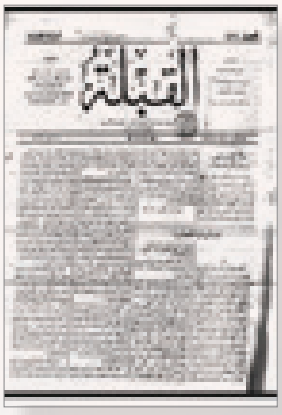

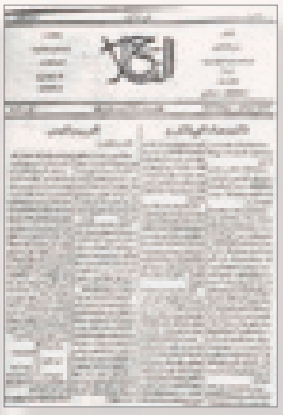

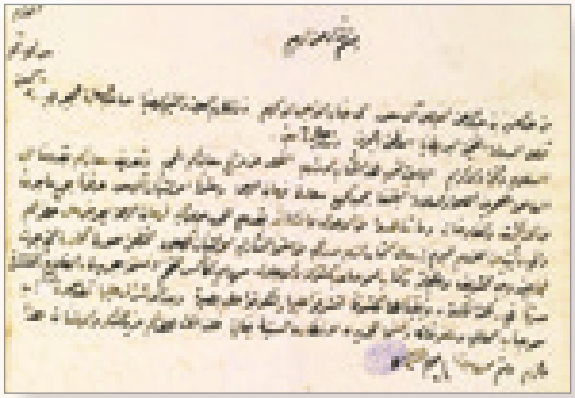

رسالة من الملك عبدالعزيز إلى القنصل البريطاني في البحرين تتضمن نسخة من جريدة الفلاح الصادرة في مكة

سياسي لانتشارها وتأثيرها. ولعلَّ منشور الملك عبدالعزيز الذي وجَّهه لأهل الشام بعد إعلان حكومة دمشق طلب التطوُّع لإنشاء جيش للحجاز، والذي نشرت نصَّه مجلةُ المنار في الجزء الخامس من المجلد الحادي والعشرين لعام 1919م/1337هـ، هو أول منشور إعلامي رسمي للدولة السعودية الحديثة تمَّ توجيهه للخارج من خلال وسائل الإعلام العربية، حيث أكَّد استقلال بلاده التي لا ينازعه فيها منازع، وفنَّد بعض ما يُلفَّق ضده وضد أهل نجد من مقولات باطلة، وبيَّن موقف الشريف حسين منهم وموقفهم منه.

* حكومة نجد تنشر أول بلاغ عام في أشهر الصحف:

يشير محمد رشيد رضا في مجلة المنار إلى دخول المسألة العربية في طور جديد في عام 1342هـ/1925م؛ بسبب خروج حكومة نجد من عزلتها وتعرُّفها إلى العالم الإسلامي والشعوب العربية، ومد يدها القوية إلى مساعدة البلاد العربية على الاستقلال المطلق الذي عبثت به خيانة أمراء الحجاز، والإلقاء بدلوها بين دلاء الشعوب الإسلامية في مسألة الخلافة، حيث صدر أول بلاغ عام من عاصمة بإمضاء نجل سلطانها، أُرْسِل إلى أشهر الصحف في العالم الإسلامي في 20 رجب سنة 1342هـ الموافق 25 فبراير 1924م، ثمَّ إنَّ مجلة المنار أوردت نصَّ هذا البلاغ الذي كان بتوقيع الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وباعثه مقال نُشِرَ في جريدة المقطم المصرية

بتاريخ 6/21/ 1342هـ - 27/ 1/ 1924م بعنوان «حديث ملك الحجاز»، وما اطلع عليه في بعض الجرائد السورية والعراقية من تصريحات تكاد تتفق مع هذا الحديث، وقد تضمَّنت أشياء عن سلطان نجد وموقفه من القضية العربية والاتحاد العربي تخالف الحقيقة والتاريخ، وأشار إلى كتب أرسلها سلطان نجد إلى الحسين وأولاده أثناء الحرب العالمية وبعدها، لبناء الوحدة العربية. تلك الكتب المرسلة مع مساعد بن سويلم، والتي نُشِرَت في الصحف حينذاك؛ ومنها المقطم، كما يشير في ثنايا الكلام إلى أنَّ تحت يده من الكتب والرسائل التي وجدت في تربة والخرمة وعسير ما يدين ملك الحجاز وولده عبدالله، ولكنه يمسك عن نشرها الآن، فإن سمح ملك الحجاز بنشرها نشرناها حتى يعلم العالم الإسلامي الجنايات والدسائس التي يقوم بها أولئك القوم الذين يقلبون الحقائق.

ويبدو أنَّ هذا البلاغ الذي تناقلته الصحف العربية وغير العربية في أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي شكَّل منعطفاً تاريخياً مهماً في انفتاح حكومة نجد على الصحافة، والالتفات إلى الاستفادة منها في التعريف بنفسها وبثِّ أفكارها، والدفاع عن سياستها خارج حدودها.

حيث نَجِدُ الحكومة السعودية بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر تنشر بلاغاً آخر من عاصمة نجد بتوقيع الأمير فيصل بن عبدالعزيز أيضاً مؤرخاً في 28 شوال عام 1342هـ/ الموافق 1 يونيو 1924م، وموجهاً إلى العالم الإسلامي والشعب العربي حول الحرص على استقلال العرب وخذلان البعض للعرب، حتى تحوَّلت أراضيهم تحت الوصاية والانتداب، وإنَّ نجد ترحِّبُ بكل عربي لمحافظتها على استقلالها، ثمَّ تحدَّث عن مسألة الخلافة التي يجب عرضها على مؤتمر يمثِّل الشعوب الإسلامية تمثيلاً صحيحاً يسند هذه الوظيفة السامية إلى من يستطيع أن يصون حقوق المسلمين.

ثمَّ بعد ذلك بنحو شهرين يرسل خبراً من الرياض للنشر في جريدة الأخبار (نُشِرَ في 6 محرم عام 1343هـ/ الموافق 3 أغسطس 1924م)، وفي مجلة المنار وربما في غيرهما من الصحف حول مؤتمر الشورى الذي عُقِد في الرياض في أول شهر ذي القعدة عام 1342هـ، والذي طالب فيه أهل نجد بالغزو على الحجاز؛ ليتمكنوا من الحج الذي حُرِموا منه بسبب تعنُّت الحسين والذي تقرّر فيه ترك الغزو حتى تنتهي الأشهر الحرم، ثمَّ يتقرَّر بعدها ما فيه مصلحة. ولا شك أنَّ نشرَ هذا الخبر كان

الملك عبدالعزيز مع أمين الريحاني في العقير 1922

تمهيداً سياسياً مهماً لإطْلاع العالم على حقيقة الخلاف بين السعوديين والأشراف ووصوله إلى درجة إعلان الحرب.

وفي حين عبَّر أمين الريحاني في رسالة جوابية إلى الملك عبدالعزيز، يُرَجَّحُ أنها في عام 1342هـ/1923م، عن إعجابه بما ينشره الأمير فيصل من حين إلى حين في الجرائد، وخاصة ما جاء بخصوص مؤتمر الخلافة الذي سيُعْقَد في مصر، فإنَّ مجلة المنار أكَّدت ما للبلاغيْن ولخبر مؤتمر الشورى من تأثير كبير في الشعوب العربية والإسلامية، وقد سرَّ به أهلُ الرأي والبصيرة منهم، ولم يقتصر أثره على العرب خاصة، بل ظهر أثره جلياً في إيران والهند أيضاً، فعلقت جريدة اتحاد الإسلامية الإيرانية، وكتبت جمعية الخلافة في الهند إلى سلطان نجد متضامنة، ومقترحة أيضاً أن يجلب للرياض معامل أسلحة من الغرب، وإرسال بعثات علمية من الطلبة النجديين إلى

الغرب، ليتعلموا كيفية صنع المخترعات الحديثة والآلات الحربية والمواد الكيميائية. ولعلَّ هذه الانطباعات الإيجابية عن أثر ما نشرته حكومة الملك عبدالعزيز بشكل رسمي ممَّن يثق بهم ويتوقَّع منهم الصدق والإخلاص قد ولَّد ردة فعل إيجابية لدى الملك عبدالعزيز نحو الدور المهم الذي تلعبه الصحافة في المجال السياسي، وأوحت إليه بضرورة التعجيل بإنشاء جريدة تنقل صوته إلى خارج حدود نجد.

وقد انتهت هذه المرحلة التاريخية، ما قبل ضم الحجاز، والملك عبدالعزيز لم يصطنع جريدة، ولم يبذل للمادحين ولا للناقدين درهماً ولا ديناراً، كما لم يهتم بأقوال الصحف المرجفة التي يهتم بأمرها ساسة الدول الكبرى ويبذلون في سبيلها الملايين، في حين سخّر له الله أقلام كثير من رجال العرب الذين كانوا يعملون لمصلحة العرب، فأغناه الله بهم عن استئجار الأقلام المنافقة التي كان يستأجرها غيره، وكان ذلك ممّا أثنت عليه به مجلة المنار وحمدته له؛ لأنه زعيم صادق القول والفعل لا يهتم بالمظاهر ولا يجنح للعظمة والكبرياء ولا للتمتُّع بالألقاب الفخمة، ولا لتوزيع الألقاب والأوسمة، ولا لبث الدعاية لنفسه، لا باسم الوحدة العربية ولا بعنوان الجامعة الإسلامية. وعلى الرغم من صحة كلام محمد رشيد رضا المنشور في مجلة المنار من أنَّ الملك لم يصطنع جريدة خلال تلك المرحلة؛ فإنَّ بوادر فكرة إصدار الجريدة التي كان رشيد رضا من المهتمين بها قد ظهرت في بعض الوثائق والمصادر.

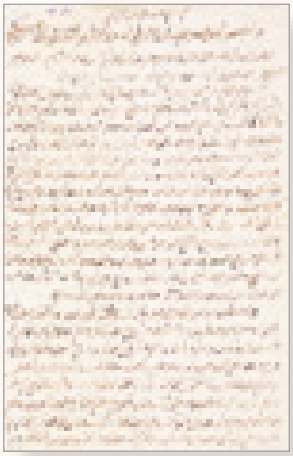

رسالة من محمد رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز عام 1338هـ

محمد رشيد رضا

* بوادر فكرة إصدار الجريدة واسمها ومكانها:

تورد وثيقة بريطانية يعود تاريخها إلى 31 مايو عام 1922م/ الموافق 4 شوال 1340هـ وهي عبارة عن تقرير مرسل من القنصل البريطاني في جدة «وليم إدوارد مارشال» إلى وزير الخارجية البريطاني «إيرل بلفور» عن الفترة من 11 و31 مايو عام 1922م إشاراتٍ إلى اتصال بين السلطان عبدالعزيز آل سعود والشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المصرية، وعن توقُّع إرسال مدرسين مصريين إلى الأحساء، وصدور صحيفة (الرياض) فيها.

ففي هذه الوثيقة البريطانية ترد أول إشارة وقعنا عليها، وربما هناك إشارات قبلها، فيما يتعلق بوجود تفكير عند الملك عبدالعزيز بإصدار صحيفة اسمها (الرياض) تصدر في الأحساء. فيما نجد في الوثائق البريطانية إشاراتٍ إلى وجود علاقة ومراسلات بين الملك عبدالعزيز والشيخ محمد رشيد رضا تمتد إلى عام 1914م/1332هـ، كما وجدناه في المذكرة التي كتبها يوسف أحمد كانو من البحرين بتاريخ 17 أكتوبر عام 1914م/ الموافق 27 ذي القعدة 1332هـ.

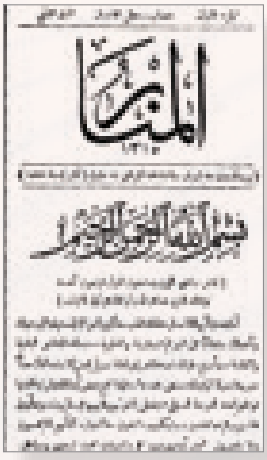

مجلة المنار

وفي إحدى الوثائق نلاحظ إشارة إلى رسالة من الملك عبدالعزيز إلى محمد رشيد رضا مؤرخة في 20 شوال عام 1332هـ/ الموافق 11 سبتمبر 1914م تتضمَّن معلوماتٍ عن تسلُّم الملك عبدالعزيز رسالتين من رشيد رضا مؤرختين في 8 و15 رجب عام 1332هـ، ويشكره فيهما على نصائحه ويدعوه إلى الحذر من المكائد السياسية الغربية، ويؤكد تبنيه لأي إجراء للوقاية من التدخل الأجنبي وحماية الجزء الخاضع له من جزيرة العرب، ويطلب من رشيد رضا معلوماتٍ عن بعض الأشخاص والجمعية التي يمثلونها، وعن القوات اللازمة لتنفيذ الخطة، كما يؤكّد اتفاقه مع الإدريسي وإمام اليمن وعلاقته

القائمة مع شريف مكة التي لا تستدعي تدخُّلاً لحلها. وفي رسالة من محمد رشيد رضا إلى الملك عبدالعزيز بتاريخ 3 رمضان 1338هـ نجد تأكيداً على هذه المراسلات التي أشارت إليها الوثائق البريطانية، حيث يومِئ إلى ما كتبه إلى الملك منذ «بضع سنين» بشأن اتحاد أمراء جزيرة العرب والرغبة في استئناف العمل على هذا الاتحاد.

ونجد في رسائل الكاتب والمؤرخ اللبناني/الأمريكي أمين الريحاني إلى الملك عبدالعزيز بعض الإشارات المفيدة في هذا الموضوع؛ ففي رسالة له بتاريخ 28 شوال عام 1341هـ/ الموافق 12 يونيو 1923م نجد اقتراحاً ضمن عشرة مقترحات قدّمها إلى الملك عبدالعزيز، لتحقيق المدنية والعمران للدولة السعودية الناشئة بإنشاء جريدة ولو أسبوعية في الرياض أو القصيم أو الأحساء.

وفي رسالة أخرى بتاريخ 27 رجب عام 1342هـ/ الموافق 2 مارس 1924م يشير إلى تلك المقترحات التي قدَّمها للملك عبدالعزيز والتي سمّاها «اللائحة الإصلاحية» مؤكداً أنه قد يكون فيها ما لا يستطيع مباشرة القيام به وما لا يكون قد جاء وقته، وأنه بذلك أعلم، ملمحاً إلى أثر ما تناقلته الجرائد من خبر وفاته الكاذب، ويؤكّد أهمية إرسال بعض أبناء البلاد النابهين للتعلُّم في الجامعة الأمريكية في بيروت، ليعودوا لخدمة البلاد وسلطانها بما تعلّموه من العلوم النافعة، ويرى أنَّ في ابتعاثهم- مع المكاسب العلمية والوطنية- إعلاناً عن الطموحات والإصلاحات التي يسعى إليها، والبناء والعمران الذي ينشده، ما يؤدي إلى كسب ثقة الناس البعيدين وخاصة أصحاب الجرائد.

وفي رسالة بتاريخ 26 محرم عام 1343هـ/ الموافق 26 أغسطس 1924م يشير إلى أنَّ الأخبار عن الإخوان وأهل نجد لا تصل إليهم إلا عن طريق الأعداء، ولذا فهي مصبوغة بالتحامل، وقد تكون ناقصة أو مبالغ فيها، ويحبِّذ أن يصاحب الحملات العسكرية مَن يكتب أخبارها بكلِّ دقة وصدق وتوثيق، وتُرسَل إلى بعض الجرائد في الشام أو إلى ممثّل الملك فيوزّعها على الجرائد، كما يعبِّر عن سروره بنتائج المؤتمر العام الذي عُقِد بحضور الإمام عبدالرحمن، وحبَّذ مراسلة الجرائد بهذه الأخبار؛ لأنَّ في البلاد كثيرين يتوقون إلى أخبار نجد وسلطانها وأهلها، وأنه لا تقوم دعوة في هذه الأيام بغير وسائل النشر والتشويق، وأنه قائم فيما يستطيع منها دائماً.

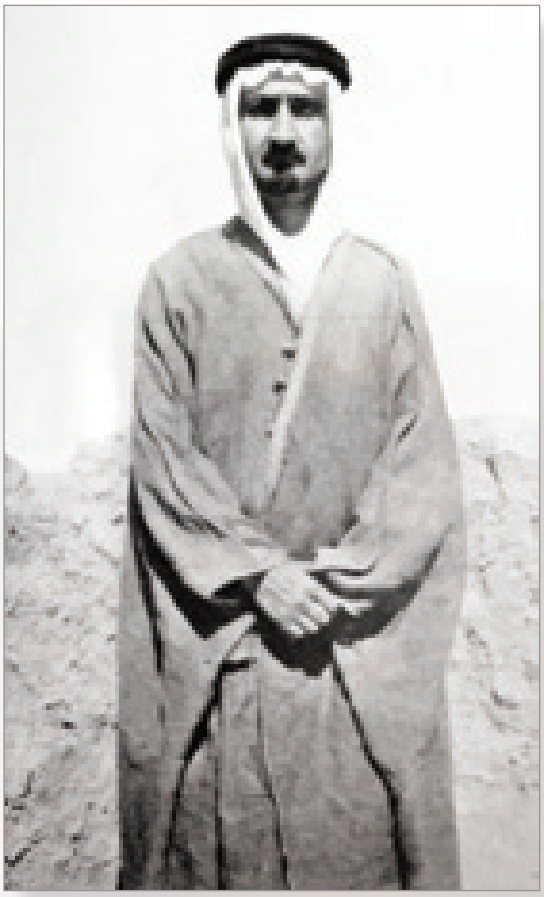

يوسف ياسين رئيس تحرير أول صحيفة سعودية

* رئيس تحرير الجريدة يصل إلى الرياض:

الحقيقة أنه لم ينتصف عام 1342هـ/ الموافق لأوائل العام 1923م إلا وقد تبلورت فكرة إصدار الجريدة في ذهن الملك عبدالعزيز، وعزم على إصدار جريدة تطبع على الجيلاتين في عاصمة بلاده باسم (الرياض)، حيث تشير بعض المصادر إلى أنَّ الملك عبدالعزيز قد طلب من «خالد الحكيم» عندما قدم إليه في الأحساء برفقة وكيله في الشام الشيخ «فوزان السابق» أن يبعث له شخصاً مُلِمّاً بالسياسة؛ لكي يتولى مهمة إصدار جريدة في الرياض، فذكر له اسم «يوسف ياسين» فرحَّب به الملك وهو لا يعرفه، فلما عاد الحكيم إلى سوريا أخبر «يوسف ياسين» الذي كان يتطلَّع إلى الالتحاق بخدمة هذا الملك العربي الذي كان محطَّ آمال رجالات العرب آنذاك، فما كان منه إلا أن شدَّ الرحال إلى الرياض في مطلع العام 1343هـ/1924م للقيام بذلك العمل المنشود، ولكن ما إنْ وصل إلى الرياض إلا وقوات الملك عبدالعزيز قد استولت على الطائف، ثمَّ لم تلبث حتى دخلت مكة المكرمة.

استعان الملك عبد العزيز بالصحافي المخضرم يوسف ياسين عام 1924 لإصدار صحيفة «أم القرى»

* صدور الجريدة من مكة المكرمة:

انطلق الملك عبدالعزيز في رحلته التاريخية من نجد إلى الحجاز أو من الرياض إلى مكة المكرمة على ظهور الإبل في يوم الأحد الثاني عشر من ربيع الآخر عام 1343هـ، وفي ركابه رئيس تحرير جريدته التي عزم على إصدارها في الرياض، وقد وصل إلى مكة المكرمة في السابع من جمادى الأولى عام 1343هـ، ولم تمضِ أيامٌ قليلة، وتحديداً في الخامس عشر من جمادى الأولى عام 1343هـ، إلا ورئيس التحرير يحقّق رغبة الملك بإصدار الجريدة التي كان يريد إصدارها في الرياض من مكة المكرمة تحت اسم «أم القرى». وهذا التغير في اسم الجريدة ومكانها كان نتيجة طبيعية لتغيُّر الظروف السياسية واختلاف موازين القوى في الجزيرة العربية، وكان من الوعي التاريخي والإعلامي قيام «يوسف ياسين» بنشر توثيقه لتلك الرحلة على حلقات ابتداءً من العدد الأول من الجريدة، لتصبح شاهداً على عمله الصحفي الميداني الأول، ولا يستبعد أنه حرص على توثيق أحداث الرحلة أثناء الطريق؛ بهدف تحويلها إلى مادة صحفية تُنْشَر في الجريدة، وقد حضر من سوريا خصيصاً بناء على طلب الملك لغرض إصدارها.

العدد الأول من جريدة أم القرى الصادر في 15 جمادى الأولى 1343هـ

* العوامل المساعدة على سرعة الإنجاز:

وهكذا نرى أنَّ الملك عبدالعزيز قد دخل مكة المكرمة وبرفقته رئيس تحرير جريدته الرسمية الذي استقطبه من الشام خصيصاً لأجل ذلك، فلا غرابة أن تصدر «أم القرى» بعد دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة بأسبوع واحد فقط؛ فصدورها السريع لم يكن فجائياً أو وليد الصدفة المحضة، بل كان مرتبطاً بإرهاصات تاريخية متطلعة، وعوامل سياسية مرتبة، إضافة إلى عدة أمور ساعدت على تعجيل صدورها وهي:

- أولاً: خبرة «يوسف ياسين» الصحفية؛ فقد مارس الصحافة، وتولى رئاسة تحرير جريدة الصباح، وشارك في التحرير والكتابة لعدد من الصحف العربية، فما كان يصعب عليه إعداد وتحرير المواد الصحفية.
- ثانياً: إنَّ «يوسف ياسين» قد قدم من الشام أصلاً للعمل على إصدار جريدة لحكومة سلطان نجد وملحقاتها، فكانت فرصة لإثبات وجوده وكفاءته والبرهنة على قدراته.
- ثالثاً: إنَّ معرفة «يوسف ياسين» بإمكانات جريدة «القبلة» ومطبعتها، والتي سبق أن شارك فيها بنشر بعض المقالات أيام لجوئه إلى الحجاز واستقراره في مكة المكرمة بعد معركة ميسلون عام 1920م، ساعدته على المبادرة وسرعة الإنجاز بإصدار الجريدة.
- رابعاً: الحاجة الملحة لوجود منبر إعلامي في وقت ما زالت فيه نار الحرب في الحجاز مستعرة، خاصة أنَّ

جريدة «بريد الحجاز» المتحدثة باسم الملك علي بن الحسين قد صدرت في جدة بتاريخ 1343/4/29هـ، وكانت إلى يوم صدور «أم القرى» قد أصدرت خمسة أعداد خلال 15 يوماً تقريباً.

* الملك عبدالعزيز يرسل الجريدة إلى الريحاني:

كنا أشرنا إلى الاقتراح الذي رفعه الريحاني إلى الملك عبدالعزيز بإنشاء جريدة في الرياض أو في القصيم أو في الأحساء في عام 1341هـ/ 1923م، إلا أنَّ الله أراد أن تنشأ هذه الجريدة في مكة المكرمة، فيقوم الملك عبدالعزيز بتاريخ 23 جمادى الأولى عام 1343هـ/ الموافق 20 ديسمبر 1924م بإرسال العدد الأول والثاني من جريدة «أم القرى» إلى الريحاني للاطلاع، وكأنه يقدِّم له البرهان الناصع على تحقيقه لأمنيته بعد مرور عامين تقريباً، لكنه في الحقيقة كان يريد أن يقول له ها نحن أصدرنا جريدة تنشر أخبارنا فلا تعتمد فيما يخصُّنا على غيرها! لأنَّ الريحاني في تلك الأثناء قد قدم إلى الحجاز بهدف السعي للصلح بين الملك عبدالعزيز وعلي بن الحسين المحاصَر في جدة.

الخاتمة:

يتضح من خلال ما عرضناه في ثنايا هذا المسرد إرهاصاتٌ تاريخيَّةٌ مهملةٌ لنشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية، تؤكد أنَّ تفكير الملك عبدالعزيز لإصدار جريدة تكون لسان صدق لدولته الناشئة، وصوتاً مسموعاً لأفكاره وسياسته، وناشراً موثوقاً لأخباره وبلاغاته، كان سابقاً لسيطرته على الحجاز بثلاث سنوات تقريباً؛ إذ ظهرت بوادره التي تمكَّنا من الاطلاع عليها وتوثيقها منذ عام 1340هـ/ 1922م، وتأكَّدت في عام 1341هـ/1923م، وبدأت خطواتها الفعلية باستقطاب رئيس تحرير متخصِّص يصدرها في نجد باسم «الرياض» في عام 1342هـ/1924م، ولكن تطوُّر الظروف السياسية وتحوُّل موازين القوى في الجزيرة العربية لصالح الملك عبدالعزيز خلال وقت قصير، هو ما بين وصول الطلب إلى رئيس التحرير في دمشق وبين وصوله إلى الرياض، جعل تلك الجريدة تصدر في الحجاز باسم «أم القرى» في

الرياض

أسرع وقت، لتصبح الجريدة الرسمية للدولة السعودية منذ 15 جمادى الأولى عام 1343هـ إلى يومنا هذا الذي قاربت فيه الخامسة والتسعين من عمرها.

ولا يفوتنا هنا التنويه بأنه بعد صدور «أم القرى» بنحو 33 سنة، تمَّ التصريح للشيخ حمد الجاسر بإصدار صحيفة في مدينة الرياض باسم «الرياض»، ما زالت مستمرة في الصدور، ومن المفارقات التاريخية أنها تكاد تكون الجريدة الوحيدة التي صدر لها التصريح تحت توقيع خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، حفظه الله، عندما كان أميراً للرياض، وقد تحوَّلت إلى صحيفة يومية في عام 1385هـ.

محطات من حياة أحد أعلام الصحافة العربية والخليجية

فاروق لقمان كما عرفته

بقلم: د. شهاب غانم

في 27 يوليو عام 2019، انتقل إلى جوار ربه الصحفي اليمني المعروف فاروق محمد علي لقمان في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية، التي هاجر إليها من اليمن في أوائل السبعينيات من القرن الماضي. وقد نعاه عشرات الصحفيين في السعودية وخارجها؛ فهو اسم بارز في عالم الصحافة العربية خصوصاً في السعودية واليمن، حيث أسهم في تأسيس الصحافة الإنجليزية في المملكة العربية السعودية بصدور صحيفة «أراب نيوز» التي صار لاحقاً رئيساً لتحريرها، وقبل ذلك كان رئيساً لتحرير صحيفة «إيدن كرونيكل» في عدن، وهي أول صحيفة إنجليزية مستقلة في اليمن التي أطلقها والده رجل النهضة في اليمن، المحامي محمد علي لقمان، رحمه الله، والذي ترأّس تحريرها حتى وفاته عام 1966 في مدينة جدة أثناء رحلته للحج. وكان ابنه فاروق مديراً للتحرير؛ فخلفه في رئاسة تحريرها حتى أغلقها الحكم الشمولي الذي سارع لإغلاق كل الصحف المستقلة في اليمن الجنوبية إثر وصوله للحكم في 30 نوفمبر عام 1967.

كان خالي فاروق، المولود في عدن عام 1935، يسبقني في المدرسة بنحو خمسة أعوام؛ فعندما أتممت الدراسة الابتدائية في مدرسة السيلة الحكومية، والتحقت بالصف الأول في مدرسة «الرزميت» الحكومية في مدينة «كريتر» بعدن عام 1951، كان فاروق في الصف الخامس أو السادس، وهو من طلبة الصف الذي يسبقه عبدالله عبد المجيد الأصنج الذي صار نقابياً شهيراً على مستوى العالم، ثمَّ وزيراً لخارجية اليمن، وأيضاً محمد سالم باسندوة الذي صار رئيساً للوزراء في حكومة اليمن بعد الإطاحة بالرئيس علي عبد الله صالح. ولكن في عام 1952 أُنشِئَت كلية عدن في مدينة الشيخ عثمان؛ فالتحق فاروق بصفِّها الرابع، بينما انتقلت أنا إلى الصف الثاني في «الرزميت» التي تحوَّلت إلى مدرسة متوسطة، وتُعْرَف حالياً في عدن بمدرسة الشاعر لطفي جعفر أمان.

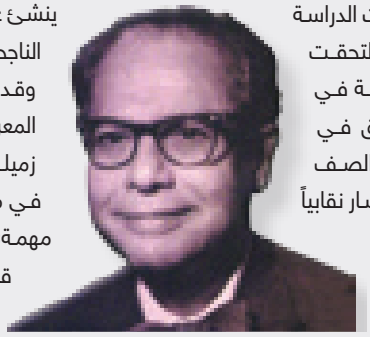

المحامي محمد علي لقمان
والد الشاعر علي لقمان

في هذا المقال، سأتحدَّث بشكل خاص عن مذكرات فاروق لقمان التي أنهى كتابة مسودتها قبيل إصابته بجلطة ألزمته الفراش في الفترة الأخيرة من حياته، وجعلته غير قادر على التواصل مع أحد. ومذكرات فاروق تكاد تقتصر على حياته في الصحافة، وهو المجال الذي استأثر بجُلِّ جهده في الحياة منذ تخرُّجه.

الأب والابن

من الصعب على المرء أن يتحدَّث عن مذكرات تخصُّ فاروقاً دون أن يتطرَّق إلى الحديث عن مذكرات والده رجل النهضة الشهير، المحامي الصحفي الأديب محمد علي إبراهيم لقمان (1898- 1966)، مؤسِّس الصحافة العربية والإنجليزية المستقلة في عدن، بل ربما كل اليمن. وقد عرفت الجدَّ لقمان عن كثب وكان صاحب شخصية قيادية كاريزمية جمعت بين «دايناميه» نادرة وثقافة موسوعية وروح تتحلّى بحسِّ الفكاهة والمرح، كما كان مسكوناً بحب التعليم والتطوير، وكان أديباً كتب أوَّل رواية لأديب من اليمن. ولذلك كان تأثيره كبيراً في أولاده وأسرته ومن كانوا حوله، واستطاع أن ينشئ عدداً من النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية الناجحة؛ مثل نوادي الإصلاح، ومخيَّم أبي الطيب. وقد ورث فاروق عن أبيه الكثير من «الدايناميه» وحب المعرفة والعمل وروح الفكاهة، كما أشار إلى ذلك زميله الصحفي المصري علاء عبد الحميد عبدالغني في مذكرات فاروق في الفصل المعنون «رجل في مهمة» قائلاً: «عندما يمشي فإنَّ خطواته غير عادية.. قوية وذات عزم وكأنه رجل في مهمة، يأكل بسرعة، يتحدَّث أيضاً بسرعة وكأنه متأخرٌ عن عمل لا بدَّ أن يؤديه.. لا بدَّ أنه في عرب نيوز. يصدر تعليماته بصوت قوي باللغتين العربية

أنهى فاروق لقمان كتابة مذكراته قبيل إصابته بجلطة في الفترة الأخيرة من حياته

والإنجليزية اللتين يجيدهما تماماً». كما قال عنه: «هو مرح.. صاحب نكتة، وإذا ضحك زلزل المكتب واهتزت الأوراق ودورق الشاي المخلوط بالزنجبيل..»

شؤون وذكريات

وقد كان والد فاروق، جدي محمد علي لقمان، أوَّل من كتب سيرته الذاتية في اليمن المعاصر. وكان ذلك من خلال مقالات مسلسلة باللغة الإنجليزية في صحيفته «الإيدن كرونيكل» بين نوفمبر 1960 و1963، ثمَّ نشرها بالعربية في صحيفته «فتاة الجزيرة» بين 1963 و1965. وقد جُمِعَت ونُشِرَت في مجلد باللغتين عام 2009، أي بعد وفاته بنحو 43 سنة، بإيعاز وتمويل من ابنه المهندس ماهر محمد علي لقمان، شقيق فاروق الأصغر، تحت عنوان «رجال وشؤون وذكريات»، إلا أنَّ بعض الحلقات كانت مفقودة في هذا الكتاب. وفي تلك المذكرات تناول لقمان الأب جوانب من سيرته منذ الطفولة، وتحدَّث فيها عن والده وزوجاته ودراسته وكثير من الشخصيات العامة من مختلف الجنسيات التي احتكَّ بها، والموضوعات السياسية والاجتماعية الكثيرة التي كان تؤرقه ويتفاعل معها.

أمّا فاروق، فأذكر أنني كنت قد حثثته، منذ العقد الماضي، أكثر من مرة على كتابة ونشر مذكراته، ولم يكن يرفض لكنه لم يكن يبدي حماسة. أخبرته بأنني حثثت والدي الشاعر د. محمد عبده غانم (1912-1994) في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي على كتابة مذكراته فرفض بشدة، وقال لي أنت كشاعر تدرك أنَّ ديوان الشاعر هو مذكراته، فقلت لوالدي حينذاك: «هذا صحيح إلى حد كبير، ولكن أنت أوَّل خريج جامعي من جامعة حديثة في الجزيرة العربية، وأوَّل عربي من عدن يصبح مديراً للمعارف فيها، وكنت مؤسِّساً لندوة الموسيقى العدنية التي أطلقت أوَّل أغنيات بالطابع العدني، وكانت الأغنيات الأربع الأولى من كلماتك، وكنت أوَّل بروفيسور في تاريخ اليمن، وهناك أمور أخرى كثيرة لا يمكن لديوان الشاعر أن يسجلها، بل ينبغي أن تكتب في سيرة ذاتية، ولو كان لديَّ الوقت لجلست معك أياماً نسجِّل مذكراتك»، ولكني حينذاك كنت غارقاً في إعداد أطروحة الدكتوراة؛ ففاتت الفرصة. وعندما كتبت فيما بعد كتاب «صورة مدينتين في شعر محمد عبده غانم» لم أستطع أن أتناول سوى شعره وبعض حياته، ومعظمه ممّا عاصرته. ولحسن الحظ كتب فاروق المسودة الأولى من مذكراته وبعث لي بها قبل سنتين؛ فقرأت جزءاً منها وكتبت له تعليقاتي، ثمَّ لم

الشاعر فاروق لقمان

أسمع منه. وتحدَّثت مع ابنته «يمن» بضرورة إتمام المشروع وكانت هي شديدة الحماسة لذلك، وبالفعل أتمَّ فاروق مسودة المذكرات قبل أن يصاب بعد ذلك بفترة قصيرة بالجلطة. وفي تلك الأثناء عملت «يمن» بجهد كبير على تصحيح الكتاب وإعداده للطبع، وكنت أحد الذين استعانت بهم على ذلك.

حياة حافلة

ويلاحظ المرء أنَّ هذه المذكرات تختلف كثيراً عن مذكرات والده التي تحدَّثت عن جوانبَ وأحداثٍ شتّى في حياته الحافلة بالنشاط. أمّا هذه المذكرات فلا تتناول شيئاً من طفولة فاروق أو حياته في المدارس التي تعلّم فيها، بل عن حياته في الصحافة. فهو لم يتحدَّث عن أعمامه وإخوانه، وكثيرٌ منهم كانوا أعلاماً، سوى ما ذكره عن بعضهم ممّا يتعلّق بعالم الصحافة والكتابة، وخصوصاً عمَّه المؤرخ حمزة علي لقمان، وأخاه الأكبر الشاعر البارز الصحفي والسياسي علي لقمان، أوَّل يمني يتخرَّج في الصحافة من مصر، من تحت أساتذة أمثال علي ومصطفى أمين، وأيضاً أحد إخوته الكبار الأستاذ حامد، رحمهم الله جميعاً. كما جاء في حديثه عن تدرُّبه في مجال الصحافة قائلاً في الفصل المعنون «الحلم الكبير»: «عملت مع والدي لأتعلَّمَ فنَّ الصحافة بالإنجليزية في بلاد عربية. لقد كان والدي وأخواي علي وحامد من أوائل الخريجين العدنيين من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، أفضل من علموني بين عامي 1954 و1961».

والفرق بين مذكرات الأب ومذكرات الابن يدلُّ أيضاً على الاختلاف بين الجيلين؛ فجيل الأب كان جيلاً مؤسّساً، وزمنه يحتاج

كان فاروق لقمان كاتب عمود جذّاب تحت عنوان «عالم بلا حدود»

إلى قادة متعددي الجوانب، بينما جيل الابن كان جيل البناء فوق تلك الأسس، وكان يحتاج إلى التخصُّص، وفاروق كان متخصصاً بمعنى الكلمة، وهب كلَّ قلبه للصحافة، بل كان يبحث عن آخر ما وصلت إليه ويريد تطبيقه في صحف والده كما جاء في المذكرات. كان فاروق قد نال شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية والتاريخ من جامعة بومبي بالهند عام 1958، ثمَّ نال شهادة الماجستير في الصحافة من جامعة كولومبيا بأمريكا عام 1962، وكان طالباً مبرزاً؛ فحصل على الميدالية الذهبية من تلك الجامعة، وقد ساعدته خبرته العملية على ذلك. وفي الكتاب يشرح فاروق القفزة المهنية في علم الصحافة بين الجامعتين اللتين تخرَّج فيهما، ويقول عن دراسته في كولومبيا: «والواقع أنَّ هذه الدراسة قد غيَّرت مجرى حياتي كثيراً، كما غيَّرت شكل الصحافة بالإنجليزية».

الحداثة والتطوُّر

وجد فاروق في والده رجلاً متفتحاً؛ فتقبَّل اقتراحاته لتحديث مطبعة صحف دار «فتاة الجزيرة» بعد عودة فاروق من الدراسة في أمريكا، وبعقلية الرّائد لم يتوانَ عن الاستثمار في مطبعة حديثة حسبما أقنعه فاروق، على الرغم من أنَّ والده كان محدود الموارد المادية يمتهن المحاماة بجانب رئاسة تحرير صحيفتين. سكنت في منزل جدي لقمان مع بعض أشقائي لمدة شهرين عام 1956 عندما سافر والداي في رحلة إلى أوروبا وعرفت الجد وأسرته عن قرب، وقد تنبأ لي حينذاك بأني سأصبح شاعراً، عندما لاحظ اهتمامي بالشعر، ولاحظت الفرق بين أسلوب جدي وأسلوب والدي في الحياة، وكلا الرجلين كان عَلَما ترك بصمته على تاريخ عدن الحديث، وكلاهما ترك بصمته على أسلوبي في الحياة. وفاروق كان شديد الإعجاب بوالدي كشاعرٍ ومُرب، يقول في هذه المذكرات: «ولا يفوتني عند ذكر التعليم في عدن أن أشير إلى ذلك الرجل الذي اقترن اسمه بالمعارف في الجنوب العربي سابقاً - جنوب جمهورية اليمن حالياً - إذ كان أوَّل خريج جامعي عربي في الآداب ودبلوم التدريب في عدن أيام الاستعمار البريطاني لها، ثم تجرَّد في سلك التدريس ليصل إلى أرفع مرتبة وظيفية كان الاستعمار يسمح بها لأهل البلاد وهي مدير – نائب وزير - معارف الجنوب العربي. إنه الأستاذ الدكتور محمد عبده غانم الذي لم يكن مدرساً فحسب، بل مخططاً تربوياً من الطراز الأول في العالم العربي آنذاك من الثلاثينيات حتى الستينيات. وإذا كان لأيِّ فرد أكبر الفضل في نشر التعليم في المنطقة، فمن الإنصاف له ولتاريخ الوطن أن نعزوه إلى الأستاذ محمد عبده غانم».

زمن الكتابة

كما عرفت جدي لقمان أثناء عمله عن كثب، عندما كنت أجمع قصائد والدي من مجلدات «فتاة الجزيرة» لنشرها في ديوان «موج وصخر»، وقد خصَّص لي جدي طاولة في مكتبه لنقل القصائد باليد قبل زمن التصوير (الفوتو كوبي) وكنّا نعمل لمدة ساعات في صمت تام، وكما يقال: «لو وقعت إبرة لسمعناها». وقد ذكرني جدي في مذكراته عندما كنت طالباً في الهندسة في جامعة أبردين، كما ذكر شقيقي «قيس» وشقيقتي «عزة» اللذين حصلا فيما بعد على درجة الدكتوراة وأيضاً الأستاذية.

وقد استثمر محمد علي لقمان في آلات الطبع الحديثة، فهو وفاروق من العقول النيّرة التي جعلت عدن تصل في الستينيات إلى مرتبة الريادة في الجزيرة العربية في شتّى المجالات، وكانت حقاً منارة مشعَّة فيها. ثمَّ خرج المستعمر البريطاني في نوفمبر عام 1967، وتدهورت البلاد بسرعة خارقة تحت الحكم الشمولي الرهيب الذي كان الهمُّ الأوّل لبعض قادته ومساعديهم الاستيلاءَ على مساكن أهل عدن؛ فقد جاؤوا بعقلية الغنيمة، ففادر رجال الأعمال ثمَّ الموظفون الحكوميون والمهنيون والمثقفون، وتشردوا في الشطر الشمالي من اليمن وفي الخليج والغرب وأركان الدنيا، والذين كانوا أقلَّ حظاً خسروا حياتهم وأموالهم وحرياتهم؛ إذ أودعوا السجون، وانتهت حرية القول التي كانت تتمتّع بها عدن إلى حد ملموس في عهد الاستعمار البغيض! وانحدر مستوى المعيشة إلى أن صار الأدنى في الجزيرة بعد أن كان في الصدارة، وهو مازال في الدرك الأسفل؛ لأنَّ القادة الجدد، الذين كان ينقص كثير منهم العلم ولكن لم يكن ينقصهم الحقد والسادية، زجوا بالبلاد في حروب وتصفيات فيما بينهم، وعندما انهار الاتحاد السوفييتي سارعوا بالقفز للنجاة بجلودهم والدخول في وحدة مرتجلة عام 1990 مع نظام مختلف تماماً في الشمال وغارق في الفساد، ثمَّ سارعوا للانفصال المرتجل عام 1994، ما أدّى إلى حرب أهلية. ووصلت عدن وكل اليمن إلى الحضيض بعد استيلاء رجال الكهوف العنصريين الذين رهنوا أنفسهم أداة لقوة إقليمية أجنبية.

ودخلوا عدن التي لا تحتضن ثقافتهم وفكرهم، فقاومتهم ولفظتهم؛ فخرجوا منها سريعاً بمساعدة قوات التحالف بعد أن دمروها ما استطاعوا.

إغلاق المطبعة

وعندما جاء الحكم الشمولي عام 1967 كان من أوائل ما عمل تكميم الأفواه؛ فاستولى على الصحافة وأغلق كل الصحف ومطابعها، بما فيها مطبعة محمد علي لقمان التي كانت تصدر «فتاة الجزيرة» و«الإيدن كرونيكل»، ومطبعة ابنه الشاعر علي محمد لقمان التي كانت تصدر في البداية الصحيفة الأسبوعية «القلم العدني» والتي حوَّلها صاحبها بعد ذلك إلى يومية تحت عنوان «الأخبار». وقد تحدث فاروق عن ذلك بشيء من التفصيل في هذا الكتاب، ولكن بهدوء وعقلانية على عادته التي ربما اكتسبها من دراسته في الهند وأمريكا، وبدون انفعال وعاطفية على الرغم من خسارته لوظيفته واستيلاء الحكم الجديد على المطبعة بدون تعويض، ونلاحظ قوله: «وكنت أحرص على جمع واحتفاظ أي كتاب يُنْشَر عن اليمن بالإنجليزية، حتى تمكَّنت يوماً ما من جمع عشرات منها في مكتبتي بعدن، وأضفت إليها ما أهداني إياها والدي، رحمه الله، ولا سيما كتاب «الكولونيل جاكوب» عن عدن 1870». إلا أنَّ هذه الكتب أُتْلِفَت عندما صودرت دار «فتاة الجزيرة» بكل ما فيها من معدات ومطابع، وأحدث جهاز تصنيع للصور في البلاد آنذاك، وكل مجلدات الجريدتين التي تضمُّ تاريخ اليمن منذ الأزل كما كان يكتبه الوالد وأخوه المؤرخ الراحل حمزة علي إبراهيم لقمان. ولم أعرف أين استقرَّت تلك الكتب والمجلدات؟ أمّا آلات الطباعة فيمكن تعويضها بأفضل منها بإذن الله. ولعلَّ الحكم الفاشي السابق قد أمر بإحراقها؛ لأنها لم تتفق مع التوجُّهات الجديدة للحكم كما قال لي أحد الرفاق يوماً ما.

وهذا الهدوء والعقلانية في فاروق لاحظته أكثر ما لاحظته عندما زرته في دار «فتاة الجزيرة» في يونيو عام 1967 بعد نكسة حزيران (يونيو)، ومعي قصيدة كتبتها عن النكسة مملوءة بروح التحدي، وقد شعرت حينذاك بأكبر صدمة نفسية مررت بها ولازمتني لسنوات حتى حرب العبور، وإن كانت كتابة القصيدة آنذاك ساعدتني على التحمُّل والشعور بالتوازن النفسي، وتحدَّث معي فاروق بهدوء وذكّرني كيف استطاعت فيتنام أن تهزم أمريكا بالتضحية والصمود على الرغم من فارق الحجم والقوة بين الدولتين. وقد نشر قصيدتي بارزة في الصفحة الأخيرة. وعندما

فاروق مع والده في الصومال

كنت أعدُّ أطروحة الدكتوراة في «كارديف» في النصف الثاني من الثمانينيات من القرن الماضي، أرسلت بعض قصائدي إلى فاروق في «جدة» حيث كان يدير صحيفة «أراب نيوز» ويكتب عموداً يومياً مشهوراً تحت عنوان: «عالم بلا حدود» في شقيقتها صحيفة «الشرق الأوسط» فيسارع بنشر ما أرسل به في «الشرق الأوسط». وأذكر ممّا نشر لي فيها استعراضي للأعمال الكاملة للشاعر اليمني البارز أحمد بن محمد الشامي، رحمه الله، الذي كان صديقاً لوالدي وجدي منذ فراره مع الشاعر الشهيد زيد الموشكي، رحمه الله، إلى عدن في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي، للانضمام إلى حركة الأحرار تحت قيادة الشاعر الكبير القاضي الشهيد محمد محمود الزبيري، والأستاذ أحمد محمد نعمان، رحمهما الله، اللذين تحدَّث عنهما فاروق كثيراً في كتابه هذا. وكان الشامي صديقاً شخصياً لي أيضاً فقد كنّا نتواصل هاتفياً، ويرسل لي مؤلفاته، كما كتب مقدمة ديواني الأول «بين شط وآخر» قبل ذلك. كما نشر لي فاروق قصيدة عن الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وقال لي هي في رأيه أفضل ما قرأ من الشعر عنها حتى ذلك الحين. وكتب في استعراضه لأحد دواويني في مطلع التسعينيات في الشرق الأوسط: «شهاب غانم يحمل عدة شهادات من جامعات بريطانيا والهند.. حتى الدكتوراة التي نالها من جامعة كارديف، وهو أيضاً من أبرز الشعراء العرب في الوقت الحاضر؛ إذ يهوى النظم منذ نعومة أظفاره، ووجد في أبيه الدكتور الشاعر الكبير محمد عبده غانم خير أستاذ وموجِّه وراعٍ.. وقد صقل مواهبه بالقراءة الغزيرة والثقافة الواسعة». كما أشاد في مقالات أخرى ببعض كتبي

قريباً يصدر كتاب «خمسون عاماً في الصحافة» عن دار «مدارك»

الأخرى مثل كتاب «صورة مدينتين» الذي اقترح في مقالته أن يُدْرَجَ في الدراسات الجامعية.

مرح ولهو

وخلال تركيزي في تلك السطور على شخصية فاروق، أشير إلى استمتاعه بالتحدي، وأذكر عندما كنّا أطفالاً أخذنا والدي أنا وشقيقيَّ «قيس»، و«عصام» ،رحمه الله، إلى ساحل «جولدمور» الجميل في مدينة التواهي وكان فاروق معنا، وتركنا والدي عند البحر، وذهب لحضور درس في اللغة الفرنسية. كان فاروق حينذاك في الثالثة عشرة من عمره، وقيس في التاسعة، وأنا في الثامنة، وعصام في الرابعة. واقترح فاروق أن نصارعه.. ثلاثتنا كمجموعة، ثمَّ أصرَّ على ذلك. وقد تمكنّا في البداية أن نطرحه على الرمل ونحكم قبضتنا عليه، ولكنه استطاع في نهاية الأمر أن يستجمع قواه ويفلت. وضحكنا كثيراً وعاد والدي ووجَدَنا وآثارُ الرملِ تغطّينا.

وفي هذه المذكرات تحدَّث فاروق عن والده، كما تحدَّث عن والدته وعملها الاجتماعي في الفصل المعنون: «أم وسيدة مجتمع»، ولكنه لم يتحدَّث عن أسرته الصغيرة المباشرة إلا قليلاً على الرغم من أنني أعرف مدى حبّه وتعلّقه بزوجته وأولاده، وتعلُّق أولاده به. وقد جاهد كثيراً في تربيتهم ومحاولة علاج ابنته «وحي» وابنه «عبدالله» اللذَيْن أصيبا بمرض أفقدهما نظرهما تدريجياً بشكل يكاد يكون تاماً عبر سنوات. لم يألُ فاروق خلالها جهداً لمعالجتهما في بلدان مختلفة. وقد تخرَّجا في المحاماة، ونالت «وحي» درجة الدكتوراة وتعمل في التعليم الجامعي. وعدا ما ذكره في الإهداء في كتابه «توابل هندية» عن الدور الذي لعبته ابنته «يمن» في تشجيعه على نشر وتأليف الكتب وإعداد المذكرات. ولم يتحدث فاروق عن أبنائه في مذكراته عدا ما كتبه عن ابنته الكبرى «وحي» قائلاً: «وفي منتصف عام 1961 ذهبت إلى نيويورك تاركاً زوجة شابة وطفلة، هذه الطفلة اسمها «وحي» التي حصلت على الدكتوراة في القانون من جامعة القاهرة، بعدما حصلت على بكالوريوس القانون في صنعاء، وماجستير في القانون أيضاً من عمّان، مع أنها كفيفة، فقدت بصرها تدريجياً منذ كانت في الثانوية في جدة، وتحاضر اليوم في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة». وأذكر أنني تأثرت كثيراً بنيلها الدكتوراة وهي ضريرة، ولكنها من أصحاب الهمم، وأوحى لي ذلك بقصيدة فَرِحَتْ بها وعلَّقت نسخة منها في برواز في مكتبها. وقد أحسن الأستاذ محمد حافظ، صاحب الشركة العربية للتوزيع، حينما أشار في مقدمة المذكرات إلى محبة أولاد فاروق لأبيهم، وهو يقول إنه عندما زاره مع أخويه إثر إصابته بالجلطة وجد حوله عقداً مضيئاً من الأبناء والبنات.

فاروق لقمان في مطلع شبابه

مذكرات محمد علي لقمان لقمان

كتابة جذّابة

بجانب عمله صحفياً ومحرراً قديراً، كان فاروق لقمان كاتب عمود جذّاب كما رأينا في كتابه «عالم بلا حدود»، وكان أبوه في الخمسينيات يكتب عموداً بعنوان: «نحن من العالم». وينتمي فاروق لمدرسة كاتبي الأعمدة الذين يحاولون تقديم معلومة جديدة أو أكثر في كل عمود، ويحاولون أن يدهشوا القارئ ويمتعوه، والمعلومة بالنسبة إليهم تأتي في المقدمة، وإن كان فاروق يهتم أيضاً بوضوح اللغة والأسلوب كما نرى بشكل خاص في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

ولا شكَّ في أنَّ هذه المذكرات الممتعة تضيف للمكتبة اليمنية معلوماتٍ قيّمةً، وللقارئ العربي أيضاً، وخصوصاً المهتم بعالم الصحافة. وهذه المذكرات صدرت، أو على وشك الصدور، تحت عنوان: «خمسون عاماً في الصحافة» عن دار «مدارك» وبجهد كبير من ابنة فاروق الصغرى الصحفية «يُمن». نسأل الله لفاروق لقمان الرحمة والغفران.

من اليمين فاروق لقمان ود. شهاب غانم ود. محمد علي البار في جدة

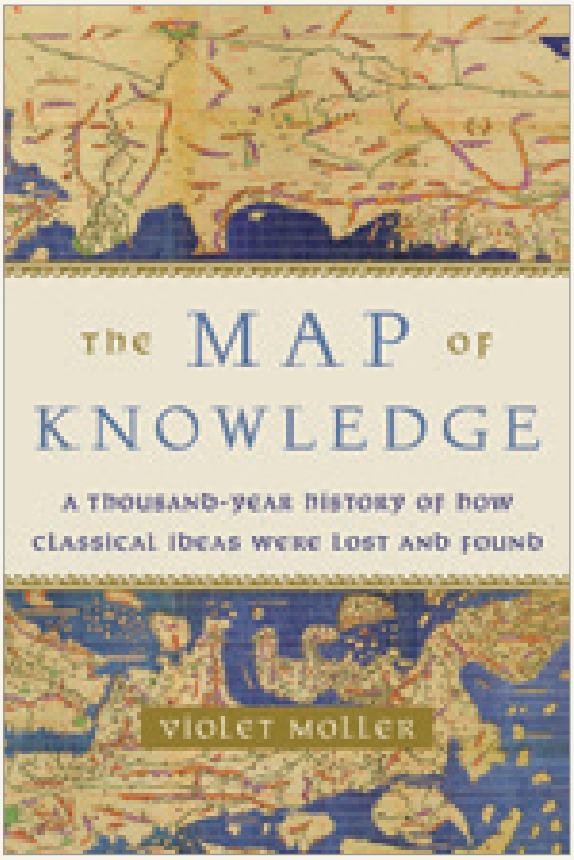

عنوان الكتاب: خارطة المعرفة: تاريخ ألف عام حول ضياع الأفكار الكلاسيكية وإعادة استكشافها

المؤلـــــف: فيوليت مولر

تـاريخ النشــر: 14 مايو 2019

دار النشـــــر: دوبلداي

بعد سقوط روما وما تلاه من ضياع لأفكار عظيمة بسبب ويلات العصور المظلمة، عبرت ثلاث مخطوطات مهمة سبع حواضر متوسطية فنجحت معاً في إحياء عصر النهضة.

وضع الإغريقُ أُسُسَ المعرفة الحديثة من الفلسفة والرياضيات إلى علم الفلك والجغرافيا، فكتبوا أفكارهم على لفائف حُفِظَت في مكتبات على طول سواحل البحر المتوسط، بل وأبعد من ذلك. ولكن عندما تفكَّكت الإمبراطورية الرومانية مترامية الأطراف، تلاشى معها الاهتمام بهذه النصوص الثمينة، فأُحْرِقَت الكتبُ ودُمِّرَت مكتبةُ الإسكندرية التي تعدُّ أكبر مستودع للمعرفة الكلاسيكية.

غير أنَّ بعض المخطوطات نجا من هذه المجزرة. ويأتي هذا الكتاب ليسلِّط الضوء على الدور المحوري الذي لعبته سبع مدن متوسطية، كانت مراكز معرفة نادرة في عالم مظلم، حيث إنَّ العلماء في تلك المدائن، وبدعم من قادة مستنيرين، قاموا بجمع المخطوطات وترجمتها ومشاركتها.

في القرن الثامن أسهمت الاكتشافاتُ العربية في بغداد بتعزيز انتشار العلوم اليونانية؛ فجلب التبادلُ داخل العالم الإسلامي المزدهر تلك المعرفة إلى قرطبة الإسبانية. وأصبحت «توليدو» مركزاً مشهوراً للترجمة من العربية إلى اللاتينية، فكان ذلك بمثابة بوابة عبور وصلت من خلالها الأفكار اليونانية والعربية إلى أوروبا الغربية. كما كانت «ساليرنو» على الساحل الإيطالي مركزاً مهماً للدراسات الطبية، أمّا «صقلية»، مستعمرة اليونان القديمة، فكانت واحدة من الأماكن القليلة في الغرب التي حافظت على اتصالها بالثقافة واللغة اليونانية. أسهم العلماء في هذه المدن في نقل الأفكار الكلاسيكية لتصل إلى مدينة «البندقية» في القرن الخامس عشر، حيث ازدهرت الطابعات وبدأ عصر النهضة.

يأخذنا كتاب **«خارطة المعرفة»** في رحلة مشوِّقة يدفعها فضولٌ لا يرتوي عن العالم، ليقتفيَ آثار ثلاث مخطوطات مهمة، هي كتاب «العناصر» لإقليدس، و«المجسطي» لبطليموس، و«كتابات جالينوس في الطب».

المؤلف في سطور:

فيوليت مولر، مؤرخة وكاتبة في أوكسفورد، إنجلترا. حصلت على درجة الدكتوراة في التاريخ الفكري من جامعة إدنبرة، حيث كتبت أطروحتها حول مكتبة أحد علماء القرن السادس عشر.

مخطوطات أثْرت المكتبات بمعارف سبرت خفايا الجياد الأصيلة واعتنت بها

بيطرة الخيل.. معارف عربية ألهمت العالم

مدارات ونقوش (خاص)

في إحدى محاضراته التي ألقاها في القاهرة سنة 2010 أكّد الباحث الأمريكي الدكتور جورج صليبة، أستاذ العلوم العربية والإسلامية بجامعة كولومبيا، أنَّ النهضة الأوروبية لم تأتِ من فراغ، وأنَّ العالم يدين للعلماء العرب والمسلمين بالفضل في التوصُّل إلى النهضة العلمية، وأنَّ الإسهامات العربية والإسلامية قدَّمت لعلماء العالم منهجاً علمياً سليماً أسهم في النهضة الأوروبية، ومثَّل استمرارية للفكر العلمي العربي الإسلامي الذي ربط بين المشاهدة والملاحظة والقياس.

وهذا غيض من فيض مئات الشهادات التي أنصفت العرب ونسبت إليهم أصول العلوم التطبيقية التي قامت عليها النهضة الغربية، في الطب والهندسة والفلك.. وغيرها من فروع العلوم.

ونحن عندما نتحدَّث عن موضوع كالبيطرة، فإننا لا ريب ندرك رسوخ قدم العرب في هذا الفرع النفيس من أنواع العلوم التي نبغ فيها العرب وبلغوا شأواً لا يستهان به، حتى أصبح لهم قصب السبق فيه.

وهنا نسلط الضوء على هذا العلم وما خلَّفه علماء العرب والمسلمين للمكتبة العربية من آثار يُشهد لها في علم «بيطرة الخيل»، لتكون إضاءة تاريخية يستنير بها القارئ لمعرفة حقائق قد تخفى على الكثيرين، وتؤكد ما أثبتته الأيام واختزنت به مكتبات العالم من مخطوطات أثْرَت العالم بخيراتها ومعارفها، لتشعَّ منها أنوار النهضة التي أشرقت بها ظلمات أوروبا، كما قال المفكر النمساوي ليوبولد فايس: «لسنا نبالغ إذا قلنا إنَّ العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يدشن في مدن أوروبا، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة».

البيطرة والبيزرة

أسهمت الحياة الصحراوية والبيئة البدوية العربية في بحثهم عن الطرق والأساليب التي يستعينون بها على العناية بممتلكاتهم وأنعامهم التي لا غنى لهم عنها في مأكل أو ملبس، وكان على رأسها آلة الحرب الأبرز التي خاضوا بها غمار المعارك وكان لها شأنها عند العرب، ألا وهي الخيل العربية الأصيلة، كما أنَّ احتراف العرب للصيد أيضاً أبرز الحاجة الكبيرة إلى التعامل مع الطيور الجارحة كالصقور، وهذا – إضافة إلى أسباب أخرى سيأتي ذكرها- صقل معارف العرب وأوصلهم إلى إنجازات بارزة في مجالين علميين مهمين هما «البيطرة» و«البيزرة».

من مخطوط كتاب البيطرة لابن الأحنف

أمّا البيزرة فهو علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح من حيث حفظ صحتها وإزالة مرضها ومعرفة العلامات الدالة على قوتها في الصيد وضعفها فيه.

ولا يخفى علينا معنى مصطلح «البيطرة»، إذ نعلم أنه علم يتعلّق بأحوال الحيوانات وصحتها وأمراضها وعلاجها. ولكن العرب خصّت هذا العلم بالخيل، وكأنه مقصور عليها مخصوص بها، لذا نجد علماء التصنيف والفهارس يعرفونها بذلك حصراً. ففي كتاب مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده أنه: «علم يبحث عن أحوال الحيوان المخصوص، وهو الخيل، من جهة ما يصح ويمرض، أو يحفظ صحته ويزيل مرضه، وهذا في الخيل بمنزلة الطب في الإنسان». وليس هذا إلا من عظم الاهتمام بالخيل الأصيلة، وبالغ قيمتها.

جاء كتاب «أبجد العلوم» 1 / 314: «موضوعه وغايته ظاهرة للمتبصر، ومنفعته عظيمة لأنَّ الجهاد والحج لا يقوم ويقوى صاحبه إلا به». وفي «كشف الظنون» قريب من ذلك.

نهل العرب من كتب أرسطو ثمَّ توسَّعوا بالبحث في تشريح الحيوانات ووصفوا أمراض الخيل وعالجوها

تسامح معرفي

ومن الجدير بالذكر، ونحن في عام التسامح، أن نفخر بأسلافنا من النوابغ الذين لم يثنهم اختلاف الدين أن يأخذوا المعارف من منابعها، إذ عكفوا على كتب أرسطو وأبقراط وترجموها، واستعانوا بكبار العلماء المخالفين لهم في العقيدة، ولم يتهموهم في عدالتهم عندما أوكلوا إليهم ترجمة تلك الخزائن المعرفية الثرة، من أمثال حنين بن إسحاق ويوحنا بن ماسويه. ثمَّ توسعوا بالبحث في تشريح الحيوانات، ووصفوا أمراض الخيل، وقد نضج عندهم هذا العلم في القرن السابع حين فصل عن علم الطب، وأصبح علماً قائماً بذاته واشتغل به كثيرون من أطباء المسلمين من أشهرهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي.

عوامل حضارية

ويعدُّ الطب البيطري وتطوره عند المسلمين من الدلالات المميزة على إنجازاتهم في مجال علم الحيوان بصفة عامة، وعلم صحة الخيول بصفة خاصة، وقد تأسَّس ذلك على عدة عوامل من أهمها التعاليم الإسلامية الحضارية التي حثت على الرفق بالحيوان والعناية به، والأمر بحسن تغذيته وعلاجه، وعدم تحميله فوق طاقته، ومنع قتله إلا لمنفعة مشروعة، والأحاديث النبوية في هذا الشأن وفيرة معروفة. فكان لهذه التشريعات السمحة الفضل في عناية المسلمين بعلم الحيوان والطب البيطري، أضف إلى ذلك – بالنسبة لما نحن بصدده من الحديث عن بيطرة الخيل- التكريم الإلهي والنبوي لأمر الخيل والجياد الصافنات، التي كانت رفيقهم في السلم والحرب، فكتبوا عن أنواع الخيل وخصائص كل نوع وعيوبه ومميزاته، ثمَّ كتبوا عن أمراضه وعلاجاتها، بل بلغ الأمر إلى نبوغهم في تشريح الخيل ورسم أعضائه الداخلية وتسميتها، كما ورد في مخطوطة محفوظة في مكتبة الجامعة بإسطنبول، بعنوان «الزردقة في مَعرفة الخيل وأجناسها وأمراضها وأدويتها» لمؤلف مصري مجهول من العصر المملوكي، وضعه في القرن التاسع الهجري، وتظهر فيه صورة تشريحية لفرس مسطوح على ظهره. والزردقة كلمة مولدة تعني علم تربية الخيل والعناية بها وشؤونها.

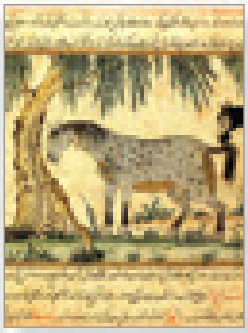

جزء من مخطوط منافع الحيوان

صورة تعليمية من مختصر كتاب البيطرة

لم يكن تفوُّق العرب وسبقهم في علم البيطرة أمراً هيناً باستطاعة كل أحد إتقانه، وليس هو بالسهولة التي قد نتصورها، بل هو أصعب مراساً من تطبيب الإنسان؛ لأنَّ الدواب عجماوات ليس لها نطق تعبِّر به عمّا تجد من الألم والمرض، وإنما يُستدَلُّ على عللها بالجس والنظر الذي يحتاج إلى حذق وحسن بصيرة، ولا سيما أنَّ علل الدواب كانت تنيف على ثلاثمائة وعشرين علة، أشارت إليها كتب البيطرة بالتفصيل.

مصنفات

إنَّ ثمار هذه العبقرية التي حظي بها نوابغ البيطريين العرب والمسلمين أينعت مصنفات وكتباً حجزت مكانة مرموقة في مكتبتنا العربية؛ الممتلئة بنفائس المؤلفات التي أولت «بيطرة الخيل» عناية فائقة؛ بحثاً ودراسة ووصفاً وعلاجاً، منها:

- «رسالة في علم البيطرة ومعرفة أعمار الخيل» لقنبر ميمون، خادم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- «كتاب الخيل - في الفروسية والبيطرة» لعبد الملك بن قريب، المحدّث الفقيه الأصولي الأديب

صفحتان من مختصر كتاب البيطرة

تعاليم الإسلام حثَّت على الرفق بالحيوان والعناية به والأمر بحسن تغذيته وعلاجه

اللغوي النحوي، المعروف بالأصمعي المتوفى في البصرة سنة 216هـ، 831م. وهو مطبوع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن.

- «الفروسية والشجاعة والبيطرة في علامات الخيل وعلاجها» و«الخيل والفروسية والبيطرة» لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الشهير بابن أبي حزام، المتوفى بعد سنة 289هـ، 902م.
- «البيطرة» لأحمد بن الحسن بن الأحنف، الذي توجد منه نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية، تضمُّ تسعاً وثلاثين صورة ملونة تشتمل على رسوم خيل بمفردها، أو مع سواسها يركبونها أو يروضونها أو يعتنون بها.
- «شرح الأرجوزة المنصورية في صفة الخيل – في البيطرة» لأحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أبي الحسن الزيدي المتوكل بالله المتوفى سنة 680هـ، 1281م.
- «فضل الخيل» لعبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الدمياطي، المتوفى سنة 705هـ. وهو مطبوع بتحقيق نظام يعقوبي.
- كتابان للأمير بدر الدين بكتوت الرماح الخازندار الملِكي الظاهري، المتوفى سنة 711هـ، 1211م: أولهما سماه «كتاب في علم الفروسية ومعالجة الخيل - في البيطرة»، والثاني: «السرّ المخزون وجامع الفنون - في البيطرة»، وهو مختصر كتاب ابن أبي حزام الآنف الذكر.
- «كاشف الويل في معرفة أمراض الخيل»، لأبي بكر بن بدر الدين المنذر المصري، وهو طبيب بيطريّ رئيس البياطرة، عاش في عهد الناصر محمد بن قلاوون المصري، وألّف الكتاب له، وكان حياً سنة 741هـ، 1310م. وقد جعله على عشر مقالات، ذكر فيه: ما جربه هو، ووالده، وغيرهما، بمصر، والشام.
- «كتاب في أمراض الخيل» لأحمد بن الحسن، ابن الأهنس.

صورة توضح طريقة الإخصاء للخيل وفائدته

- «الخيل وصفاتها وأنواعها وبيطرتها» لعلي بن داوود بن يوسف، المجاهد الرسولي، المتوفى سنة 764هـ.
- «المغني في البيطرة في الخيل والجمال وغيرها» للأشرف الرسولي، أبو حفص عمر بن يوسف. وقد نشر من قبل المجمع الثقافي بأبوظبي سنة 2004.

والملاحظ من تواريخ وفاة مؤلفي هذه الكتب أنَّ التصنيف في هذا المجال امتد منذ عصر الإسلام الأول، وحتى القرون المتقدمة من عمر الأمة، وهذا يعني أنَّ الطب البيطري له جذور أصيلة وقديمة في تاريخنا العربي والإسلامي. كما أنَّ ما أشرنا إليه أعلاه من هذه المصنفات ما هو إلا غيض من فيض ما خلفه علماء العرب وسطروه من معارفهم وتجاربهم فيما يتعلَّق بأمراض الخيل وصحتها وعلاجها. ومن الجدير بالذكر أنَّ أكثر هذه المنصفات لم تزل مخطوطات؛ فلم تُحقَّق ولم تُخرَج للقرّاء، وهي بانتظار من يميط عنها غبار الأيام، فإنها بلا ريب تستهوي عشّاق تلك الأصائل الذين يملؤون مشارق الأرض ومغاربها.

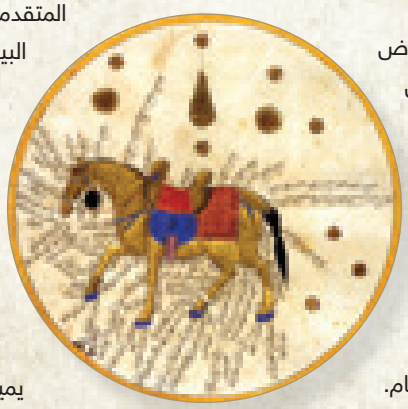

صورة جواد مع توضيحات من كتاب الزردقة

الآن في الأسواق

الجزء الثاني (7-12)

من مجلد

مذكرات ونقوش

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

100 درهـــم

21 مارس طقسٌ تتجدَّد فيه الحياة حسب معتقدات كلِّ شعب

الاحتفال بالربيع في مدينة حمص

د.غازي مختار طليمات*

الاحتفالُ بمَقْدِمِ الربيع عيدٌ شعبيٌّ موغِل في القِدَم، وكانت شعوب الشرق العريقة التقاليد تحتفلُ به في 21 آذار/ مارس، أو في مطلع نيسان/ إبريل من كلِّ عام ميلادي. وربما كان له ارتباطٌ ببعض الشعائر الدينية الوثنية. ومن هذه الشعوب انتقل إلى الشعوب الأخرى التي تَدين بالأديان السماوية.

كان كلُّ شعبٍ من الشعوب يسمّيه تسميةً خاصَّة. لكنَّ أسماءه كلَّها تتقارب معانيها في الدلالة على تجدُّد الحياة في الطبيعة بعد فصل الشتاء؛ فالكرد والفرس سمّوه «النيروز/ اليوم الجديد»، والأمازيغ في المغرب سمّوه «ثافسوث/ تفتُّح الأوراق»، وشعوب الهند ونيبال وباكستان سمّوه «هولي/ تعدُّد الألوان»، والآشوريون سمّوه «خابيسان/ أول نيسان»، والبابليون سمّوه «أكيتو/ عيد رأس السنة البابلية»، وأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين يسمّونه «عيد الفصح»، والمصريون يسمّونه في العصر الحاضر «شم النسيم».

أمّا مدينة حمص السورية، فإنَّ أهلها المعروفين بصفاء النفوس ونقاء السرائر والحفاظ على الفطرة، قد تميَّزوا من كلِّ الشاميين بل العرب والمسلمين بتوديع الشتاء واستقبال الربيع طوال سبعة أسابيع من نهاية فبراير/ شباط إلى بدء نيسان/ إبريل من كلِّ عام. وخصَّصوا يوم الخميس من كلِّ أسبوع لهذا الاحتفال، ولذلك عُرِفَت هذه الأيام باسم «الخمسانات جمع خميس على غير قياس»، وجمع خميس في المعاجم: أخمسة وأخامس وأخمساء. فما هذه الخمسانات الحمصية؟

أوَّلها: الخميس الضائع.

وثانيها: خميس الشعنونة.

والثالث: خميس المجنونة.

والرابع: خميس القطط. وتقع هذه الأخمسة الأربعة

تتقارب أسماء البهجة في أيام الخميس وتتعدَّد المسمّيات طبقاً للجغرافيا والمعتقد

في آخر شهر شباط، وطوال شهر آذار؛ أي في مناخ ثائر لا يخلو من عصف الرياح، وقصف الرعد، وهطول المطر. ولهذا يشقُّ فيها الاحتفال، ويلزم أهل حمص دورهم حتى يعتدل الجوُّ ويهدأ غضب السماء على الأرض.

وخامس الأخمسة: يسمّى خميس النبات أو خميس القلعة. وفيه يعتدل الجوُّ وتصفو السماء، ويبدأ آذار بالتخلي عن غضبه، ويتيح لأهل حمص أن يتمتَّعوا بمَقْدِمِ الربيع؛ فيخرج المحتفلون به بعد عصر الخميس إلى المتنزَّهات، ويقبعون جماعاتٍ قرب جماعاتٍ في الطرق المحيطة بقلعة حمص التاريخية، فيقصفون ويمرحون كما يفعل أهل مصر في عيد شمِّ النسيم. ومراسم الاحتفالية في هذا الخميس بقيت حيَّة حتى مطلع القرن العشرين، ثمَّ أُلْغِيَت حينما دخل الفرنسيون مدينة حمص سنة 1920 واحتلُّوا القلعة.

والخميس السادس: هو الوحيد الذي احتفظت به الحياة الواقعية في حمص حتى اليوم، واختزنت الستة الأخرى في ذاكرة الشيوخ، يسمّى خميس الأموات أو خميس الحلاوات. وفيه يصنع أهلُ حمص أصنافاً كثيرة من الحلوى، لا تصنعها المدن السورية الأخرى.

وأشهرُ الأصنافِ التي تُصنَع: الحلاوة السمسمية المصنوعة من السمسم والسكر، والحلاوة الجوزية المصنوعة من المكسرات، كالجوز واللوز والبندق والفستق، والبشمينة المصنوعة من الدقيق المحمّص بالسمن العربي والسكر، والحلاوة الخبزية، وهي أشهر الأصناف التي يزدهي بها هذا الخميس، والمصنوعة من رقائق العجين المقلية بزيت السمسم والمغموسة في السكر والناطف، والملونة بألوان زاهية. ويعرضها الباعة أهراماً ومخروطاتٍ تغري بأشكالها وألوانها الزبائن، فيمتارون منها ومن الأصناف الأخرى كلَّ ما يشتهون، ويزورون المقابر، ويتصدقون بما امتاروا على الفقراء.

حلوى الخميس في حمص

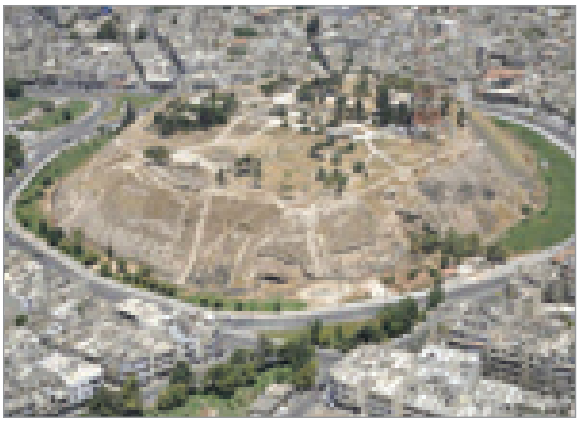

قلعة حمص

وهذه الصدقات تعبِّر عن وفاء الحفدة للأجداد، وتخلع على خميس الحلاوة طبقاً من القداسة الدينية.

والخميس السابع: وهو أهمُّها وأحفلُها بالبهجة والقداسة، يسمّى خميس المشايخ الذي أُلْغِيَ الاحتفالُ به في خمسينيَّات القرن العشرين؛ أي قبل بضع وسبعين سنة. وكاتب هذا المقال كان قد وصفه وصفاً مفصَّلاً مشفوعاً بالصور في عددٍ سابقٍ من مجلة «مدارات ونقوش» إحياءً لذكراه وتخليداً لما تفرَّدت به مدينة ابن الوليد مِن مآثرَ تاريخيَّةٍ تميُّزها من المدن الشامية والعربية كافة.

جمال عمراني تعكسه 10 قرون من فلسفة البناء الإسلامية

الأهمية التاريخية والقيمة الفنية للقباب المقرنصة بجامع القرويين في مدينة فاس

د. رامي ربيع عبد الجواد راشد*

لجامع القرويين بمدينة فاس أهمية تاريخية كبرى، بما له من مكانة دينية وعلمية كأقدم جامعة في العالم الإسلامي، وبما حظي به كذلك على مدى العصور الإسلامية المتعاقبة من أعمال معمارية وفنية قلَّ نظيرُها بسائر حواضر المغرب الأقصى، حيث يعكس بعمارته وفنونه ما يربو على تاريخ عشرة قرون من الزمان.

لوحة (1): القبة المقرنصة أعلى مربع المحراب

تفيد المصادر التاريخية بأنَّ بناء هذا المسجد يرجع إلى عام (245هـ - 859م)، وأنَّ التي أمرت بتأسيسه أمُّ البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، من مال ورثته عن أبيها[1]، وكان المسجد في ذلك الوقت المبكر عبارة عن بيت للصلاة من أربع بلاطات، يطلُّ على صحن «فناء» مكشوف يتقدمه، وطوله من الحائط الغربي إلى الحائط الشرقي مئة وخمسون شبراً، كما أُلحِقَ به صومعة (مئذنة/ منارة) غير مرتفعة، تقع على محور محراب المسجد[2]، ولم يزل على تلك الحالة المعمارية المتواضعة حتى تغلَّب أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر الأموي على بلاد المغرب، وبايعته مدينة فاس فيمن بايعه، فولّى عليها عاملاً له من زناتة يُعرَف بأحمد بن أبي بكر الزناتي، فأرسل إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس يستأذنه في توسعة المسجد؛ فأذن له بذلك، وبعث له مالاً كثيراً من أخماس غنائم الروم، وأمره أن يصرفه في بنائه[3].

مع العصر المرابطي كثرت العمارة بمدينة فاس وتناهت في الغبطة، إذ تفيد المصادر التاريخية بأنَّ أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لما دخل مدينة فاس حصَّنها وثقَّفها وأمر بهدم الأسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين، عُدوة القرويين وعُدوة الأندلس، وردَّهما مصراً واحداً، وأمر ببنيان المساجد في أحوازها وأزقتها وشوارعها، وأي زقاق لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد فيه[4]. فلما كان عهد خلفه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين (500 – 539هـ/ 1106 – 1144م)، ضاق جامع القرويين بكثرة الناس أيام الجمعة، حتى إنهم كانوا يصلون بالأسواق والشوارع، فاجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا في ذلك مع قاضي المدينة، الفقيه محمد بن داوود، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما

(1) الفاسي (علي بن أبي زرع): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. راجعه: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1420هـ/ 1999م، صـ 68، 69.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ 69.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ 69 – 70.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ 179.

رُفع إليه من أمر الجامع واستأذنه بالزيادة فيه، فأذن له، وكانت التوسعة من جهة القبلة؛ شرقه وغربه[1]، وبتلك الزيادة تضاعفت مساحة المسجد الجامع.

كان تاريخ هذه التوسعة المهمة فيما بين عامي (526 – 538هـ/ 1131 – 1143م) حسبما يستفاد من المصادر التاريخية، وفيها شهد جامع القرويين عدة أعمال معمارية على قدر كبير من الأهمية التاريخية والفنية[2]، وكان من بين تلك المنجزات التي يَحَار معها العقل ويقصر عنها الوصف، بما لها من قيمة فنية رفيعة، القبَّتان المقرنصتان اللتان تعلوان البلاط المحوري (الأوسط) من بيت الصلاة، حيث تعلو الأولى مربع المحراب، لوحة (1)، في حين تعلو الثانية الكبرى كلاً من البلاطين الثاني والثالث، لوحة (2)، ولكل من هاتين القبَّتين أهمية تاريخية وفنية كبرى كما سبقت الإشارة، بما تشتملان عليه من نقوش كتابية تسجيلية، وعناصر زخرفية نباتية وهندسية بديعة، تُعدُّ الأولى من نوعها في تاريخ الفن ببلاد المغرب الأقصى.

يدور أسفل القبة المقرنصة الأولى فوق مربع المحراب، إفريز (شريط) كتابي مسجل بالخط الكوفي الأندلسي ذي النهايات المائلة، وَكُتِبَ هكذا: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الأمد بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقيه المشاور الأجل الإمام القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه فعمل ابتغا وجه الله العظيم ورجا ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المآب فرحم الله من قرأه ودعا إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة به يوم النشر والحشر وكان تمام ذلك كله بحمد الله وعونه في سنة إحدا وثلاثين وخمسماية). وإضافة إلى هذا النقش التسجيلي، يوجد آخر منفذ بالخط الليّن يعلو واجهة المحراب أسفل النقش السابق، حيث يشير إلى اسم من قام بإنجاز تلك القبة المقرنصة، وَكُتِبَ هكذا: (عمل عبد الله بن محمد وكمل بحمد الله وحسن عونه في شهر رمضان المعظم سنة إحدى وثلاثين وخمس ماية)، لوحة (3).

تتمثل الأهمية التاريخية الفنية بالنقشين السابقين، في كون الأول الدائر أسفل القبة التي تعلو المحراب - المنفذ بالخط الكوفي ذي النهايات المائلة - تتخلل هامات حروفه بالنصف العلوي من النقش أفرع نباتية لولبية، ينبثق منها توريقات نباتية مزدوجة الفصوص، ذات حزوز (شقوق/ تهشيرات) مختلفة الأوضاع والأشكال، لوحة (3)، ولعلَّها بتلك

لوحة (2): القبة المقرنصة الكبرى التي تلي قبة المحراب

لوحة (3): النقش التسجيلي للقبة المقرنصة أعلى المحراب

لوحة (4): تفصيل لأشكال وزخارف مقرنصات القبة الكبرى

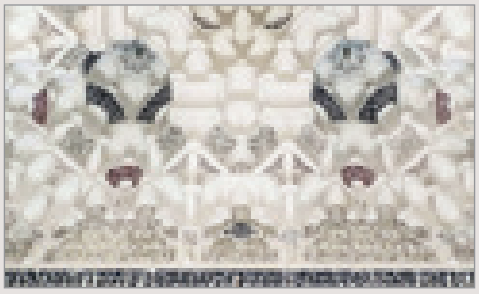

لوحة (5): تفصيل آخر لأشكال وزخارف مقرنصات القبة الكبرى

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ 73.

(2) انظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب. صـ 73 – 77.

شهد جامع القرويين عدة أعمال معمارية على قدر كبير من الأهمية التاريخية والفنية

الصورة الفنية هي الأولى من نوعها، والتي لا نقف على نماذج أخرى مماثلة لها في الفن المرابطي بالمغرب، كما يمكن اعتبارها في الوقت نفسه الأصل الذي احتذته التوريقات المزدوجة الملساء خلال العصر الموحدي. من جانب آخر، فإنَّ النقش التسجيلي الثاني المنفذ بالخط الليّن، يمكن القول إنه من أقدم نماذج الخط الليّن الباقية على العمارة الإسلامية بالمغرب الأقصى، بعد ظهوره بنقوش قبة دار الوضوء التابعة للجامع الذي أسَّسه الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بحاضرة مراكش، المعروفة بقبة البارودييّن، والتي يتأرجح تاريخها بين عامي (514 – 525هـ/ 1120 – 1130م)[1].

القبة الثانية، لوحة (2)، التي تعلو كلاً من المربعين الثاني والثالث من البلاط المحوري، ولهذا يمكن تسميتها «القبة الكبرى»، يلتف أيضاً حول قاعدتها بالجهات الأربع نقشٌ تسجيليٌّ مشابه إلى حد كبير في مضمونه للنقش الأول السابق ذكره، حيث يُكْتَب هكذا: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد رسوله الكريم أرسله بالهدا بشيرا ونذير [كذا] وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين مما أمر بعمله عن أمر الملك العدل الأمد بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقيه الإمام الأجل المشاور القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الكناني أدام الله توفقيه [كذا] فعمل ابتغا وجه الله العظيم ورجا ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المآب فرحم الله من قرأه ودعا إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة به يوم النشر والحشر وكان إتمام ذلك [كذا] كله بحمد الله وعونه وتوفيقه ومنّه في شهر رمضان المعظم من سنة إحدا وثلاثين وخمس ماية).

مما تجدر الإشارة إليه، هو أنَّ هذه القبة الكبرى تضمُّ بين نقوشها الزخرفية نقشاً تسجيلياً آخر يفيد باسم من قام بتشييدها وزخرفتها، إذ يُكْتَب: (عمل إبراهيم بن محمد رحم الله من دعا له بالرحمة)، واعتماداً على ذلك، يمكن القول إن من أمهر تلك القبة الثانية، وهو إبراهيم بن محمد، كان أخاً لمن أبدع القبة الأولى التي تعلو المحراب، وهو عبد الله بن محمد)، الأمر الذي يدل على المكانة المرموقة التي تمتَّع بها هذان الأخوان، بما أتاح تسجيل اسم كل منهما بهاتين القبتين اللتين لا نظير لهما في الفن المرابطي بالمغرب الأقصى.

إذا ما انتقلنا للحديث عن بعض الجوانب الفنية بهاتين القبَّتين، فأوَّل ما يسترعي الانتباه هو التقدُّم الفني الكبير في تنفيذ ذلك العنصر المعماري الفني المعروف بـ «المقرنصات/ المقربصات» بكل منهما، من حيث الدقة المتناهية في جمال التصميم، حسن الترتيب، ومهارة التوزيع ــ وفق قواعد رياضية دقيقة ــ على مستويات عدة من التدرُّج بين البروز والإغوار، نتج عنها تجسيد لأشكال هندسية معقدة تشبه في مجملها خلايا بيوت النحل، هذا فضلاً عمّا يتخلَّل أرجلها الهابطة ومناطق الانتقال بين حَطّاتها، من لوحات فنية كتابية غاية في الجمال والجلال، لوحة (4، 5). ولعلَّ هذا التقدُّم الفني الشديد في إخراج هذا النوع من

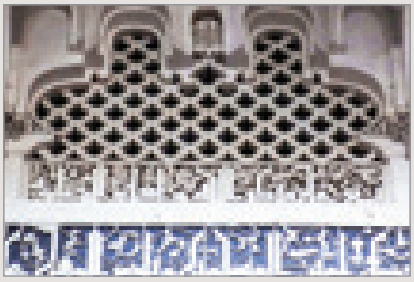

لوحة (6): زخرفة الشبكة المعينية بالمستوى السفلي من القبة الكبرى

لوحة (7): تفصيل للزخارف النباتية المتنوعة من القبة المقرنصة الكبرى

(1)

Maria Marcos Cobaleda: Los Almorávides: Territorio, Arquitectura Y Artes Suntuarias. Tesis Doctoral, Universidad de Granada, Facultad de Filosofia Y Letras, Departamento de Historia del Art, 2010, PP 301 – 302.

من بين الجوانب الفنية ذات الأهمية في القبة المقرنصة الزخرفة المعمارية

القباب المعروفة بـ «القباب المقرنصة»، بهاتين القبتين من جامع القرويين بمدينة فاس، يحمل على القول إنها مرحلة أكثر تطوراً عن أخرى سبقتها، وبهذا يتعيَّن تأكيد صحة ما ذهب إليه الباحث الإسباني «باسيليو مالدونادو»، من كون ذلك النوع من القباب المقرنصة عُرِفَ خلال عصر ملوك الطوائف (422 – 484هـ / 1030 – 1091م) بالأندلس[1]، وإلى العصر المرابطي يرجع الفضل في تطويرها وانتشارها بكل من الأندلس والمغرب.

أيضاً، من بين الجوانب الفنية ذات الأهمية التاريخية التي تعكسها القبة المقرنصة الكبرى التي تلي قبة المحراب، تلك الزخرفة المعمارية المعروفة في الفن الأندلسي المغربي بـ «الشبكة المعينية»، حيث يتخلَّل الأرجل الهابطة للمقرنصات بالمستوى السفلي من القبة فتحات إضاءة مُغشّاة بهذه الشبكات المعينية ذات النمط الهندسي، لوحة (6)، وهذا من الأدلة الصريحة لإثبات وجود هذه الزخرفة في الفن المرابطي بالمغرب، خلافاً لما ذهب إليه الباحث الفرنسي «جورج مارسى»، الذي يشير إلى أنَّ أقدم نماذجها بالفن المغربي، هي تلك التي تزيِّن واجهات الطابق الثاني من صومعة جامع الكُتُبية الموحدي بمدينة مراكش[2].

أخيراً، فإنَّ العناصر الزخرفية النباتية التي تزيِّن هاتين القبَّتين يكاد يقصر القول في التعبير عن مدى قيمتها الفنية وأهميتها التاريخية خلال ذلك العصر المرابطي بكل من المغرب والأندلس، حيث تتجلى هنا التوريقات المُعرّقة والمُخَتّمة بكافة صورها المعروفة خلال عصري الخلافة (316 – 422هـ/ 929 – 1030م)، وملوك الطوائف (422 – 484هـ/ 1030 – 1091م) بالأندلس، مع ما أحرزته من تطوُّرات فنية مهمة في أشكالها وتعدُّد أنماطها، وبما تتمتّع به في الوقت ذاته من جمالية مفرطة ورقة وحيوية شديدة الجاذبية، إضافة إلى بعض العناصر الزخرفية الأخرى كالصنوبريات وأشرطة الأكنتس، والتي نراها مُنَفَّذَةً وفق الأساليب الفنية التي عرفتها أيضاً خلال عصري الخلافة وملوك الطوائف بالأندلس، لوحة (7)، ولا يفوت الإشارة إلى تلك السعفات (المراوح النخيلية)، المزهرة بتوريقات الأكنتس، لوحة (8)، حيث يمكن اعتبارها أحد أهم مظاهر التطوير بالفن المرابطي، والتي لا نقف لها على نماذج سابقة في الفن الأندلسي المغربي، ذلك فضلاً عن عديد من لوحات النقوش الكتابية ذات الصبغة الدينية المُنَفَّذَة بكل من الخطين الكوفي والليّن، لكثير من العبارات الدعائية والآيات القرآنية، لوحات (4، 5، 9، 10)، بما يدل في نهاية القول على ثورة فنية غير مسبوقة في تاريخ الفن بمساجد بلاد المغرب الأقصى، تحت وطأة التأثيرات الأندلسية الوافدة.

لوحة (8): تفصيل للتوريقات المزهرة بالأكنتس من القبة الكبرى

لوحة (9): اللوحات الكتابية التي تتخلل مقرنصات قبة المحراب

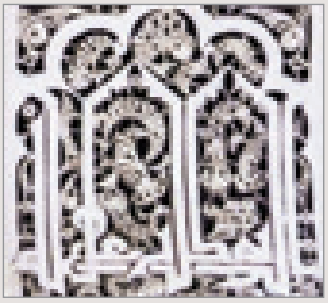

لوحة (10): تفصيل لإحدى اللوحات الكتابية من قبة المحراب

(1) مالدونادو (باسيليو بابون): العمارة الإسلامية في الأندلس: عمارة القصور. ترجمة: علي إبراهيم منوفي، منشورات المركز القومي للترجمة، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2010م، جـ 4، صـ 161 – 169.

(2) Marçais (Georges): L´ Architecture Musulmane d´ Occident, Tunisie, Algerie, Maroc, Espagne et Sicile. Paris, 1954, P 245.

*مدرس عمارة وفنون المغرب والأندلس
كلية الآثار – جامعة الفيوم مصر

مدارات

جمال بن حويرب

هذه (مدارات) تُحلِّق بالقارئ في فضاءات متعددة؛ تسلّي الخاطر، وتقدح زناد العقول الذّكية، وتبيّن كثيراً مما خفي على بعضنا في بساتين شتى من العلوم والنظرات العامة في الحياة والثقافة. وقد أنفق الكاتب في تحصيلها سنواتٍ، واستقى مادتها من بطون مئات من المراجع، حتى تحصّل من تلك الأصول المتفرقة مؤلّف واحد يُعدّ زاداً معرفيًّا لطالب العلم والثقافة.

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

Book Title: The Map of Knowledge: A Thousand-Year History of How Classical Ideas Were Lost and Found
Author: Violet Moller
Published: May 14, 2019
Publisher: Doubleday

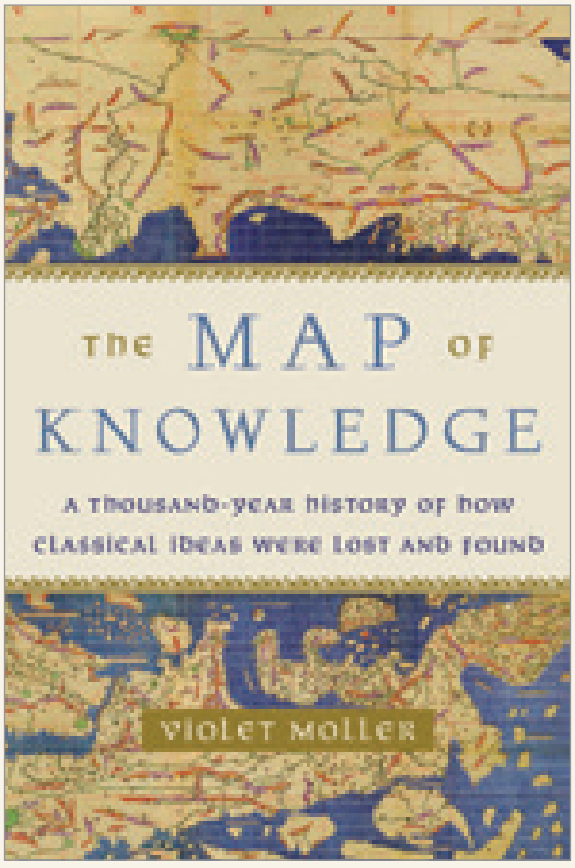

After the Fall of Rome, when many of the great ideas of the ancient world were lost to the ravages of the Dark Ages, three crucial manuscripts passed hand to hand through seven Mediterranean cities and survived to fuel the revival of the Renaissance--an exciting debut history.

The foundations of modern knowledge—philosophy, math, astronomy, geography—were laid by the Greeks, whose ideas were written on scrolls and stored in libraries across the Mediterranean and beyond. But as the vast Roman Empire disintegrated, so did appreciation of these precious texts. Books were burned, and the library of Alexandria, the greatest repository of classical knowledge, was destroyed.

Yet some texts did survive and *The* ***Map of Knowledge*** explores the role played by seven cities around the Mediterranean—rare centers of knowledge in a dark world, where scholars supported by enlightened heads of state collected, translated and shared manuscripts. In 8th century Baghdad, Arab discoveries augmented Greek learning. Exchange within the thriving Muslim world brought that knowledge to Cordoba, Spain. Toledo became a famous center of translation from Arabic into Latin, a portal through which Greek and Arab ideas reached Western Europe. Salerno, on the Italian coast, was the great center of medical studies, and Sicily, ancient colony of the Greeks, was one of the few places in the West to retain contact with Greek culture and language. Scholars in these cities helped classical ideas make their way to Venice in the 15th century, where printers thrived and the Renaissance took root.

The Map of Knowledge follows three key texts—Euclid's ***Elements***, Ptolemy's ***The Almagest***, and Galen's writings on medicine—on a perilous journey driven by insatiable curiosity about the world.

About the Author:

Violet Moller is a historian and writer based in Oxford, England. She received a PhD in intellectual history from Edinburgh University, where she wrote her dissertation on the library of a sixteenth-century scholar.

Arabs believe that applying antimony (kohl) is a useful remedy for eye diseases, so they are always found provided with a small tin box full of this powder

UAE sheikhs learned how to vaccinate to immunize citizens against infectious diseases

(From a report written by the British Political Resident in the Arabian Gulf)

1934:

- For fear of the exacerbation of smallpox, British officials sent a specialist to conduct vaccination in the various emirates, as follows:
  - Abu Dhabi: 66 people
  - Dubai: 229 people
  - Sharjah: 13 people
- One of the most prominent people who learnt and conducted vaccination is Sheikh Hasher (brother of the ruler of Dubai). Two batches of vaccines, were sent to Sheikh Hasher and his relative Sheikh Juma Bin Thani. The Sheikh of Ras Al Khaimah assigned two of his men, Jassim bin Kalban and Mohammed bin Abdulaziz, to learn how to conduct vaccination.

1936:

- Smallpox is spreading rapidly across the UAE. In a report written in 1936, it notes that smallpox had remained in the UAE for five years, i.e. since 1931. However, its spread began to decline after vaccinations.
- One of the significant observations is that cases were increasing in winter, due to the large number of people gathering together in the same area, while in the summer people are distributed in different parts.
- An official report stated that "Dubai treats cases of smallpox in a distinct and interesting way compared to the rest of the emirates, where people isolate the patient in an area far away from them for 40 days, which will significantly reduce transmission. However, in January 1936, the Sheikh of Dubai prohibited isolating the infected persons or sending them out of Dubai, because of the difficult financial situation of parents and the inability to establish a fortified place to protect them from the cold weather." One official said in his report.
- It was not easy to provide healthcare in the Gulf countries.

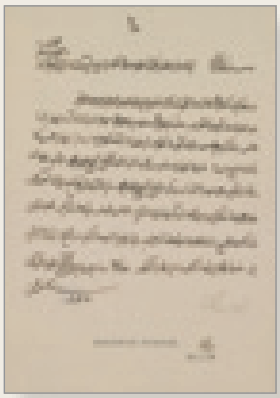

A letter form Sheikh Saeed Al Maktoum to the British Political Resident in Bahrain, thanking him for sending Dr. Holmes to curb smallpox in 1936

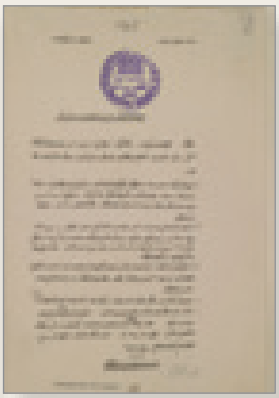

A letter from Khan Sahib Hussein bin Hassan the British Political Resident in Trucial States

Education was non-existent and the prevailing culture was built on accumulations of knowledge; some are useful and others are just hocus – pocus.

1939:

- That year, the British Resident doctor toured the UAE.

1940:

- 837 people were vaccinated in Sharjah and 1386 in Dubai.

1941:

- There were new cases of smallpox in the region; 10 in Dubai and two in Sharjah. The British government in India has recommended sending a weekly shipment of vaccinations to the UAE by air.

1945:

- Portuguese Doctor Jose Correia Fernandis opened the first dental clinic in Dubai in 1945.

1946:

- 120 Vaccines against smallpox arrived from Karachi to the UAE, and the British Resident Medical Officer vaccinated people in Sharjah, Ras Al Khaimah and Ajman.

Overview and Chronological Tracking of Major Communicable Diseases in the Region

A Brief History of Health Conditions in the UAE

Fatima bint Nasser*

When reading historical documents, people may neglect details on health and diseases in the past, but I see them interesting and as important as the stories of heroism and fighting in the battlefields.

Morbidity, especially at a time of destitution and distress, reveals people in their true colors. It also gives us lessons in banding together to hamper the disasters. Just as in 1936, when smallpox infections increased, and became a deadly pandemic across the UAE. Because the British Residency was unable to provide medical staff, it relied on one or two people to conduct vaccination. Humane attitudes were demonstrated by sheikhs, who learned vaccination and needle stick only to save their citizens, like Sheikh Hasher Al Maktoum and other personalities. Those personalities deserve gratitude and appreciation for their solemn attitudes. The citizens are no less than their sheikhs in sacrifices for they helped them in fighting epidemics. Some of them would build an isolated house outside the village to host their relative infected with smallpox to avoid transmission of infection.

This article highlights the most significant health conditions and notes on how people have dealt with these diseases.

1824:

A report by Lieutenant Whitelock on the area between Ras Al Khaimah and Abu Dhabi. The report was published in the first issue of the Transactions of the Bombay Geographical Society (1836 - 1838) in an article titled: "An account of Arabs who inhabit the Coast between Ras-el Kheimah and Abouthubee, generally called the Pirate Coast".

- One of his observations is the spread of fever and ophthalmia. He says that people often attribute eye diseases to the diving profession.
- He says that people, in some cases of sickness, they rub their body with ghee and saffron powder.
- Whitelock says that Arabs diving as very injurious to their health, and this usually shows its effect in their appearance. He noticed that they are very much reduced, and suffer likewise from inflamed eyes.
- Arabs believe that applying antimony (kohl) is a useful remedy for eye diseases, so they are always found provided with a small tin box which is frequently inlaid with gilt and full of this powder. In using it, they smear the end of a smooth rounded piece of mother pearl, and apply it to the inner part of the eyelid.
- Whitelock observes that women living by the coast, marry as early as 14 of age, and, if they have many children, break down in their personal appearance very prematurely.

1893 - 1894:

- Cholera has spread in the UAE, from inland to the coast. Although it did not last long, it left behind a significant number of victims. The most affected emirates include Ras Al Khaimah, Sharjah, Dubai and Abu Dhabi.

1900 - 1901:

- A virulent pandemic of smallpox appeared in Sharjah in April, killing 500 people.

1904 - 1905:

- Most of the Gulf States were hit by the cholera epidemic during this period. In the UAE alone, about 800 people have been infected.

1922:

- "That year, the Trucial States went through an intense heat wave so much that the elderly did not remember passing by such a heat. Many people have experienced strong fever accompanied by severe vomiting, among them was the British Political Resident who had a strong and chronic headache and an increased heart rate, and was obliged to leave the UAE for 6 weeks."

Jumeirah archaeological site dates back to the Abbasid era

Over the years many of the archaeological objects, collectibles and treasures have disappeared an evidence of the rich life in the region

Our excavations reached saltwater underground.

Iraqi Contributions

The Iraqi mission made explorations and the research was published in "Sumer" magazine by archaeologists Sabah Jasim and Munir Taha.

Jumeirah was larger than the current area, an integrated city; only the business district and industrial district are left because of the presence of many craters filled with ash. Iron shavings were also found, which indicates that it was an industrial area.

Water Map

As a historian and contemporary of this discovery, Abdul Ghaffar Hussain started by saying: "As Dr. Qandil mentioned, it was thanks to the archaeologist Dimitri Baramki when the Water Department buried water pipes and in the process discovered buried buildings underground.

This information was passed on to the sheikhs, and the British officer, an educated man and a lover of archeology, proposed to them to call archaeologists to carry out excavations".

All the participants in this historic visit called for the involvement of historians, architects and archaeologists to bring this area back to life by redesigning the city through modern programs and producing documentary films using graphics to reach a full conception of life in that era where it is believed that several thousand people had lived.

The thickness of the walls is 40 centimeters.. built in different sizes of sand stones.. attached to each other with gypsum

Historians, architects and engineers inspect the ruins of Jumeirah

Remains of Important Buildings

The market is one of the most important buildings in Jumeirah Archaeological Site, and is a clear and powerful evidence of the development and progress of the lifestyle at that time.

Excavations carried out by a local archaeological team of the Department of Tourism and Commerce Marketing in Dubai revealed the existence of a square-shaped building with an area of 49 square meters. A niche, inscriptions containing words such as the 'Prophet Muhammad' were also found.

The Market is the largest building in Jumeirah archaeological site. It is a rectangular shape that covers an area of 1000 square meters. In the middle, there is a large open courtyard surrounded by a number of rooms. The building has two main entrances to the east and west.

Date of Discovery

Jumeirah archaeological site was first discovered in 1969 thanks to the efforts of the archaeological team of the American University of Beirut. In 1974, an Iraqi archaeological team discovered important excavations.

Excavations continued in 1993 at the Jumeirah site by a local archaeological team of the Department of Tourism and Commerce Marketing, which resulted in the discovery of new archaeological buildings and artefacts.

Building Materials

Except for the mosque, most of the buildings in the site are rectangular and small. Residential buildings are particularly unique with open courtyards equipped with furnaces.

The thickness of the walls is about 40 centimeters, constructed in different sizes of sand stones, fixed together with gypsum and coated inside and outside with a stucco layer that helps protect them from various natural factors.

Documentary symposium and Knowledge journey to discover the history of Dubai

Historians, architects and engineers inspect the ruins of Jumeirah

Jamal bin Howaireb Studies Center (JBHCS) has organized a tour in the Jumeirah Archaeological Site.

Executive Director of the Mohammed bin Rashid Knowledge Foundation Jamal Bin Huwaireb said: "Every care has been taken to involve a group of historians, architects, engineers and archaeologists in this tour, most notably: Bilal Al-Badour, Eng. Issa Al-Midor, Mr. Salem Al-Mousa, Eng. Faisal Al-Qurk, Dr. Jamal Al-Muhairi, Abdullah Al-Mutairi, Mr. Ali Obaid, Mr. Omar Al-Disi and some interested persons."

Dubai Roads and Transport Authority has provided a bus to take the participants to the archeological site. Dr. Hussein Qandil, an archaeologist at the Department of Tourism and Commerce Marketing in Dubai, gave a detailed explanation of the discovery of this historic spot, which is believed to extend to the sea as a commercial station linking a number of neighboring countries at the time.

Jumeirah archaeological site is one of the important discovered Islamic sites not only in the UAE but in the entire Gulf region. The site reflects the Islamic architecture that prevailed during the Abbasid era in its various forms and elements through arches, oriental geometric decorations that adorn the facades, windows and walls.

Sea Port

The strategic port is located along the eastern shore of the Arabian Gulf. It is 15 kilometers southwest of Dubai and covers an area of 80,000 square meters and is 4 meters above sea level.

Its unique geographical location has contributed to its development as a major and important sea port as well as a station for commercial caravans. Moreover, its location on the commercial road linking Oman and Mesopotamia played a major role in enhancing its position in various fields, especially the commercial, economic and urban ones.

Audience during the symposium

Awareness Symposium

Following the tour, a symposium on Jumeirah antiquities was held at the JBHCS in Jumeirah where Bin Huwaireb introduced the participants and extended his thanks to the Department of Tourism, saying: "The visiting delegation included a group of historians, architects, engineers and archaeologists; and this diverse spectrum of disciplines provided a holistic vision of what the details of life at the time could be. Unfortunately, this site has been looted over the years, many of the archaeological objects, collectibles and treasures have disappeared, which were evidence of the rich life in the region".

Incomplete Excavations

Archaeologist Dr. Hussein Qandil said: "The area contains architectural remnants with unfinished foundations. The site was discovered in 1969 by Dimitri Baramki, a professor at the American University of Beirut. Three major buildings were discovered: the Governor's House, the Souk and the Khan.

Excavations were resumed in 1990, and we made the first plan to clean and maintain the buildings, but we were surprised that some of the buildings were not fully excavated.

Arabs replaced the Latin word '*carta*' with the word '*Khareeta*' which has an origin in Arabic and means leather container

The first map drawn in Islam was the city of Bukhara in 90 AH at the time of Al-Hajjaj

perform the Hajj rituals.

The translation movement led by the Abbasids played a major role in promoting cartography; they developed basic Greek maps reaching the very top of their profession.

Drawn by scholars of his time, depending on the Greek approach, Al-Ma'mun's map of the earth emerged, besides a map of the Nile and Egypt, that was found in ***Kitab surat al-ard*** (The Image of the Earth) by Al-Khwarizmi.

In the fourth century AH, Al-Balkhi, Istakhri and Ibn Hawqal continued to develop unprecedented detailed maps. In those maps, the North was at the bottom of the map, the South at the top, the West to the right and the East to the left. This contradicts with the modern maps, thus it is difficult to read the old Arabic maps for this reason.

Al-Idrisi's map

Al-Idrisi (493-560 AH) is a pioneer of cartographic revolution. He produced a wonderful map engraved on a silver disk, showing the Seven Climes at the time, and mentioning their countries and details.

Al-Idrisi introduced his extraordinary book ***Kitab nuzhat al-mushtaq fi'khtiraq al-'afaq*** (The book of pleasant journeys into faraway lands) in which he explained his map, described the countries and people. The book was adorned with seventy accurate map, making this science easier and comprehensible. Those who came after Al-Idrisi, give credit to him, may his soul rest peace.

Bearing in mind the great interest of early scientists in cartography, and given the leaps this field is witnessing nowadays, becoming a cornerstone in politics, economics, wars and culture, it is surprising that it is not of interest among our young generation in the UAE or even in the Gulf

As for old maps, rashness in passing a judgment, omission and ignorance would prevent understanding the old maps, taking advantage of them and avoiding wrong conclusions without knowledge in cartography. This requires to sound the alarm to alert those who are ignorant of this important science and develop a comprehensive plan that includes schools, universities and research centers in order to prepare Emirati scientists specializing in ancient and modern maps, so that we can benefit from them in historical studies and other fields before misconceptions widen even more.

jamal@jbhsc.ae

Emirati Geographer and Historian

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

During my long research into the biography of the Arabian Gulf's luminaries, especially the UAE, I have not found - for many years - a famous geographer who had a perfect knowledge of proper mapping, as the early Islamic geographers of the early centuries who followed the efforts of Greek geographers and enhanced them.

Then, European geographers came after them relying on the "images" the Arabs left behind. Maps were called images by the Arab geographers, and at the time of Al-Hajjaj they were called "earth images". In the era of modern translation – during the time of Muhammad Ali - the word "*Kharita*", a Latin translation of "carta" which means "paper", became popular.

Linguists objected to "*Kharita*" for it had no origin in Arabic, replacing it with the word *"Khareeta". Khareeta*, is very close in meaning to the word "*Kharita*"; and contrary to the latter's Latin origin, it has an origin in Arabic and means leather container. It was no longer possible to return to the word "image"; as the public used in the sense of photographs.

The first map drawn in Islam was allegedly the city of Bukhara in 90 AH at the time of Al-Hajjaj. Commander Qutaybah ibn Muslim al-Bahli was asked by Al-Hajjaj to draw a map of Bukhara, which was suffering the prolonged siege. Depending on the map, Al-Hajjaj gave advice to Qutaybah when he was sent to conquer Mesopotamia and he achieved victory. If this is true, this map will be the first map drawn in Islam (90 AH) according to researchers.

Then the maps rolled after that, especially during the reign of the Abbasid Caliph al-Ma'mun. This science has become of interest for Muslim scholars; as it provides access to populated areas in order to collect Kharaj (land tax) and Zakat (almsgiving). Due to the breadth of the caliphate and the great interest in the administrative system, they needed maps to help them organize their work.

One of the most important factors that led to the boom of cartography was the need to know the route to Mecca and Medina. Since Muslims are distributed throughout a large geographical area, Islamic scholars - commissioned by the caliphs - wanted to facilitate international trade routes and the travel of Muslims to

الفاتنة

شعر | جمال بن حويرب

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

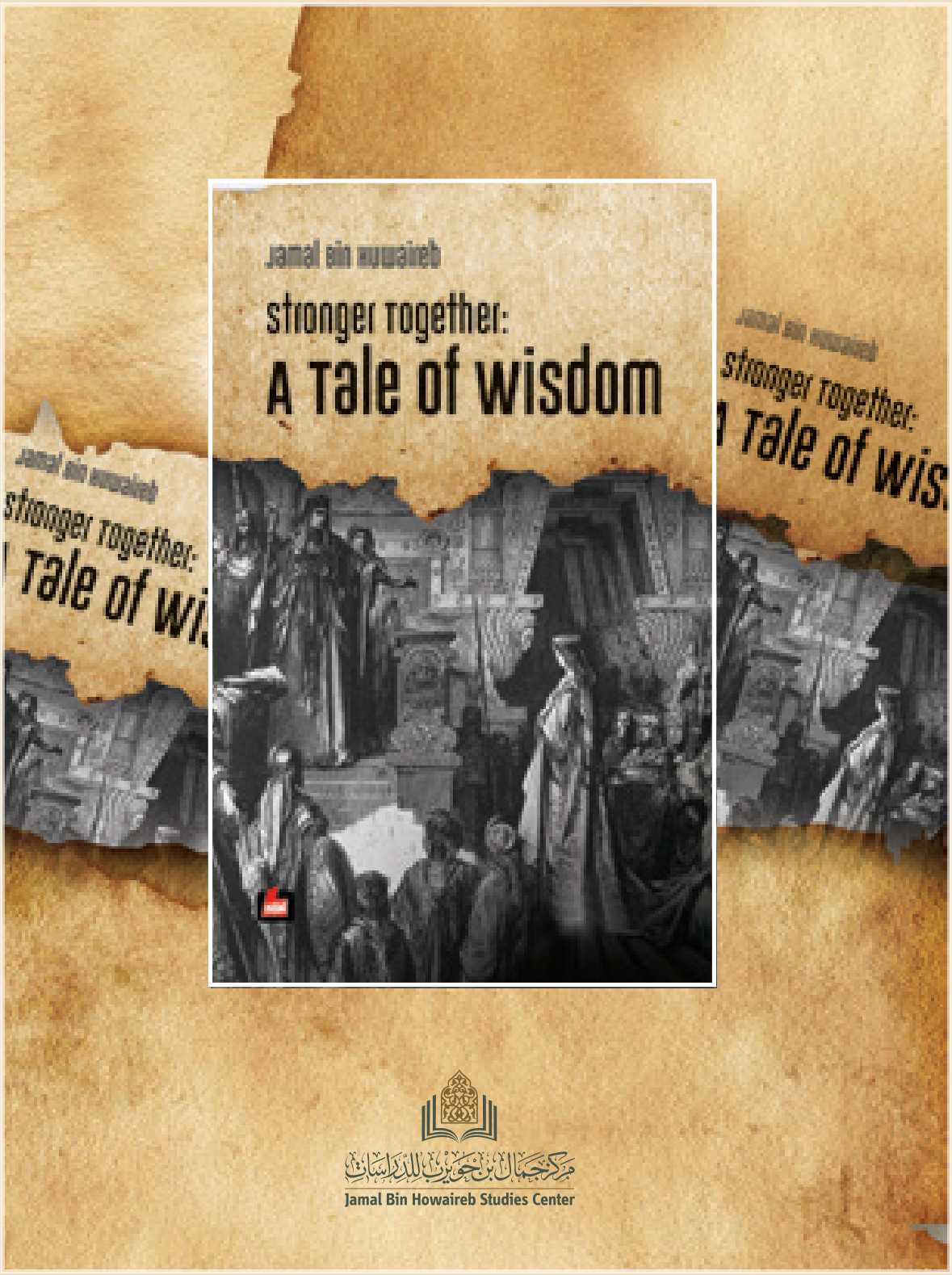

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

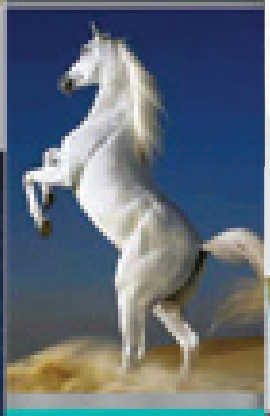

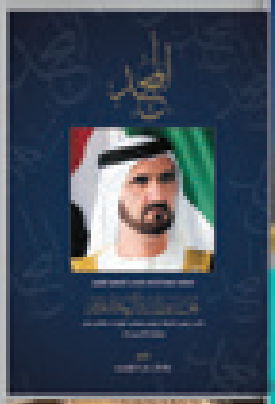

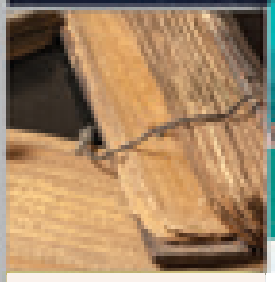

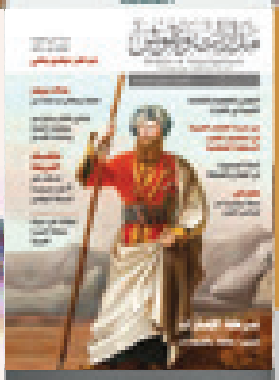

- **أهدافنـا:**

خدمة الباحثين في
التراث والتاريخ واللغة العربية
والتوثيـق والنشـر والتدريب

- **خدمات المركز:**

- دراسات الخيول العربية
- الاستشارات الثقافية والتدريب
- معـارض ومؤتمرات
- البحث والنشـر
- مجالـس علمية متنوعة
- مكتبة عامة تشمل أهم ونوادر كتب الأدب والتاريخ والتراث
- استـضافة كبـار الأدبـاء والمفكريـن
- مكتبـة إلكترونيـة
- مجلـة المركـز «مـدارات ونقـوش»

اشـترك فـي «مـدارات ونقـوش» وأسـهم معنـا في دعم مسيرة إصداراتنا ومشروعات مركزنـا نحـو الأفضـل

للتواصل
هـاتـف
0097143940309

www.jbhsc.ae info@jbhsc.ae
Jbhscae Jbhscae Jbhscae Jbhsc AE